

المجلد الثالث

الجزء الثاني

(١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد



المجلد الثالث

الجزء الثاني

(١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد

خالد بن الوليد في العراق [1]

استندنا في شرحنا لأواخر عهود ملوك ساسان الى ما أورده المستشرق الألماني (نولدكه) في كتابه تأريخ الفرس وقد ذكر أن يزدجرد آخر ملوك ساسان جلس على عرش الأكاسرة سنة ٦٣٣ م ، أي سنة ١٣ هـ ، وأن أردشير قتل سنة ٦٢٩ م وذكر (كيتاني) أن سبعة ملوك بين رجال ونساء وأدعياء الملك ، تولوا الحكم من سنة ٦٢٩ الى سنة ٦٣٢ م ، وهي السنة التي تولى فيها يزدجرد الملك وبذلك يخالف كيتاني نولدكه في السنة التي حكم فيها يزدجرد ، بينما ثبت الطبري حوادث العراق من قتال كاظمة الى موقعة مجمع الأنهار في عهد أردشير ملك فارس ، وبين أن أزاذبه حاكم الحيرة الفارسي ترك مقاتلة خالد بن الوليد ، وعبر الفرات هارباً ؛ لأن الخبر وقع اليه بموت أردشير ولكن فيما أورده الطبريّ من أخبار عن بهمن جاذويه القائد الفارسي الذي عهد اليه الدفاع عن العراق ، دلالة على أن البلاط الفارسي في المدائن كان يومئذٍ معرضاً للمؤامرات والدسائس ، وأن القائد الفارسي المذكور آثر الاشتراك في تلك المؤامرات على تعهد مهمته التي أوفد من أجلها

والذي يتراءى لنا أن سفر خالد بن الوليد في العراق صادف العهد الذي كانت الانقلابات فيه سائدة في بلاد فارس ، والحكم فيها كان غير مستقر ، والثابت أن الفرس لم يتمكنوا من تجهيز قوة كبيرة تقوم بطرد العرب إلا سنة ١٤ هـ ، أي سنة ٦٣٤ م ، بعد أن تولى رستم القيادة العامة ، واعتلى يزدجرد العرش

الشروع في الحركات : وقبل البدء بشرح الحركات التي قام بها خالد بن الوليد في العراق ، يحسن أن نشير الى قضية تناولها بعض المستشرقين في بحوثهم عن الفتوح في صدر الاسلام ، فقد زعم هؤلاء ، وفي طليعتهم المستشرق الإيطالي (كيتاني) ، أن الحركات التي جرت في العراق وفي الشام بعد حروب الردة ما هي إلّا غارات شنّها العرب على تخوم الانبراطورية الساسانية

(١) أنظر الجزء السابق من هذه المجلة

والانبراطورية البيزنطية للسلب والنهب جرياً على عادتهم ويدعي (كيتاني) أن تلك الحركات لم تجر على وفق خطة مقررة رسمت خطوطها في المدينة واستند اليها القادة المسلمون في عملياتهم ، ويرى أن خالداً بعد انتصاراته في حروب الردّة توجه الى العراق مغيراً وغازياً ، ولم يستهدف في عمله هذا فتح البلاد ، ويزعم أن عمل العرب في الشام قبيل معركة اليرموك لم يكن الا إغارات بعيدة عن فكرة الفتح ، ويقول : إن العرب لما داهمهم الخطر بتحشد جيوش هرقل في شمال بلاد الشام ، وتقدمها نحو حمص مستهدفة طرد العرب ، اضطروا الى توحيد القيادة ، وناطوها بعهدة أبي عبيدة بن الجرّاح ، وحينئذٍ اعتزموا فتح البلاد ، وكانت معركة اليرموك فاتحة لهذا العهد الجديد في حروب العرب

وقد سيطرت هذه الفكرة الثابتة على (كيتاني) في جميع بحوثه عن فتوح العرب قبل معركة اليرموك ؛ ولهذا أنكر المراسلات التي جرت بين الخليفة أبي بكر وقادته في العراق وفي الشام ، وقد أسهب الراوي سيف بن عمر في تفاصيل هذه المراسلات ولكنّ (كيتاني) لم يعتمد على أخباره ، وعدّ ما رواه من نسج الخيال واذا كان (كيتاني) يقصد بالخطة التي تستهدف الفتوح أن يضع القادة بالاتفاق مع الخليفة خطة حربية تتضمن جميع تفاصيل الحركات وتشير الى ما ينبغي اتخاذه من تدابير سوقية قبيل المعركة وفي أثنائها ، فانّا نقرر معه أن العرب لم ينهجوا هذا النهج ، ومع ذلك سلكوا الطريقة التي سلكها القادة قبلهم وبعدهم والحقيقة أن الحركة في الحروب على وفق خطة مرسومة ترسم خطوطها قبل اعلان الحرب والعمل بموجبها في الحركات ، هي طريقة مستحدثة ، سار عليها القادة في الحروب التي وقعت في القرون المتأخرة ، تبينت في حروب فريدريك الكبير ملك بروسية وفي حروب نابليون انبراطور فرنسة ، ودعمت في الحروب التي جرت بعد ذلك

وعمليات خالد في العراق ، وعمليات القادة العرب الآخرين في الشام ، لا تختلف عن الأعمال الحربية التي جرت قبل ذلك سواء في الانبراطورية الساسانية أو الانبراطورية البيزنطية . صحيح أن الأخبار التي دلت على أن خالداً توجه الى العراق بأمرٍ تلقاه من أبي بكر ، وأنه تلقى بعد ذلك وصايا أخرى تشير الى هدف الحركات ، هي روايات ذكرها سيف بن عمر ورواة

آخرون ، ولم يشر الرواة المشهورون اليها صراحةً ، ولـكنه لا يوجد دليل يستند اليه الباحث في انـكار تلك الروايات

ونذكر فيما يأتي — بايجازٍ — الروايات التي تدل على أن سفر العراق جرى بموجب أوامر موجهة تلقـاها خالد من الخليفة أبي بـكر :

ذكر سيف بن عمر عن الشعبي أن أبا بكر كتب الى خالد ، وهو مقيم باليمامة ، أنْ « سِرْ الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند الأُبُلـَة (١) »

ويؤيد هشام بن الـكلبي هذه الرواية ذاكراً أن أبا بكر كتب الى خالد وهو باليمامة أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها (٢)

وفي رواية أخرى لسيف بن عمر عن الشعبي جاء فيها : أن أبا بـكر كتب الى خالد لما فرغ من اليمامة : « إنِ الله فتح عليك ، فعارِقْ حتى تلقى عيـاضاً » ، وكتب الى عياض بن غنم ، وهو بالنباج والحجاز (أي بنباج الحجاز لانباج بني عامر الذي نزل فيه خالد) ، أنْ : « سِرْ حتى تأتي (المُصـَيِّـخ) ، فابدأ بها ، ثم أدخل العراق من أعلاها ، وعارقْ حتى تلقى خالداً (٢) »

وفي رواية أخرى، لسيف بن عمر عن المغيرة بن عتيبة ، جاء فيها : أن أبا بكر كتب الى خالد ابن الوليد ، إذ أمّره على حرب العراق ، أن يدخلهـا من أسفلها ؛ والى عياض أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فأيهما ســبق الى الحيرة فهو أمير على صاحبه وقال : « إذا اجتمعتما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالح فارس ، وآمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصـاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدوّكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن (٣) »

هذه هي الروايات التي ذكرها الطبري نقلاً عن سيف بن عمر وابن هشام ، ويتضح منهـا أن خالداً توجه الى العراق بأمر الخليفـة ، مهمته فتح العراق ، وهدفه الأول الأُبُلـة ، وهدفه الثاني الحيرة ، وهـدفه الثالث والأخير المدائن والأمر على ايجازه يتضمن الخطة التي قررهـا

(١) تأريخ الطبري (٢/٥٥١) (٢) ص (٥٥٣) (٣) ص (٥٥٤)

الخليفة ، والأهداف التي يرمي اليها

ويبدو من أوامر الخليفة أبي بكر أنه وجه جيشين الى العراق كما ذكرنا سابقاً : الجيش الأول بقيادة خالد بن الوليد يتقدم نحو العراق من الجنوب وهدفه الحيرة ، والجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم يتقدم الى العراق من الشمال وهدفه الحيرة أيضاً وهذا ما يعبر عنه في سوق الجيش (الاستراتيجي) بالحركة على الخطوط الداخلة لإجبار العدو على تقسيم قوته الى قسمين يقفان ويثبتان بوجه كل من الجيشين المتقدمين على خطين داخليين

ويتبين من رواية قاضي الكوفة المغيرة بن عتيبة أن الخليفة كان يتوخى من حركة خالد وحركة عياض أن تنتهي الحركتان بفتح المدائن ، عاصمة الفرس الشتوية ، ولكنه جعل اقتحام بلاد فارس وضبط المدائن الهدف الثالث ، وهو الهدف النهائي ، أو الهدف الرئيس كما يعبر عنه بالمصطلحات السوقية حديثاً

ومما يلفت النظر أن الخليفة يحذر القائدين من التقدم الى الهدف الثالث قبل أن يفضا مسالح فارس المنتشرة على حدود السواد من كاظمة في أقصى الجنوب الى عين التمر في الشمال ، وأن يحتفظا بطريق الرجعة بجعل أحدهما رِدْءاً لصاحبه في الحيرة ، أي يتقدم أحدهما نحو المدائن ، ويبقى الآخر في الحيرة بمثابة قوة احتياطية تراقب البلاد المفتوحة غربي الفرات وفي أرض السواد ، ويحمي خط الانسحاب اذا أخفقت الحركة نحو المدائن

والروايات المذكورة ، على وضوحها وتعدد رواتها ، أنكرها (كيتاني) ؛ لأنها تهدم ما قرره قبلاً وجعله فكراً ثابتاً لا يحيد عنه مها وجدت من روايات تخالف ما ارتآه هذا ابن حبيش ، الذي اقتبس(كيتاني) منه الروايات التي تؤيد رأيه في انكار بعض الحوادث ، يشير ــ كما جاء في رواية عمر بن شبة ــ أن المسلمين في الشام لو لم يحتاجوا الى خالد ، لمكث خالد في العراق الى أن يتم الله نصره

ولا ندري لماذا شك(كيتاني) في صحة تلك الروايات ، وأصر على أن حركات المسلمين في العراق وفي الشام لم تكن أعمال فتح بالمعنى المفهوم ، بل حاول أن يعد خالداً أجرى الحركات في العراق من غير أن يتلقى أمراً من الخليفة أبي بكر ، وقام بها من تلقاء نفسه ، تطميناً لرغباته ، وإشباعاً

لشهوات من التف حوله من عرب البادية في النهب والسلب

والغريب من أمر (كيتاني) أنه استشهد بجملة أوردها ميرخوندي في كتابه (روضة الصفا) على سبيل الوصف والتعريف ، وعدّها دليلاً قاطعاً على ما ذهب اليه والكاتب هذا حينما بحث حركات خالد في العراق ، قال : « بتاراج أموال كفار » ، أي « لسلب أموال الكفار » والجملة هذه ، لا تعني الغرض الذي كان يرمي اليه خالد من سفره في العراق ، بل هي وصف كان يستعمله الكتاب الفرس ، وما يزال يستعمل المبالغة ولكن (كيتاني) عدّ هذا دليلاً كافياً يدعم الزعم بأن خالداً ذهب الى العراق للسلب والنهب ، مع أن شريعة الحروب في الماضي كانت تبيح ، الى وقت غير بعيد ، الاستيلاء على الأموال وهذا أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة يصرح فيما كتبه عن حركات خالد أنه في كل حصن حاصره قتل من فيه من المقاتلة ، وسبى النساء والذراري ، وأخذ جميع ما كان فيه من السلاح والمتاع والدواب ، وهدم الحصن [1]

والذي يتتبع حركات العرب في العراق ، يتبين منها أنهم استهدفوا في حركاتهم فتح العراق ، وأنهم فتحوا في أول الأمر البلاد الواقعة الى غربي الفرات ، واستولوا على الحيرة مقرّ الإمارة ، وحاولوا اجتياز الفرات ، وفتح بعض المواضع بين نهري الفرات ودجلة ، ومكثوا في المواضع التي فتحوها الى أن استقر الأمر في بلاد فارس ، فجهز الفرس الجيوش لاسترداد البلاد وكان من الطبيعي أن ينسحب المسلمون من الأماكن التي مكثوا فيها ، ولا سيما لما سار خالد بن الوليد الى الشام ، تلبيةً لأمر الخليفة ، ونجدةً للمسلمين ، ومع ذلك كان انسحابهم موقتاً ، الى أن جهز الخليفة عمر بن الخطاب الجيوش بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وتمّ فتح العراق على يده

ولا يصح جعل هذا الانسحاب الموقت دليلاً على أن العرب لم يستهدفوا بحركاتهم في العراق الفتح ؛ لأن الانسحاب الى منطقة أمينة ، عند تأزم الموقف الحربي ، عمل تقضي به الضرورات العسكرية ونود بهذه المناسبة أن نشير الى أن المستشرق الشكوسلوفاكي (ميوسل) كان أول من سفه آراء (كيتاني) في هذا الشأن ، وانتقدها في كتابه (الفرات الأوسط) ، وسنرى في تعقيبنا لسير الحوادث أن خالداً كان في حركاته فاتحاً ، لا مغيراً

(١) كتاب الخراج : ص (١٦٩)

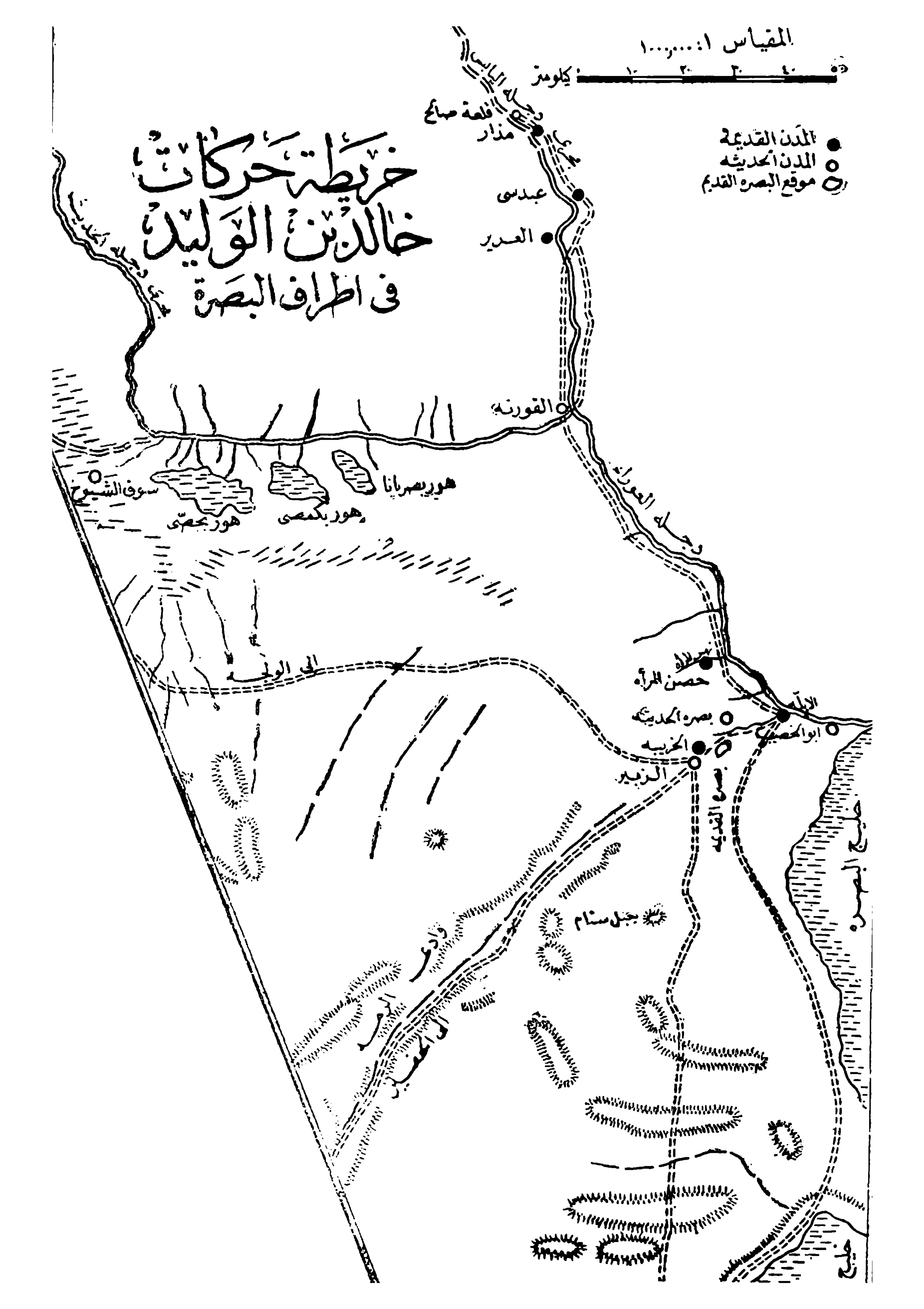
خالد في النباج : [أنظر خارطة الطرق] مكث خالد مـدة قصيرة في النباج ، واطلع في أثناء اقامته فيها على أخبار العدوّ ، وعلم أن الفرس يرابطون في مدينة الأُبُلَّـة بقيادة هرمز ، ولعل هذا القائد كان حاكماً في ثغر العراق ، الأُبلَّـة ، منذ مدة طويلة ولا بد أن المثنى حين لاقى خالداً في النباج أطلعه على موقف الفرس الذي بإزائه ، وقد لبى طلب خالد بالمجيء اليه ، وأتاه من خَفّان مسرعاً كما تشير الى ذلك الروايات وتكاد الروايات تجمع على أن المثنى كان متلهفاً على العمل ، مستنجداً بالخليفة ونورد فيما يلي رواية هشام بن الـكلبي عن المثنى :

« قال هشام ، قال أبو مخنف ، قال أبو الخطاب حمزة بن علي ، عن رجل من بكر بن وائل : إن المثنى بن حارثة الشيبانيّ سار حتى قدم على أبي بكر رحمه الله ، فقال : « أمّرني على من قبلي على قومي ، أقاتل من يليني من أهل فارس ، أكفيك ناحيتي » ففعل ذلك فأقبل ، فجمع قومه ، وأخذ يغير بناحية كسكر مرة ، وفي أسفل الفرات مرة أخرى ، ونزل خالد بن الوليد النباج ، والمثنى بن حارثة بخفّان معسكر ، فكتب اليه خالد ليأتيه ، وبعث اليه بكتاب من أبي بكر يأمره بطاعته ، فانقض اليه جواداً حتى لحق به »(١)

وذكر أبو حنيفة الدينوري أن رجلين من بكر بن وائل ، أي المثنى بن حارثة الشيباني وسويد بن قطبة العجلي ، أقبلا حتى نزلا جميعاً بتخوم العراق ، أرض العجم ، فكان يغيران على الدهاقين ، فيأخذان ما قدرا عليه ، فاذا طلبا أمعنا في البر ، فلا يتبعهما أحد ؛ وكان المثنى يغير من ناحية الـكوفة ، وسويد من ناحية الأُبلَّـة ، وذلك في خلافة أبي بكر وأضاف أن المثنى كتب الى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ، ويعرفه وهنهم ، ويسأله أن يمده بجيش ... » (٢)

وقال البلاذري : « إن المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيباني ، كان يغير على السواد من قومه ، فبلغ أبا بكر الصديق عنه خبره ، فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيباني ثم إن المثنى قدم على أبي بكر ، فقال له : يا خليفة رسول الله ، استعملني على

(١) الطبري : ص (٥٥٢) . (٢) الأخبار الطوال : ص (١١٧ ، ١١٨) .



خريطة حركات
خالد بن الوليد
في اطراف البصرة
المقياس ١:١٠٠٠٠٠٠
كيلومتر
المدن القديمة
المدن الحديثة
موقع البصرة القديم
قلعة صالح
مذار
عبدسى
العذير
القورنة
سوق الشيوخ
هور بحصى
هور بكمصى
هور بصريانا
الى الولجة
حصن المرأة
بصرة الحديثة
الخريبة
الزبير
الابلة
ابو الخصيب
جبل سنام
وادي
خليج البصرة

من أسلم من قومي ، أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفّانَ ، ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا ثم إن أبا بكر كتب الى خالد بن الوليد المخزومي يأمره بالمسير الى العراق ، وكتب أبو بكر الى المثنى بن حارثة يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه » (١)

هذه هي أهم الأخبار عن المثنى بن حارثة وقد ذكرنا فيما سبق رواية عمر بن شبة التي أثبتها ابن حبيش عن المثنى ويظهر مما أورده الدينوري أن المثنى وسويداً سلكا خطة البدو في مهاجمة البلاد المتاخمة لهم ولما كانت فارس في زمن ضعفها ومحنها ، كان من الطبيعي أن يتوغل المثنى في أرض فارس ، ويستولي على بعض المسالح التي أخلاها الفرس ، ومنها خفّان

واذا علمنا أن أخبار القتال تنتشر بسرعة ، وأن الناس في جزيرة العرب كانوا على علم تام بما كان يجري فيها من وقائع ، نجزم بأن المثنى بن حارثة ، وهو رئيس قبيلة مشهورة من قبائل بكر ابن وائل ، كان على علم بأخبار خالد في حروب الردّة ، وقد تعقب أخبار انتصاراته في براخة والبطاح واليمامة ، وكان بحكم سليقته البدوية يتوقع الانتصارات المذكورة التي لا بد أن تسوق القائد الظافر الى المسير الى تخوم العراق ، فيجعل هذا المسير جيش المسلمين وجهاً لوجه أما الاصطدام ، فليس فيه إلا الخسارة ، وقد يعقبها حرمان قبيلته من الغنائم التي قد يظفر بها المسلمون في قتالهم مع الحاميات الفارسية على الحدود ورأى أن المنفعة كلها في انحياز قبيلته الى المسلمين ، وتشجيعهم على محاربة الفرس ، وبذلك يتوصل الى هدفين : أحدهما المكاسب التي تنالها القبيلة ، والآخر الحصول على حليف قوي يساعد بكراً على خصومها اللُّدّ بني تغلب حلفاء الفرس ويفهم مما نقله السهيلي في كتابه الروض الأُنُف عن ابن كثير أن ثمة اتفاقاً بين النبي وعرب بكر بن وائل ضد الفرس ، ولهذا قال الرسول لما انتصرت بكر بن وائل في ذي قار : « هذا أول يوم انتصف العرب العجم ، وبي نصروا »

ولم يكن المثنى وحده من بني بكر الداعين الى غزو الفرس ، فالروايات تشير الى رئيس ثانٍ وهو سويد بن قطبة الذهلي ، أو قطبة بن قتادة الذهلي ذكر البلاذري عن أبي مخنف

(١) البلاذري : ص (٢٤٢) .

أن خالد بن الوليد حين أتى البصرة كان بها قطبة بن قتادة الذهلي من بكر بن وائل ، ومعه جماعة من قومه ، وهو يريد أن يفعل بالبصرة مثل فعل المثنى بالكوفة ، ولم تكن الكوفة يومئذ ، إنما كانت الحيرة [١] وكان هذا الرئيس أيضاً يغير من ناحية الخريبة في أطراف البصرة على الفرس ، كما كان المثنى يغير من خفّان على أطراف الحيرة وهناك رئيس ثالث من بكر بن وائل ، وهو مذعور بن عديّ العجلي ، كان قد كتب الى أبي بكر يعلمه حاله وحال قومه ، ويسأله توليته قتال الفرس ، فكتب اليه يأمره أن ينضم الى خالد ، فيقيم معه اذا أقام ، ويشخص اذا شخص [١]

والذي يظهر من هذه الأخبار أن ثلاثة قبائل من قبائل بكر بن وائل ، كانت على استعداد للانضمام الى جانب المسلمين في حروبهم في العراق ، وهي : قبيلة بني شيبان ورئيسها المثنى بن حارثة ، وقبيلة بني ذُهْل ورئيسها قطبة بن قتادة أو سويد بن قطبة الذهلي ، وقبيلة بني عجل ورئيسها مذعور بن عديّ العجلي ولا ريب في أن انضمام من أسلم من هذه القبائل الى جانب المسلمين زاد في عدد جيش خالد ، وكنا قدرنا عدده بأكثر من ستة آلاف مقاتل وبانضمام جماعات من بكر بن وائل اليه في العراق ، لا يستبعد أن عدده بلغ زُهاءَ ثمانية آلاف أما سيف بن عمر ، فقد قدره بعشرة آلاف : ألفان رجال خالد ، وثمانية آلاف من انضم اليه من قبائل مضر وربيعة

وكانت وصية أبي بكر لخالد لما ولاه العراق : « أن يبدأ بفرج الهند الأُبُلّة ، ويأتي العراق من أسفلها ، وأن يتألف قلوب الناس ، ويدعوهم الى الإسلام ، فان أجابوا ، والاّ أخذ منهم الجزية ، فان امتنعوا من ذلك قاتلهم وأمره ألا يُكْرِه أحداً على المسير معه ، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام ، وان كان عاد اليه ، وأمره أن يستصحب معه كل امرىء مرّ به من المسلمين » [٢]

وليس غريباً أن يتنافس رؤساء بني بكر الثلاثة ، المثنى وسويد ومذعور ، على الرئاسة ،

---

(١) البلاذري ، (٢٤٣)

(٢) تأريخ ابن كثير : (٥ ، ٦/٣٤٢) وجاء فيما كتبه ابن كثير : « ويأتي العراق من أعاليها » ، والصواب من أسفلها

ويطلبوا من أبي بكر أن يوليهم الرئاسة ؛ والتنافس على الرئاسة خلة مذمومة طالما أنزلت المصائب بالعرب ، وما يزال سبب نكباتهم ولعل هذه المنافسة هي التي اضطرب خالداً الى أن يخلف سويداً على البصرة بعد كسره الفرس في كاظمة ، ويتوجه الى الشمال وهدفه الحيرة يقيناً أنه كان بحاجة الى قوة سويد لتساعده في حروبه مع الفرس ، ولـكن فضل ترك تلك القوة مع سويد في أطراف البصرة على أن يكون في جيشه رئيسان متنافسان

ويبدو مما ذكره الدينوري أن المثنى نفسه لم يرح لتولية أبي بكر خالداً عليه ، ويذكر الدينوري أن المثنى كره ورود خالد ، وكان ظنّ أن أبا بكر سيوليه الأمر [١] والواقع أن عرض قبائل بني بكر حلفهم للمسلمين في مقاتلة الفرس ، كان ذا فائدة كبيرة ولو لا مساعدة أولئك القبائل ، لشقّ على المسلمين محاربة الفرس ؛ لأن طريق الغزو يمر بديارهم وإذا تنكر بنو بكر المسلمين ، يجابهون صعوبات في المحافظة على خطوط المواصلة التي تربطهم بالمدينة ، فينقطع عنهم المدد ، كما أن تراجعهم حين الحاجة يلاقي عناء ومشقة ، فضلاً عن أن الأنفال تتعرض للنهب ويلوح أنه اذا كانت قبائل بني بكر قد استفادت كثيراً من انحيازها الى المسلمين ، فان هؤلاء أيضاً استفادوا فائدة كبيرة بمظاهرة تلك القبائل وسنرى أن موقف بني تغلب المعادي للمسلمين ، والموالي للفرس ، شغل بال خالد كثيراً ، وقد اضطر الى القيام باغارات متوالية على أرض تغلب تارةً في اليمين ، وتارة في الشمال وبعد أن كسر شوكة تغلب ، استطاع أن يسلك وادي الفرات ويذهب الى الفراض ، ثم الى أطراف قرقيسيا والرصافة

وقد قدرنا سابقاً قوة خالد حين وصوله الى أرض العراق بأكثر من ستة آلاف ، وذكرنا أن قوة بكرمن جماعة المثنى في خفّان ، وجماعة سويد في أطراف البصرة ، لم تدخلا فى هذا العدد ؛ لأنهما كانتا تقاتلان الفرس في أرض العراق ونريد الآن أن نثبت القوة التي وصلت مع خالد الى النباج ، ونذكر الأخبار التي وردت عن قوة خالد :

(١) روى سيف بن عمر عن الشعبي أن أبا بكر كتب الى خالد حين ولاه أمر العراق أن يأذن لمن شاء بالرجوع ، ولا يستفتح بمتكاره ، وطلب اليه أن يستنفر مَنْ قاتل أهل الردة ومن

(١) الأخبار الطوال : ص (١١٧ ، ١١٨)

ثبت على الإسلام بعد رسول الله ، ولا يغزون معه أحد ارتد حتى يرى رأيه ؛ لهذا لم يشهد الأيام مرتدّ فلما قدم الكتاب على خالد بتأميره على العراق ، كتب الى حرملة وسلمى ومذعور باللحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنوده الأبُلَّة ، وذلك أن أبا بكر أمر خالداً في كتابه اذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند « الأبُلَّة » ليوم سمّاه ، ثم حشر مَنْ بينه وبين العراق ، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر الى ألفين كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية ممن كان مع الأمراء الأربعة : المثنى ، ومذعور ، وسلمى ، وحرملة فلقى هرمز (في كاظمة) في ثمانية عشر ألفاً (١)

(٢) كتب أبو يوسف نقلاً عن محمد بن اسحاق وغيره أن أبا بكر وجهَ خالداً الى العراق ، فخرج في ألفين ، ومعه من الأتباع مثلهم ، فمرّ بـ « فائد » ، فخرج معه خمس مئةٍ من طيء ، ومعهم مثلهم ، فانتهى الى « شراف » ، ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر (٢)

والذي يهمنا فيما ذكره أبو يوسف ، قوة خالد ؛ لأن أبا يوسف أخطأ في الطريق التي سارعليها خالد ، لأنه لم يمر بفيد ولا بشراف ، بل سار من النباج ، نباج بني عامر ، الى أطراف البصرة

(٣) روى سيف عن المغيرة بن عتيبة قاضي الكوفة ، قال : فرق خالد ، مخرجَهُ من اليمامة الى العراق ، جُندَه الى ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحد ، فسرّح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ودليله رافع (١)

يظهر من تلك الروايات أن قوة خالد التي أتت معه من اليمامة ، كانت ألفين ، وانضم اليها في طريقه الى العراق قوات من مضر وربيعة ، قُدِر عددها بثمانية آلاف ، وزعم أن ثمانية آلاف أخرى انضمت اليه بأمرة الأمراء الأربعة : المثنى ، ومذعور ، وسلمى ، وحرملة أما المثنى ، فنعلم أنه كان على رأس رجاله في خَفّان وأما مذعور ، أي مذعور بن عدي العجلي من بكر بن وائل ، فينبغي أنه التحق بخالد بعد وصوله الى النباج أما سلمى وحرملة ، فلا نعلم أين

(١) الطبري : (٢/٥٥٤) (٢) كتاب الخراج : (ص ١٦٩)

كانا والى أية قبيـلة ينتسبان ، ولم يرد أسماها في حروب خالد في العراق ، إنما وردا في مقاتلة الهرمزان قائد الفرس في خلافة عمر ولم يرد اسـم عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو في رواية الشعبي ، هل هما من حشور ربيعة ومضر كما جاء في الرواية ؟ ولا بد أن جماعات من تميم التحقت بخالد ، وهي من مضر أما بكر بن وائل ، فهي من ربيعة أما عدي بن حاتم ، فهو رئيس قبائل طيء ، وقد شارك خالد بن الوليد في قتاله أهل الردة ، وقبيلة طيء قحطانية ، ليست عدنانيـة من ربيعة أو مضر

يقيناً أن الشعبي بالغ كثيراً في العدد الذي ثبته أما أبو يوسف ، فقد أنزل القوة الى خمسة آلاف أما المغيرة بن عتيبة ، فقسم جيش خالد قبل حركته من النبـاج الى الحفير ثلاث فرق : فرقة المثنى ، وفرقة عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ، وفرقة خالد وقد ثبتنـا فيما تقدم أن المثنى كان في خفّان ، ولم يكن في النباج ، أتى النباج بنفسه لمواجهة خالد ، أما جنده فبقي في خفان

والذي نتبينه مما سبق أن خالداً وصل الى النباج مع من قاتل معه في اليمامة ، وهم ألفـان ، وقد انضم الى ذلك جماعات من مضر ومن ربيعة من بني تميم و بني أسد وهوازن ومُزَينة وغيرهم ، فزاد عدده حتى بلغ خمسة آلاف فأكثر ، وانضم اليه في النبـاج رجال من طيء ما عدا الذين كانوا معه بإمرة عدي بن حاتم

هكذا بلغت قوة خالد وهو بالنباج أكثر من ستة آلاف ، وأخيراً انحاز اليه مذعور بن عدي العجلي ، وهو من بكر بن وائل أما جنود المثنى وسويد ، فكانوا في مراكزهم في خفّان وأطراف البصرة ومما يجدر الإشارة اليه أن المهاجرين والأنصار الذين رافقوا خالداً في مقاتلته لأهل الردة وعادوا الى أهلهم بعد قتال اليمامة ، قفل عـدد منهم والتحق بخـالد ، وقد وردت أسماء هؤلاء في حروب العراق

وكان الموقف العسكري في النباج حين نزول خالد يتلخص فيما يأتي :

(١) جند المسلمين :

ا ـ خالد ومن رافقه في سفره من اليمامة ومن انضم اليه في طريقه الى النباج في النباج

ب ـ جماعات من قبائل طيء برئاسة عدي بن حاتم قادمة من فيد الى النباج ، على فرض

أن حاتماً عاد الى أهله بعد قتال الردة ، أو أنه ذهب الى قبائل طيء ليحثها على النفير لحرب العراق .

ج ـ المثنى وجماعته في خَفّان

د ـ سويد وجماعته في أطراف البصرة

هـ ـ مذعور بن عدي متحفزاً للالتحاق بجيش خالد

و ـ جماعات أخرى من هنا وهناك ، بلغها خبر سفر خالد لحرب العراق ، فسارعت من كل جهه للالتحاق به

(٢) جند الفرس :

ا ـ جند هرمز في الأُبُلَّة ، والمرابطون من رجاله في مسلحة كاظمة ومسلحة الخريبة .

ب ـ مسلحة الولجة

ج ـ مسلحة أُلّيس

د ـ جند الحيرة من أهل الحيرة والفرس بقيادة أزاذبه حاكم الإمارة

هـ ـ مسلحة عين التمر ، وفيها رجال من الفرس ومن بني تغلب

و ـ قوات فارسية في المدائن ومراكز أخرى

خالد في طريقه من النباج الى أرض البصرة : وكان هدف خالد الأول ، بعد وصوله الى النباج ، أرض البصرة والطريق الأقصر الذي يربط اليمامة بالبصرة يمر بالنباج كما قدمنا ، والغرض من أرض البصرة هو ثغر العراق « الأُبُلّة » ، وقد أشارت الروايات الى أن أبا بكر أمر خالداً أن يبدأ بالأُبُلّة ، وهو فرج السند والهند والواضح من تلك الروايات أن أرض البصرة ، كانت أول هدف اختاره خالد في حركاته

ومن المفيد أن نذكر ما كتبه (ميوسل) في هذا الشأن ، قال ميوسل : « ولأجل التوصل الى رأي صحيح عن الروايات المرتبكة التي رواها رواة المدينة ، ينبغي لنا أن نتثبت قبل كل شيء من اشتراك المثنى مع قبيلته في حروب خالد مع الفرس إن الحجج التي أدلينا بها آنفاً ستنال تأييداً آخر ، تجعلنا نؤكد أن خالداً لا يستطيع أن يقدم على حركةٍ ما ضد الفرس من غير مساعدة

قبائل بكر بن وائل واذا قبلنا أن رجال هذه القبيلة ساعدوه ، لزم أنهم غزوا قبل كل شيء ، المواضع التي تخرج منها القوافل التجارية التي تمر بأرضيهم متوجهةً الى الجنوب والجنوب الغربي أو الى المغرب والغرب الشمالي ، والمكان الذي تخرج منه القوافل يسمى « الأُبُلّة » ، تصدر منه أمتعة متنوعة الى مكة والى المدينة . ولا بد أن خالداً علم شيئاً كثيراً عن تلك القبيلة سواء حيما كان في اليمامة أو في النبّاج ، وأخيراً وجد نفسه في الطريق الذي تستعمله القبيلة عادةً وإذْ لم يتلق تعليمات صريحة من أبي بكر في أي طريق يسير ، أصبح حراً في اختيار الطريق ، لهذا سار من النباج على طريق القافلة الى الأُبُلّة ، ومنها ذهب لمساعدة بكر بن وائل في غزواتها للقرى الفارسية [1] »

ويتبين من رواية قاضي الكوفة المغيرة بن عتيبة أن جيش خالد اجتمع في النباج ، ومنه تحرك تدريجاً الى الأُبُلّة ، سرح المثنى على رأس رجاله ، وسرح بعده عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد بعدهم

لا نظن أن الحركة جرت كما ذكرها المغيرة بن عتيبة ، ولم يذكر هذا الراوي شيئاً عن مذعور وسلمى وحرملة ولا نعتقد أن النباج يتحمل حشد قوة كبيرة تبلغ ثمانية آلاف ما عدا الأتباع ، وكان الوقت كما ذكرنا من قبل بعد منتصف نيسان ، وفي هذا الوقت ينقطع المطر ثم لماذا لا يأتي المثنى مع جنده الى النباج ، ويتقدم بعد ذلك الى الحفير كما أشارت اليه الرواية ؟ والمسافة بين النباج وخفّان نحو من ست مئة كيلو متر واذا كان خالد جعل الحفير هدف الفرق الثلاث حقاً ، فينبغي للمثنى أن يتقدم لوجهه الى الحفير وفي اشارة الراوي الى أن الفرق تقدمت الواحدة بعد الأخرى ، دليل على أن الطريق بين النباج والحفير لا يتحمل مسير قوة كبيرة فيه ؛ لأن المنازل بين هذين الموضعين ليس فيها ماء كثير والحَفَـيْر ـ كما ذكره ياقوت ـ منزل من البصرة لمن يريد مكة ، وهو واقع في بطن وادي الرمة ، وفيه مياه غزيرة ، في منتصف طريق (النباج ـ الأُبُلّة) ، والمسافة بينهما زُهاء ست مئة كيلو متر وما دامت القوات التي ألفت جيش خالد ترابط في مواضع مختلفة في النباج ، وبينه وبين فيد وخفّان وأماكن غير بعيدة عن

(١) ميوسل : الفرات الأوسط (ص ٢٩٢) .

النباج كما أشرنا ؛ وما دام الحفير هو مركز التجمع لتلك القوات ، فالمقول أن تسير هذه القوات من مواضعها الى الحفير على طرق مختلفة ، كأن يتوجه خالد بمن معه من النباج ، والمثنى من خفان ، ورجال طيء بين فيد والنباج يسرعون الخطا وراء خالد ، وكذلك القوات الأخرى تسير رأساً الى الحفير ، وهذا المسير من مواضع مختلفة نحو مركز واحد ، أي الحركة على الخطوط الخارجة كما يعبر عنه استراتيجياً ، ينطبق على ما رواه المغيرة بن عتيبة

الأمراء الذين رافقوا خالداً في قتاله في العراق : رافق خالداً رؤساء أمرهم في بعض أعماله والذين وردت أسماؤهم في الروايات هم أربعة ، أثبتهم سيف بن عمر ، وهم : حرملة ، وسلمى ، والمثنى ، ومذعور أما المثنى ومذعور ، فمن رؤساء بكر بن وائل وأما حرملة وسلمى ، فلم يرد أسماؤهما في أعمال خالد كما أشرنا الى ذلك سابقاً وروى المغيرة بن عتيبة فذكر اسم المثنى وعدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ، وجعل كلاً منهم أميراً على فرقة من جيش خالد وهناك أمراء آخرون وردت أسماؤهم في أعمال خالد فإما أنهم أوفدوا على رأس قوة للغزو ، وإما أنهم شاركوا خالداً في قتاله ، أو تولوا بعض أعماله ، وشهدوا كتب الصلح التي كتبها خالد ابن الوليد ومن هؤلاء رجال من بني تميم ومن أسد ومن طيء ومن هوازن ومن مزينة ومن الأنصار ، وهم :

هشام بن الوليد ، وحنظلة بن الربيع ، والقعقاع بن عمرو التميمي (وورد اسم هشام وحنظلة في شهادتها لكتب الصلح أما القعقاع ، فقيل عنه : إنه لما أذن أبو بكر لأهل المدينة بالرجوع الى أعلهم بعد قتال اليمامة أمد خالداً بالقعقاع ، فقال له الصحابة : أتمد رجلاً قد ارفض عنه جنوده برجل ؟ فقال أبو بكر : لا يهزم جيش فيه مثل هذا) وعبد الله بن وثيمة النصري ، وبشير بن الخصاصية ، وسويد بن مقرن المزني (بعثهم خالد عمالاً) ، والأقرع بن حابس (جعله أميراً على مقدمته في سفره لنجدة عياض بن غنم) ، وبشير بن سعد ، ومحمد بن مسلمة (الأنصاريان اللذان شهدا بأن الرسول وعد خريم بن أوس الطائي أن يعطيه ابنة بقيلة اذا فتح الله عليه الحيرة) وبسر بن أبي رهم ، وسعيد بن مرة العجلي (اللذان كانا رئيسي الكمين الذي رتبه في الولجة) وضرار بن الخطاب ، وضرار بن مقرن (اللذان عينهما خالد أميرين للثغور

مع آخرين) ، وورد اسم ضرار بن الأزور الأسدي بينهم (ولكن لم تتفق الروايات على اشتراكه مع خالد في حرب العراق ، ويقال انه استشهد في اليمامة) ، وكذلك ورد اسم جرير بن عبد الله البجلي (ولكن الثابت أنه شهد حرب العراق على رأس قومه في خلافة عمر ، وكان قد فضل الذهاب الى الشام بدلاً من العراق ، ولكن عمر شوقه للذهاب الى العراق وخصص به نصيباً أكثر من الغنائم) ، وورد اسم أبي ليلى بن فدكي ، وعصمة بن عبد الله أحد بني الحارث (أمرهما خالد في بعض أعماله) وكان جابر بن طارق ، والحجاج بن ذي العنق ، ومالك بن زيد ، ممن شهدوا كتب البراءات لأهل الخراج وورد اسم معقل بن مُقرن المُزَنيّ (الذي زعم سيف بن عمرو عن أبي الهيثم البكائي أن خالداً بعثه الى الأُبُلّة ليجمع له ما لها والسبي) ، وكذلك اسم شريح بن عامر من هوازن (استخلفه خالد في الخُرَيبة)

والواضح من الأعمال التي نيطت بهؤلاء الرجال أنهم كانوا من المتقدمين ، وكانوا إما رؤساء الجنود الذين ألفوا جيش خالد ، وإما ممن لهم حق الرئاسة

ومن معرفة القبائل التي ينتمي اليها هؤلاء ، تتيسر معرفة القبائل التي انضمت الى خالد في طريقه من اليمامة الى العراق

مسير خالد من النباج الى أرض البصرة : ذكرنا آنفاً أن الرواية التي روت أن الحُفير كان منطقة التجمع لقوات خالد المتفرقة ، هي رواية تنطبق على الواقع وكان الحفير في منتصف طريق (النباج ـ الأُبُلّة) ، وهو يبعد عنها زهاء ثلاث مئة كيلو متر ، وفيه مياه غزيرة ، لهذا يصلح أن يكون منطقة تجمع للقوات التي ثبتنا مواضعها ، أي النباج وفيد وخفّان ومحلات أخرى لبست ببعيدة عن النباج

أصحيح أن الحُفير أصبح فعلاً منطقة التجمع قبل الشروع في الهجوم على أطراف البصرة ؟

لأجل التثبت من ذلك ، ينبغي معرفة موقف الفرس في منطقة البصرة كان قائد الفرس في هذه المنطقة هرمز ، مقره الأُبُلّة مركز فرج السند والهند كما ذكره الرواة وأشاروا الى أن هذا الفرج هو أعظم فروج فارس شأناً ، وأشدها شوكة وقالوا إن صاحبه هرمز كان يحارب العرب في البر ، ويحارب الهند في البحر ويتبيّن من ذلك أن الفرس اهتموا بهذه

الناحية ولا بد أنهم خصصوا لها قوة كافية ولعل حامية الأُبلّة ، كانت أقوى الحاميات في أرض السواد ، لقربها من البادية ، ولكونها ميناء العراق الرئيس الذي عتار القوافل منه الأمتعة التجارية الواردة بالبحر ، فضلاً عن أن المنطقة المذكورة كانت غنية بالتمور وكان لا بد للقائد الفارسي أن يكون على علم تام بما يجري في بلاد العرب ، وقد تتبع أخبار الحروب الداخلية التي شنت فيها ، واستخبر انتصارات خالد ، وعلم قدومه من اليمامة الى النباج ولا شك في أن العيون ، وأكثرهم من عرب الضاحية ، كانوا يزودونه تلك الأخبار وكانت مدينة الأُبلّة واقعة على ملتقى نهرين : دجلة البصرة (أي شط العرب) من جهة ، ونهر الأُبلّة من جهة أخرى وكان هذان النهران يحميانها من الناحية الشمالية والشمالية الغربية ومن الناحية الغربية وقال ياقوت عنها إنها بلدة تقع على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة وكانت حينئذٍ مدينة فيها مسالح من قِبَلِ كسرى وقائد ، وذكر ابن الفقيه أن أردشير أعاد بناءها ، وأقام أخلافه مسلحة فيها ولقد قاومت مقاومة عنيفة سنة ١٤ هـ ، ولا بدّ أن سوراً كان يحميها من جهة البر وكان لها مسلحتان كما ذكرنا : مسلحة من الناحية الغربية ، وهي الخريبة ، وهي واقعة في أطراف الزبير ، وهي بمثابة حصن يستر الأُبلّة من جهة الغرب ، ويسد طريق (خفان ـ البصرة) وطريق (الحُفير ـ البصرة) والمسلحة الثانية ، كاظمة الواقعة في منتهى خليج الكويت ، وهي بمثابة حصن يسد الطريق القادم من اليمامة الى البصرة محاذياً لشاطئ البحر .

وفي الروايات ما يشير الى أن هرمز علم أن العرب تواعدوا الحُفير ، فنزل فيه ، وتعبى به واذا صحت هذه الرواية ، دلّت على أن جيش خالد لم يجتمع في الحُفير ، وأن هرمز أراد أن يباغته فيها ، ولكننا نجزم بأن الخبر غير صحيح ؛ لأنه لا يعقل أن هرمز يبتعد عن قاعدته الأُبلّة ثلاثمئة كيلو متر ، ويرمي بقوته في البادية ، وهو يعلم أن العرب سادة الموقف فيها ، واذا خسر المعركة في البادية فتقع منطقة البصرة جميعها مع القاعدة في يد العرب لهذا لا بدّ أن قوات خالد تجمعت في الحُفير ، وتقدمت بعد ذلك الى أرض البصرة ولا خطر على جيش خالد حين اجتماع القوات في الحفير ، لأن سويد بن قتادة أو قطبة بن قتادة الذهلي من بكر بن

وائل ، يستر هذا التجمع بقوته التي كانت مرابطة في أرض البصرة

ولعل التجمع جرى على الصورة الآتية :

سبقت قوة المثنى ، ووصلت قبل قوات خالد ، وسارت قوة طيء بقيادة رئيسهم على طريق (فيد ـ الحفير) ، ووصلت الى الحفير بعد خالد ويجوز أن قوات أخرى بقيادة رؤسائهم وصلوا الى الحفير من اتجاهات أخرى بحسب أماكن تجمعها والتقدم الى الحفير من اتجاهات مختلفة ، راحة للأرض ؛ لأنها لا تتحمل مسير قوات كبيرة فيها ، لقلة المياه المتيسرة

وقعة كاظمة : وفي الرواية التي رواها الشعبي ، أن خالداً كتب الى هرمز يحذره ألا يلومنّ إلا نفسه اذا لم يُسلِمْ أو يقرر الجزية ، لأنه جاء بقوم يحبّون الموت كما يحبّ قوم هرمز الحياة وتشير الرواية الى أن هرمز بعد تسلّمه الكتاب ، جمع جموعه ، وقدم حلبته الى كاظمة وأسرع اليها ولما علم في طريقه أن المسلمين تواعدوا الحفير ، مال اليه (١)

واذا صحت الرواية ، دلّت على أن هرمز كان يتوقع مجيء خالد من الحفير بالاتجاه الجنوبي الغربي ، والى كاظمة من الاتجاه الجنوبي ، الأمر الذي يدل على ان المسلمين كانوا يضللون أعداءهم في اشاعة الأخبار المضللة عن تقدمهم ان ارسال خالد انذاراً الى هرمز قد يتنافى مع تضليل العدو ، ولا سيما أن خالد بن الوليد اعتاد أن يخفي وجهة حركته عن عدوه ، لأنه كان يسعى لمباغتته وقبل قتاله لأهل الردة في بُزاخة ، سلك طريق بلاد طيء ، وبذلك أخفى وجهة حركته ولكن من جهة أخرى كان قادة المسلمين في فتوحات صدر الاسلام ، كثيراً ما ينذرون عدوّهم قبل القتال ، ويخيرونهم بين الدخول في الاسلام أو أداء الجزية ، وإلّا القتال عملاً بوصية الخليفة لهم ولهذا لا نستبعد أن خالداً أرسل ذلك الكتاب الى هرمز مع أحد رجاله ، ولا بد أنه كتم محل خالد .

والذي يتتبع أخبار القتال في كاظمة يظهر له أن خالداً بعد مسير جيشه من الحُفَير ، بدل وجهته ، فلم يَسرْ على طريق الأُبلّة الذي كان قائد الفرس يتوقع أن تسلكه القوات العربية ، وإنما توجه نحو كاظمة ، ليضلل عدوه ويستطيع مباغتته ويبدو أن عين خصمه كانت ساهرة ، لهذا ما إن علم من عيونه أن خالداً أمال الناس الى كاظمة حتى بادره فيها وفي أطراف

(١) تأريخ الطبري (٢/٥٥٤ ، ٥٥٥)

هذا الموضع ، نشب القتال بين المسلمين والفرس لأول مرة ، وكانت الغلبة للمسلمين

وقد أشرنا الى أن كاظمة كانت مسلحة للفرس ، واقعة على سيف البحر ، وفيها ماء مشروب كما وصفها ياقوت ري لماذا فضل خالد التوجه الى كاظمة بدلاً من المسير بوجهه من الحفير الى الأُبلة ، أكان هذا الطريق شحيح المياه ؟ أم أراد أن يباغت كاظمة ، ويستولي عليها ، ويجعلها قاعدة حركته في الإغارة على الأُبُلَّة ؟ ولكن الأخبار تدل على أن عدوه هرمز سبقه اليها ، وكان الماء بيده ، فاضطر خالد أن ينزل على غير ماء ، وبهذا أصبح موقفه حرجاً ، وقد انتقده أصحابه على ذلك ، وكان جوابه لهم مضرب المثل ، اذ قال لهم : « جالدوهم على الماء ، فلعمري لَيَصيرَنَّ الماءُ لِأَصبرِ الفريقين ، وأكرم الجندين »

لا نريد أن نتوسع في أخبار القتال ، وفيها على ما يبدو تفصيلات مصطنعة ، كاقتران رجال هرمز بالسلاسل وبراز هرمز لخالد ، والخبر الوارد عن فتح المسلمين للأُبلة ... والثابت أن الأُبلة فتحت في خلافة عمر على يد عتبة بن غزوان وبعد ، فهي مدينة حصينة كما قدمنا ، ولكن القتال أدى الى هزيمة الفرس ، فانفتح بذلك طريق البصرة بوجه المسلمين وذكر الطبري أن خالداً لما زحف الى هرمز ، ولاقى صفوفه ، أرسل الله سَحابة ، فاحدرت ما وراء صف المسلمين ، فقواهم بها ، وما ارتفع النهار الا وفي الغائط مقترن والخبر هذا يدل على أن الموسم كان نهاية الأمطار ؛ لأن المسلمين لم يتوقعوا نزولها وأشار البلاذري الى قتالٍ جرى بين خالد وأهل الأُبلة ، وذلك أن سويد بن قتادة الذهلي ، الذي كان يفعل بالبصرة ما يفعله المثنى بالحيرة ، قال لخالد إن أهل الأُبلة قد جمعوا اليّ ، ولا أحسبهم امتنعوا مني إلّا لمكانك ، قال له خالد : فالرأي أن أخرج من البصرة (يقصد أرض البصرة) نهاراً ، ثم أعود ليلاً فأدخل عسكرك بأصحابي ، فإن صبحوك ، حاربناهم ففعل خالد ذلك ، وتوجه نحو الحيرة فلما جن الليل ، انكفأ راجعاً ، حتى صار الى عسكر سويد ، فدخله بأصحابه ، وأصبح الأُبُلّيون ، وقد بلغهم انصراف خالد عن البصرة ، فأقبلوا نحو سويد . فلما رأوا كثرة مَنْ في عسكره ، سُقِط في أيديهم ، وانكسروا [1]

(١) البلاذري : ص (٣٤٤)

لا يشير البلاذري الى قتال كاظمة . وبخبره الآنف الذكر ، يثبت وقعة جرت بين خالد وأهل الأبلّة في أطراف البصرة ، هل وقعت هذه الوقعة قبل قتال كاظمة أو بعدها ؟ وفي كلا الأمرين كان الأبلّيون يعلمون قدوم خالد الى أرض البصرة ، كيف غرروا بقومهم ؟ والغريب في هذا الأمر أن الطبري لم يشر الى هذه الحادثة ، مع أنه كتب تأريخه بعد البلاذري ، والمفروض أنه اطلع على كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها في تأريخه ويورد البلاذري أن خالداً مرّ بالخريبة ، بعد القتال في أطراف الأبلّة ، ففتحها ، وسبى مَنْ فيها ، واستخلف بها شريح بن عامر من هوازن وكانت الخريبة مسلحة للفرس كما بينا ، وهي واقعة أطراف الزبير ، وذكر ياقوت في سبب تسميتها بالخريبة أن المرزبان كان قد ابتنى بها قصراً ، وخُرب بعده ولما نزل المسلمون البصرة ، ابتنوا عنده ، وفيه أبنية ، وسموه الخريبة[1] والأخبار تدل على أن خالداً جعل المثنى على مقدمته بعد قتال كاظمة ، فانتهى المثنى الى نهر المرأة ، وهو - كما يظهر - أحد الأنهار التي تستقي الماء من دجلة (شط العرب) بالمدّ ، وهي كثيرة ، وفتح حصنها

ويشير سيف بن عمر ، وكذلك البلاذري ، الى قتالٍ جرى في المذار بعد وقعة كاظمة ، ويزعم أن فارس قتلت في المذار مقتلة عظيمة ، وأن عدد القتلى كان ثلاثين ألفاً وفي رأينا أن الخبر هذا غير صحيح ؛ لأن المذار ، وهو قاعدة كورة ميسان ، يقع جنوبي العمارة بالقرب من قلعة صالح ، وللوصول اليه ينبغي لقوات خالد أن تعبر مياه الفرات التي تجري من البطائح الى دجلة العظمى (أي شط العرب) ، وهذا ليس بمستطاعٍ خالد في موقفه يومئذ والثابت أن كورة ميسان ، فتحت في عهد عمر بن الخطاب على يد عتبة بن غزوان ، وقد أشار الطبري الى هذا في حوادث سنة ١٤ هـ وذكر ياقوت في مادة (المذار) أن عتبة بن غزوان فتحها في أيام عمر بعد فتحه للأبُلّة ويتبين مما أورده الطبري أن خالداً بعد أن خلف سويد بن قتادة الذهلي على البصرة ، أقام في (الثني) ولسنا نعرف موضع الثني تمام المعرفة ، ولكن العرب كما قال الطبري تسمي

(١) ومما ذكره ياقوت في مادة الخريبة نقلا عن حمزة أن البصرة بنيت على طرف البر الى جانب مدينة عتيقة من مدن الفرس كانت تسمى (وحشتا أباذ أردشير) ، فخربها المثنى بشن الغارات عليها فلما قدمت العرب البصرة ، سموها الخريبة ، وعندها كانت وقعة الجمل

كل نهر الثني والأنهار بين الأبلة وملتقى دجلة العظمى بنهر دجلة العوراء ، كثيرة وكذلك في قسم دجلة بين الملتقى والبطائح في أي نهر من هذه الأنهار أقام خالد ليشرف على إدارة الأرض التي افتتحها ورتب جباية الخراج عنها ؟ يلوح لنا أنه أقام على أحد أنهر ذلك القسم ؛ لأنه أقرب الى الأهداف التي اعتزم خالد المسير اليها . أقام خالد في ذلك الموضع يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم كما ذكر الطبري ، وأمر في الوقت نفسه المثنى أن يغير على الأطراف للحصول على الأرزاق والميرة لجيشه ، وأمر الفلاحين ومن أجاب الى الخراج ، فأجابوه ، وصاروا ذمة ، وصارت أرضهم لهم ؛ وكان في السبي أبو الحسن أي أبو الحسن بن البصري[1] ألا تدل أعمال خالد هذه على أنه اعتزم فتح العراق ، لا الإغارة عليه للنهب والسلب كما زعم (كيتاني) ؟

وبينما كان خالد ينظم إدارة البلاد في الثني ، ويتخذ الحيطة اذا راجع بإقامة قوة في الحفير ، كان في الوقت نفسه يتجسس أخبار العدو وجاء في الطبري أن خالداً في طريقه الى خفان أمر على الجند سعيد بن النعمان ، وجعل سويد بن مقرن المُزَني رِدْءاً له ، كما طلب اليه أبو بكر ، وأمره بنزول الحُفير[1] ويظهر من ذلك أن خالد بن الوليد سار من أرض البصرة متوجهاً الى الحيرة على طريق خفان حذراً ومتيقظاً ، فخلف سويد بن قتادة الذهلي في البصرة ، وعينه قائداً على الجند في تلك الأرض ، وأقام رداً له في الحُفير ليحمي ظهره ، ويحتفظ بخطوط مواصلاته بالحجاز ، ويبث العيون ليتجسسوا له الأخبار

ومن المفيد أن نذكر أن حركات خالد هذه كانت تجري في أواخر الفترة المضطربة التي سادت بلاد فارس يومئذٍ ، وكان المتنفذون من أشراف فارس يخلعون ملكاً أو يقتلونه وينصبون ملكاً آخر مكانه ، وكانت قبيل أن يتفق الأشراف على تنصيب يزدجرد بن شهريار ملكاً ، وهو ما يزال صبياً وذكر المستشرق الألماني نولدكه أن جلوس يزدجرد على العرش الساساني تم في أوائل سنة ٦٣٣ م ، أي في أواخر سنة ١٢ هـ ، ولكن أخبار الطبري تنفي ذلك لقد جرت حركات خالد في العراق في أوائل سنة ١٣ هـ ، أي في أوائل سنة ٦٣٣ م ، وكان الذي يتولى الملك في هذه السنة كما أثبته الطبري أردشير الذي مات في هذه السنة . أما (كيتاني) ، فذكر في

(١) تأريخ الطبري ص (٢٠٥٨)

تاريخه (حوليات الاسلام) أن أردشير حكم سنتين : سنة ٦٢٨ م ، وسنة ٦٢٩ م اللتين تصادفان سنة ثمان وسنة تسع للهجرة ولكن الطبري يؤكد أن أردشير كان على عرش فارس قبل فتح المسلمين للحيرة واذا صحت رواية الطبري ، فيكون الفرس في أسوأ عهودهم حينما هاجم خالد بلادهم ؛ لأنه تولى الملك بعد أردشير زهاء ثمانية ملوك في فترة قصيرة ، وهم كما ذكر كيتاني : شهربراز ، وبوران ، وجشنسده ، وآزرميدخت ، وكسرى الثالث ، وخرزاد خسرو ، وفيروز الثاني ، وهرمز الخامس وتولى الملك بعدهم يزدجرد ، فاستقرت الأمور في أوائل عهده بعض الاستقرار

وقعة الولجة [أنظر خارطة الفرات الأوسط] : إن انتصار خالد على هرمز قائد فرج السند والهند في كاظمة ، ومروره من الخاطف بالأبلة ، وفتحه لحصني المرأة والخريبة ، كل ذلك نبه الفرس على الخطر الذي أخذ يهدد ممتلكاتهم في العراق ، فأيقنوا أن الحركة هذه ليست حركة غزو واغارة طارئة مما كان العرب يقومون به من وقت لآخر لجر مغنم ثم ينسحبون الى البادية . لهذا نشاهد الفرس يجمعون ما تيسر جمعه من قوى ، ويوجهونها الى الجهة التي يجاهدون فيها لمنع تقدم خالد الى إمارة الحيرة ، فاختاروا الولجة لهذه الحركة

والولجة ـ كما بينا سابقاً ـ مسلحة من مسالح الفرس ، واقعة على طريق (البصرة ـ خفان ـ الحيرة) ، وقد ثبتناها بعين ضاحك الواقعة الى جنوب غربي الشنافية ، وهي من عيون الطف كما ذكره البلاذري ويبدو أنها كانت على الحافة الشرقية للأرض العالية التي تحد أرض العراق من ناحية الغرب ، لهذا لم تصل اليها مياه البطائح ذكر الطبري أن أردشير ملك فارس لما اطلع على خبر هزيمة الفرس ، أرسل القائد أندرزغر (وهو فارسي من مولدي السواد ، وكان قائداً على فرج خراسان ، ولعله كان على رأس القوة التي تحمي المملكة الفارسية من هجمات الهياطلة ، أي قبائل الهون البيض الذين كانوا يهاجمون المملكة من ناحية الشرق) ولم يكتف أردشير بارسال هذا القائد ، بل أرسل في أثره قائداً آخر يدعى (بهمن جاذويه) على رأس جيش ، وطلب اليه أن يتعقب طريق أندرزغر الذي خرج من المدائن سالكاً الطريق الأقصر ، ماراً

---

(١) تأريخ الطبري : ص (٥٥٨)

بكورة كسكر ، حتى بلغ الولجة . أما بهمن جاذويه ، فبدلاً من أن يتعقبه ، غيّر طريقه ، فسلك وسط السواد ، وجمع قوة من العرب الموالين للفرس أوعرب الضاحية (كما أشـار الطبري) والدهاقين ، وأمدّ بهم أندرزغر ، فعسكر هؤلاء الى جنب جنده في الولجة .

وكان خالدعلى علم بما يجري في بلاد العدو . فلما بلغه نزول أندرزغر بالولجة ، تقدم من الثني اليها . ذكر الطبري أن خالد بن الوليد تقدم الى من خلف في أسفل دجلة ، وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة وترك الاغترار ، وخرج سائراً نحو الولجة [1] . ويتبين من الأخبار أن أندرزغر أغتر بقوته وبمن التفّ حوله من أهل البلاد من عرب ودهاقين ، فبدلاً من أن يبقى في الولجة وينتظر ورود جيش بهمن جاذويه ويتخذ التدابير لمقابلة جيش خالد ، تقدم بقوتـه نحو خالد عملاً بالخطـة التي كان يسير عليها قادة الفرس في العراق لضرب العرب في عقر دارهم ، فتوغل في البادية . أما خالد ، فكان يعلم أن عدوّه يفوقه عدداً وعدةً ، فاتخذ خطة مفاجأته ، وتقدم ببعض جنده نحو أندرزغر ، ورتب كمينين في ناحيتين ، جعل عليهما : بسر بن أبي رهم ، وسعيد بن مرة العجلي . وذكر الطبري أن القتال في الولجة جرى في صفر ، وهذا ينطبق على ما بينا سابقاً أن خالداً بلغ أطراف البصرة في أوائل صفر . بدأ القتال باصطدام قوة خالد بجيش أندرزغر وبمن التف حوله ، وجاء في الرواية أن الفريقين اقتتلا قتالاً شديداً حتى ظنّا أن الصبر قد أفرغ [2] : الفرس يريدون أن يهزموا المسلمين ويبعدوا خطرهم عن أرض السـواد ، وخالد يجالد بقوته الصغيرة ليكسب الوقت حتى يظهر كميناه من جانبي العدوّ ، وقد استبطأ كمينه كما أشارت الرواية . وأخيراً خرج الكمينان ، وكان خروجهما في وجهين مفاجأة للفرس لم يُعدّوا العدة لها ، مما أدى الى اندحارهم ، فولّوا مهزمين ، فأخـذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، ومضى أندرزغر في هزيمته فمات عطشاً . وذكر الرواية أن خالداً قام بعد الانتصار خطيباً في الناس يرغبهم في بلاد العجم ، ويزهدهم في بلاد العرب ، وقال لهم : « ألا ترون الى الطعام كرفغ التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ، ولم يكن الا المعاش ، لكان الرأي أن نقارع

(١) تأريخ الطبري : ص (٥٥٩) . (٢) تأريخ الطبري (٢/٥٥٩)

على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه[1] » وخطاب خالد هذا ، يسفه رأي (كيتاني) في أن المسلمين لم يقصدوا بغزوهم للعراق إلا السلب والنهب ، بيما نشاهد خالداً يحث المسلمين على فتح البلاد ، لتصبح لهم ، يعيشون على خيراتها

وقعة أليس : تقع ألّيس على صلب الفرات في ضفته اليمنى ، وقد ثبتناها في غرب شمالي الشنافية على بعد زهاء عشرين كيلو متراً ، وكانت مسلحة لمدينة أمغيشيا الواقعة الى شمالها بمسافة زهاء خمسة كيلو مترات على الضفة اليمنى أيضاً ، وكانت مصراً كالحيرة كما ذكر الطبري ، . وكان فرات بادقلى من شعب الفرات ينتهي اليها ولقد علم بهمن جاذويه القائد الفارسي بهزيمة الفرس في الولجة ، وكان وقتئذٍ في قسياثا البلد الذي ثبتنا موضعه في غربي النخيلة على الضفة اليمنى من الفرات ، وكان هذا القائد قد نيطت به مهمة الدفاع عن أرض السواد ضد المسلمين ، وكان قد قدم أندرزغر الى الولجة ، وبقي هو في أرض السواد بدلاً من أن يسرع الى الوجه الذي كان المسلمون يتقدمون نحوه ويضم قواته الى قوة أندرزغر ويتبين من الأخبار أن بهمن جاذويه ، كان القائد الأعلى في العراق ، وكان أندرزغر في إمرته ، وجهه الى الولجة على أن يلتحق به ففي هذه المرة أيضاً نرى أن بهمن جاذويه يكتفي بارسال قائدٍ فارسي آخر يدعى جابان الى أُلّيس ، ويذهب هو الى المدائن ليجتمع بأردشير ، ويتلقى أوامره . فوجده مريضاً ، فانصرف عن الأمر الذي كُلِّفَهُ ، وترك جابان وحده ، وكانت وصاياه لقائده هذا : أن يتقدم نحو العرب ، ولا يقاتلهم حتى يلتحق به هو وجيشه ، إلا اذا عاجلوه

ويبدو أن بهمن جاذويه كان يحترس من الاشتراك بنفسه في القتال ، إما لقلة قواته ، فاكتفى بارسال من استطاع أن يحشره ويرسله على عجل ليحول دون تقدم المسلمين ، وإما لأنه كان على علم بما يجري في البلاط الفارسي من دسائس ومؤامرات ، فأراد أن يكون قريباً من العاصمة ، ليكون له نصيب في تلك المؤامرات ، وهذا يدل من غير شك على ضعف قوة الفرس في العراق من جهة وعلى انصراف القادة عن الاهتمام بأمر الدفاع وربعهم بما يجري في البلاط .

وكان مقاتلة خالد لعرب الضاحية الذين انضموا الى أندرزغر في الولجة مما أثار حفيظة بني

(١) تأريخ الطبري : (٢/٥٥٩) .

قومهم من النصارى ؛ لأن خالداً أصاب في تلك الوقعة نصارى بكر بن وائل ، فانتهز الفرس هذه الفرصة ، فكاتبوا الحانقين على خالد ، وأمالوهم الى جانبهم ، وحشروهم في أُلَّيس بقيادة عبد الأسود العِجْلي من بني عجل وتيم اللات وضبيعة ، وانحاز إلى الفرس عربُ الضاحية من أهل الحيرة ، وساند جابر بن جبير ومالك بن قيس عبد الأسود ، وبذلك اجتمعت قوة غير قليلة من نصارى العرب ومن ساندهم في أُلَّيس وكان لابد للمسلمين من بني عجل أن يكونوا أشد الناس على أولئك النصارى ، ومن هؤلاء المسلمين عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيّان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي أحد رؤساء بني عجل

أما القائد الفارسي جابان ، فيظهر أنه اغترّ بالقوة العربية التي انضمت اليه ، فسار الى أُلَّيس بجنده غير منتظر التحاق بهمن جاذويه به . والذي يستفاد من الروايات أن خالد بن الوليد كان قد بلغه تجمع عرب الضاحية ونصاراهم بقيادة عبد الأسود وجابر بن جبير ، فأراد أن يباغتهم قبل أن يدهم الجند الفارسي

وقعت معركة أُلَّيس في صفر كما ثبتها الطبري ، ولا بد أن تكون في نهايته ، وتقدم خالد بجيشه وهو لا يعلم بدنوّ جابان ، وتزعم الروايات أن جند جابان خالفوا أوامره أن يكونوا على أهبة القتال ، وبدلاً من ذلك بسطوا البسط ووضعوا أطعمة الغذاء وتداعوا اليها غير محتفلين بقوة خالد (١)

والمفهوم من سير القتال أن عرب الضاحية ونصاراهم كانوا في المقدمة ، وكان الفرس في المؤخرة ؛ لهذا نشب القتال أولاً بين جند خالد وبين هؤلاء العرب ، وبدأ بالبراز بين خالد وقيس ابن مالك ، فقتله خالد ولما علم الفرس بنشوب القتال ، تركوا طعامهم وتسارعوا الى نجدة من انضم اليهم من العرب ، فسرى لهيب الحرب بين جيش خالد وجيش جابان ، واشتد سعيرها وتذكر الرواية أنهم : « اقتتلوا قتالاً شديداً ، والمشركون يزيدهم كلباً وشدةً ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه » ، ويدل ذلك على أن جابان كان يجهل انصراف بهمن جاذويه عن المهمة التي نيطت به

---

(١) الطبري : (٢/ ٥٦) .

ويبدو أن خالداً لقي في قتاله عنفاً من عدوّه جعله يقسم بالله لئن منحه أكتاف عدوه لن يستبقي منهم أحداً قدر عليه حتى يجري النهر بـدمائهم[١] ، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين على أعدائهم وتزعم الرواية أن خالد بن الوليـد برّ بقسمه عناداته رجاله أن يأسروا الأعداء ولا يقتلوا الا من امتنع ، فسيق الأسرى أفواجاً ، فوكل من يضرب أعناقهم في النهر وتذكر الرواية أن خالداً فعل بالأسرى ذلك يوماً وليلة ، واندفع رجاله يطلبون الأسرى حتى انتهوا الى موقع النهرين ، فضربت أعناقهم ، ولـكن دماءهم لم تجرِ في النهر ، حتى قال القعقـاع بن عمرو التميمي لخـالد : « لو أنك قتلت أهل الأرض ، لم تجر دماءهم ، إن الدماء لا تزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء ، فأرسل الماء تَبَرّ يمينك » ، وكان خالد قـد صد الماء عن النهر ، فأعاده ، فجرى دماً عبيطاً فسمي (نهر الدم) لذلك الشأن الى اليوم[١].

من العسير أن يصدق المرء هذه الرواية ؛ لأن قوة الفرس ، كما أثبتنا ، لم تـكن من الكثرة بحيث يأمر خالد بن الوليد بضرب أعناق الأسرى يوماً وليلة ، ويطلب رجاله الأسرى في غد المعركة وبعد الغد من كل الجوانب كما أشارت اليه الرواية ، وجاء فيها أن عدد القتلى بلغ سبعين ألفاً[٢] والذي يتراءى لنا أن القتال جرى في أطراف أُلَيس ، وهي واقعة على ضفة الفرات اليمنى ، وكان الموسم حينئذٍ موسم فيضان نهر الفرات ، لأن أشد أيام الفرات فيضاناً تقع في أيار واذا كانت المعركة جرت في نهاية صفر سنة ١٣ هـ ، فهذا التأريخ يصادف منتصف أيار ، وهو الوقت الذي يكون الفرات على أشد فيضانه ويكون لونه أحمر باختلاط الطَّمْي فيه ، ولا يستبعد أن بعض الأعداء قتلوا ، وهم يحاولون اجتياز النهر ، فاختلط دمهم بماء النهر ، وظن بعض المسلمين الذين شـهدوا القتال أن النهر جرى دماً ، فانتقلت الأسطورة هذه من جيـل الى جيل ، فوصف الأخباريون ذلك بالصورة التي وردت في الروايات

روى سيف بن عمر أن خالداً لما فرغ من وقعـة أُلَيس أتى (أمغيشيا) ، وكان قـد جلا

(١) قال خالد : « اللهم ، إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم » الطبري : (٥٦١/٢)

(٢) الطبري : (٥٦٢/٢)

أهلها وتفرقوا في السواد ، فأمر خالد بهدمها ، لهذا لم يذكر جغرافيو العرب اسم أمغيشيا في مباحثهم كما أشرنا اليه من قبل ، لأنها كانت مندثرة في زمنهم وذكر ابن اسحاق أن ألّيس سلّمت صلحاً على أن يكون أهلها عيوناً لعدو المسلمين وزعم (كيتاني) أن ألّيس وأمغيشيا موقع واحد ، فرد عليه (ميوسل) ذلك كما أوضحناه في بحثنا في جغرافيا العراق زمن الفتح .

لقد تغلب خالد على جميع القوات التي استطاع الفرس أن يجهزوها على عجلة ، في مسيره من أطراف البصرة متوجهاً الى الحيرة سالكاً ضفة الفرات اليمنى ، وقد هزمها الواحدة تلو الأخرى وكان ارسال الفرس قواتهم تباعاً خطأً فاحشاً ، لأنهم بذلك مهدوا لعدوهم الغلبة السهلة ، فالتقمهم خالد لقمة لقمة ولعل سبب ذلك حالة الفوضى السائدة في البلاط الساساني من جهة ، وقلة استعداد الفرس للدفاع عن العراق من جهة أخرى ؛ وكانت الحروب التي وقعت قبل بضع سنين بينهم وبين البيزنطيين قد نهكت قواتهم ، وأخلت خزائنهم أضف الى ذلك أن (الهياطلة) ، أي قبائل الهون البيض ، انتهزوا فرصة ضعف الانبراطورية الساسانية ، فأخذوا يهددون حدودها الشرقية ، فاضطر ملوك ساسان الى إرسال خيرة جنودهم الى تلك الناحية

جرت حركات خالد في جنوبي العراق على نحو ما شرحنا استناداً الى الروايات التي روى معظمها سيف بن عمر كما ذكرها الطبري ، وهي تدل على أن المثنى بن حارثة الشيباني اشترك في الحركات جميعها وقد ثبت ابن الكلبي والبلاذري ، وهما من رواة المدينة ، أخبار خالد على النحو الذي فصلناه أما رواة المدينة الآخرون كابن اسحاق والواقدي ، فلم يشيروا الى هذه الحركات ، وقالوا : إن خالداً ذهب فوراً الى العراق من غير أن يمر بأرض البصرة ، ولم يذكروا فتحاً وقع قبل فتح قريتي (بانقيا) و (باروسما) ومدينة الحيرة ، ولم ينوهوا باسم المثنى

وقد لفت هذا الأمر نظر المستشرق الجيكوسلوفاكي (ميوسل) ، فعلله بأن المثنى بن حارثة كان مجهولاً في المدينة وفي مكة ، وأن إسلامه كان مشكوكاً فيه ، واذا كان أسلم حقاً فانه لا يعلم عن الاسلام الا قليلاً ، ولم تكن له صحبة ؛ لهذا تراءى لابن اسحاق والواقدي وغيرهما من رواة المدينة أنهم اذا أشاروا الى مساهمة المثنى خالداً في نشره راية الاسلام ، يكونون قد جعلوه ذا مفخرة ويضيف (ميوسل) أن رواة آخرين من مدرسة المدينة ذكروا اسم المثنى ، ولكنهم حاولوا

أن يقللوا من شأنه جهد طاقتهم في مساهمته خالداً في انتصاراته في العراق . وفيما كتبه (ميوسل) في رحلته (الفرات الأوسط) اشارة الى أن ابن اسحاق وآخرين تعمدوا السكوت عن حركات المثنى في أرض البصرة وجنوبي الفرات للسبب نفسه

ومع أن بعض الروايات تشير الى أن المثنى وفد الى الرسول حينما عرض نفسه على القبائل بعد وفاة عمه أبي طالب ، وكان من القبائل بنو ذهل وفيهم المثنى بن حارثة الذي وصف يومئذ شيخهم وصاحب حربهم [١] ، وأنها تؤيد أنه أسلم وسعى في نشر الإسلام في قبيلته ، فان هناك ما يحمل على الشك في إسلامه زمن الرسول ، وذلك لبعد قبيلته عن المدينة ، ولعدم ورود خبر ما عن ارتداد قبائل بني بكر أو ثباتها على الاسلام في حروب الردة ، ولأن معركة أليّس تدل على أن النصرانية كانت قد انتشرت في هذه القبائل ، ولسكوت أصحاب السير عمن أرسل الى قبيلة المثنى لتعليم أحكام الإسلام فيها

زعم (كيتاني) أن سؤال أبي بكر عن المثنى يدل على أنه كان مجهولاً في المدينة ، أي لم يكن مسلماً أما البلاذري ، فذكر أنه لما عاد من المدينة بعد زيارته لأبي بكر ، عرض الاسلام على قبيلته ، وهذه اشارة الى أن قبيلته لم تكن مسلمة ومهما يكن الأمر ، فان انضمام المثنى الى جانب المسلمين أفادهم كثيراً ؛ لأن المسلمين أخذوا يصولون ويجولون في أرضٍ كان أهلها يدلونهم على عورات العدو ، ويكونون ردءاً لهم ، ويحمون خطوط مواصلاتهم

ومن الطريف هنا أن نذكر ما كتبه أبو يوسف في كتابه الخراج عن فتح خالد للعراق ، وكان أبو يوسف معاصراً لابن اسحاق وسيف بن عمر ، وقد توفي سنة ١٨٢ هـ ، وتوفي سيف بن عمر قبله بسنتين فانه بعد ما ذكر كيف وجه أبو بكر خالداً الى العراق ، وبيّن القوة التي انضمّت اليه من قبائل طيء في فيد ، قال :

« انتهى خالد الى شراف [٢] ، ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر ، فتعجب أهل شراف من خالد ومن معه ووغولهم في أرض العجم ، فانتهوا الى المغيثة ، فاذا طلائع خيل العجم ،

(١) الروض الأنف : (١/٢٦٤)
(٢) شراف : على طريق (المدينة ــ الحيرة) بين واقصة والقرعاء

فنظروا اليهم ورجعوا ، وانتهوا الى حصنهم ودخلوه ، فأقبل خالد ومن معه الى الحصن فحاصرهم ، وفتح الحصن وقتل من فيه من المقاتلة ، وسبى النساء والذراري ، وأخذ جميع ما كان فيه من السلاح والمتاع والدوابّ ، وهدم الحصن ، ثم مضى حتى انتهى الى العُذَيْب وفيه حصن فيه مسلحة لكسرى ، فواقعهم خالد ، فقتلهم ، وأخذ ما كان في الحصن من متاع وسلاح ودوابّ ، وهدم الحصن ، وضرب أعناق الرجال ، وسبى النساء والذراري ، وعزل الخُمُسَ مما أفاء الله عليه ، وقسم أربعة الأخماس بين أصحابه الذين افتتحوه فلما رأى أهل القادسية ذلك ، طلبوا الصلح ، وأعطوا الجزية فمضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن كبير لكسرى فيه رجال من أهل فارس مقاتلة ، فحاصرهم ، وافتتح الحصن ، واستنزلهم ، ورئيسهم رجل من أهل فارس يقال له هرامزد ، فضرب عنقه ، واتكأ على جيفته ، ودعا بطعامه والآخرون مقرنون في السواجير فلما فرغ من طعامه ، ضرب أعناقهم ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وأخذ ما في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ولم يكن فى هذه الحصون التي افتتح أحصن منه ولا أكثر مقاتلة ولا سلاحاً ولا متاعاً ، ولا رجالاً أشد من رجال كانوا في حصن النجف ، فأخرب الحصن وأحرقه ، ثم بعث طليعة الى أهل أُلّيس وفيها حصن فيه رجال مسلحة لكسرى ، فحاصرهم ، وفتح الحصن ، وأخرج من فيه من الرجال ، وضرب أعناقهم ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح ، وهدم الحصن وأحرقه فلما رأى أهل أُلّيس ذلك ، وما صنع خالد بأهل الحصن ، طلبوا منه الصلح على أداء الجزية ، فأعطاهم ، فأدوا اليه الجزية ، ثم مضى الى الحيرة ... »[1]

هذا ما كتبه أبو يوسف عن حركات خالد في العراق من فيد الى الحيرة ، ويتبين منه أن أبا يوسف سيّر خالداً على طريق (المدينة ـ الحيرة) ، وأسهب فى تفصيل الحركة ، وجعل خالداً لا يمر بقرية الا يجد فيها حصناً فيحاصره ، ويستنزل أهله ، ويقطع رقابهم ، ويسبي نساءهم وذراريهم هكذا فعل في المغيثة وفي العذيب وفي النجف وفي أُلّيس كأنها قصة تتكرر وقائعها على نمط واحد

ويذكر أبو يوسف أن محمد بن اسحاق وغيره من أهل العلم بالفتوح والسير حدثوه

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج (١٦٩ ، ١٧٠)

بذلك ، وهو معذور فيما كتبه عن فتوح العراق ، لأنه لم يكن أخبارياً ولا من رجال السير ، إنما كان فقيهاً ومحدّثاً ، يسمع ما يقال له من أخبار المغازي والفتوح فيثبتها من غير تمحيص ؛ لأن الذي يهمه هو الفقه والحديث وقد شاهدنا فيما سبق أن روايات ابن اسحاق المذكورة في تأريخ الطبري لا تتضمن هذا الاسهاب ، ويبدو أن أبا يوسف خلط بين أمغيشيا أو امغيثيا والمغيثة ، وخلط بين هرمز قائد الأُبلّة وهرامزد الذي زعم أنه كان رئيساً لحصن النجف ، وجعل القرّنين في السلاسل من رجال هرمز في كاظمة القرنين في السواجير في محاصرة حصن النجف ، وجعل كلاً من العذيب والقادسية والنجف مسلحةً فيها حصون وحاميات . وقد بدا لنا مما أوضحناه أن الفرس كانوا يومئذٍ في حالة ضعف ، ولم يكن لهم في هذه الناحية مسالح ، ولا سبيلٌ لمحافظة هذه المسالح البعيدة عن السواد صحيح أنه كان للفرس حامية في عين التمر ، ولكنهم كانوا يقومون بحراسها بمؤازرة قبائل بني تغلب ، لأنها واقعة في أرضهم وصحيح أن العذيب كانت بيد الفرس بعد أن استقر الأمر في فارس واتخذوا التدابير للدفاع عن العراق حين اضطر المسلمون الى الانسحاب الى البادية بعد موقعة الجسر ، وقد وجدها سعد بن أبي وقاص بيد الفرس قبل معركة القادسية

وللمستشرق (ميوسل) نقدات على ما أورده أبو يوسف عن حركات خالد أحببنا إثباتها ، قال (ميوسل) : « إن في أخبار أبي يوسف متناقضات ، ومما يلفت النظر أنه لم يشر الى المثنى فيما أورده ، بينما كان يتعسر على المسلمين أن يغزوا المسالح الفارسية من غير مساعدة قبائل بني بكر ، فضلاً عن أنه لا يستطاع إرسال الغنائم الى المدينة ، لأنها تمر بديارهم ثم إن هذه المعارك الرتيبة من المغيثة الى النجف الى بانقيا وباروسما والحيرة ، لا تدل على أنها أحداث وقعت فعلاً ، ولا سيما أن موقف الفرس يومئذٍ لا يساعدهم على مدافعة تلك المسالح ، والحصون في المسالح تكون عادةً قوية ومبنية بالحجر والآجر وبالرغم من أن أبا يوسف جعل قوة خالد مؤلفة من خمسمئة وألفين من الخيالة والجمالين ، لم يكن لديها من الآلات الصالحة لمحاصرة الحصون والقصور وإذا كان الفرس قد احتلوها فعلاً ، وجب أن يكونوا قد ادخروا فيها أرزاقاً وذخائر كافية ثم إن أبا يوسف هو المؤرخ الوحيد الذي أشار الى حصن النجف ، ووصفه بأنه أكبر مسلحة للأعاجم ،

ومع ذلك فتحه بسهولة ، بينما لم تظهر مدينة الحيرة الواقعة بقربه نشاطاً يذكر في الدفاع وكذلك جعل نصف قوة خالد مؤلفة من الأتباع والعيال ، وهذا يخالف منطق الحركات العسكرية ؛ لأن القوة الغازية ينبغي أن تكون خفيفة الحركة ، سيارة ، تقوم بالإغارات المفاجئة ، فان خمس مئة وألفين من الأتباع والعيال تعوق حركاتها فضلاً عن حاجتها الى الماء والأرزاق والمرعى وغير ذلك [1] » .

وقعة المقر : أين يقع المَقَر ؟ هل هو اسم موضع ، أو هو صفة لذلك الموضع ؟ ذكره ياقوت في معجمه ، وقال عنه : هو في اللغة انقاع السمك في الماء والملح ، وأضاف أنه موضع قرب فرات بادَقْلى من ناحية البر من جهة الحيرة ، كانت به وقعة للمسلمين ، وأميرهم خالد بن الوليد في أيام أبي بكر ويبدو من مجرى الحركات أنه واقع بين أمغيشيا ومصب نهر بادَقْلى في الفرات ، وهذا النهر فرع من فروع الفرات يستقي الماء منه قبالة الجرعاء (الجمارة) ، ويجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، ويسقي مزارع قصبة أمغيشيا

لقد تغلب خالد بقوته الصغيرة ، الخفيفة الحركة ، على الفرس في أربعة مواقع ، وهزم الجند الذي استطاع الفرس تجهيزه ، وكان نصيب أكثر قادة أولئك الأجناد القتل أما القائد العام ، ففضل الاشتراك في المؤامرات في أحداث البلاط الساساني على تولي مهمة الدفاع عن أرض السواد ويظهر من مجرى الوقائع أنه بانهزام الفرس في أُلَّيْس وموت جابان ، خلا الميدان لخالد ، ولم يبق فيه الا حامية الحيرة ، وكان مرزبانها أي حاكمها ، كما ذكر سيف بن عمر ، أزاذبه وكان الازاذبه يحكمون إمارة الحيرة منذ أن قضى الفرس على المناذرة أمراء الحيرة ويظهر مما أورده سيف بن عمر أن حكام الحيرة كانوا لا يعدون قادة الفرس الآخرين إلا بأمر الملك ، ومعنى ذلك أن أزاذبه بقي في الحيرة لا يهتم بما وقع من الأحداث في جنوبي الفرات ، ولا بد أنه كان على علم تام بها ولكنه لما اطلع على أن المسلمين تغلبوا على الجند الفارسي بقيادة جابان في أُلَّيْس ، وهدمهم قصبة أمغيشيا ، وثق بأن الدائرة ستدور عليه ، أو أنه غير متروك كما قال الطبري ، فأخذ في أمره وتهيأ لحرب خالد

(١) ميوسل : الفرات الأوسط (ص ٢٨٩) .

ويبدو أن عيون خالد أخبرته بتحفز أزاذبه ليسد بوجهه طريق الحيرة ويحول دون فتحها ، ولم يبق أمام خالد الا الحيرة ، واذا فتحها يكون قد نال هدفه الثاني في حركاته

إن المسافة بين أمغيشيا والحيرة مرحلة واحدة تقطع في يوم ، ويقع مجمع الأنهار في منتصف المرحلة ، وقد ثبتنا موضع مجمع الأنهار بين أبي صخير والجمارة ، وفيه تجتمع ثلاثة أنهار : نهر العتيق وهو النهر الذي كانت ذنائبه تسقي القادسية ، ونهر برسف ، ونهر السيلحين

وقد اعتمد (ميوسل) على ماذكره الطبري ، وقال: إن مجمع الأنهار الموضع الذي يجتمع فيه قناة العتيق ، وقناة الحيرة ، وقناة برسف ، بينما القناة التي تسقي الحيرة تأخذ ماءها من الفرات شمال الحيرة كما بينا سابقاً ، والقناة الثالثة هي نهر السيلحين ، لا نهر الحيرة

رأى خالد أن يسرع في حركته ليقطع الأنهار في مجمعها ، ويفاجيء أزاذبه ، وبذلك يصبح طريق الحيرة مفتوحاً بوجهه ؛ لهذا أركب الراجلين أي المشاة والغنائم والأثقال في السفن ، وسار على رأس قوته الراكبة بالاتجاه الشمالي على ضفة الفرات اليمنى أما أزاذبه ، فوجه ابنه نحو الجنوب مع ما استطاع أن يحشده من قوة ، على أن يخرج هو مع باقي الجيش في أثره وقد سبق ابن أزاذبه طليعته الخيالة أمامه وبينما كان خالد يسير مسرعاً الى الشمال اذا به يفاجأ بأن السفن جنحت ، فارتاع لذلك ، لأنه كان بحاجة الى الراجلين في مقاتلة العدو والى الغنائم والأثقال ولما تبين من الملاحين سبب ذلك ، علم أن ابن أزاذبه حور ماء النهر الذي كانت السفن تمخر فيه الى قنوات أخرى ، فانقطع الماء عن النهر ، وما إن علم ذلك حتى عجل حركته ليسد القنوات التي حورت المياه اليها ، وفي تقدمه مسرعاً شاهد خيالة العدو في فم أحد القنوات ، ففاجأهم وهم آمنون لغارهم في تلك الساعة كما ذكر الطبري ، فقضى عليهم والموضع الذي فاجأهم فيه هو المقر وأشار الطبري الى أن خيل العدو كانت في فم العتيق ، بينما يقع فم العتيق في مجمع الأنهار كما بينا ، ولهذا ينبغي أن يكون الموضع فم قناة أخرى تأخذ الماء من النهر جنوبي مجمع الأنهار وبعد أن قضى خالد على خيالة العدو ، سار من فوره ، فاصطدم بجند ابن أزاذبه على فم فرات بادقلى ، ونشب القتال بين الفريقين ، فقتل ابن أزاذبه ، وقضي على أكثر جنده وعلى أثره كسر خالد السد ، فأعاد الماء الى النهر ، فسارت السفن أما أزاذبه ، فكان

قد خرج من الحيرة ، وعسكر خارجها ، ليلتحق بابنه ولما وافته الأخبار أن ابنه قُتِل ، قطع الفرات ، وفرّ هارباً ذكر الطبري أن الذي حداه على الهرب استخباره موت الملك أردشير وأما خالد ، فجمع جنده ، وسار قاصداً الحيرة ، ونزل بالخورنق منتظراً ورود رجاله ولما انضموا اليه ، تقدم الى الحيرة ، وعسكر بالموضع الذي كان جند أزاذبه قد أقام فيه قبل الهرب ، وهكذا أصبح على أبواب مدينة الحيرة

ومن المفيد أن نشير الى انتقادات (ميوسل) لـ(كيتاني) على ما أبداه من آراء في حركة خالد جنوبيّ الفرات وقد ذكرنا من قبل أن (كيتاني) تمسك ببعض الروايات المدنية ، وزعم أن كل ما روي عن معارك خالد مع الفرس من كاظمة والولجة وأُليس إن هو إلا قصص وضعها سيف بن عمر وغيره تعصباً لبني قومهم ، ليجعلوهم ذا نصيب أكبر في فتوحات العراق ، لهذا جعل ابن إسحاق الراوي المفضل ، واعتمد على رواياته المقتضبة أما الرواة الآخرون ، كالمدائني والبلاذري وغيرهما ، فاذا اتفق أنهم ذكروا خبر مرور خالد بأرض البصرة ، فان (كيتاني) يعدهم قد تأثروا بروايات سيف بن عمر أو رواة آخرين من المدرسة العراقية

زعم (كيتاني) أن خالد بن الوليد تقدم من النباج الى الحيرة دون أن يمر بالبصرة ، وأنكر وقوع قتال في كاظمة والولجة أما حادثة أُلّيس ، فيميل الى أنها وقعت ، ولكنه يثبتها في شمالي الحيرة وما دام ابن إسحاق روى أن خالداً : « مضى يريد العراق حتى نزل بقريات من من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأُلّيس ، فصالحه أهلها ... ثم أقبل خالد بمن معه حتى نزل الحيرة ... » ، فينبغي للباحث أن يهمل الروايات الأخرى ولا يركن اليها وبهذا الاقتناع ثبت (كيتاني) حوادث سفر خالد الى العراق والغريب أنه اعتمد على رواية يزيد بن نبيشة العامري التي أوردها البلاذري [١] زعم هذا أنه قدم العراق مع خالد ، وأنهم انتهوا الى مسلحة العُذَيب ، ثم أتوا الحيرة وقد تحصنّ أهلها ... بينما لم يذكر راوٍ من الرواة مرور خالد بالعُذَيب ما عدا أبا يوسف ، ولعل ذلك الراوي خلط سفر سعد بن أبي وقاص بسفر خالد . ومن المعلوم أن سعداً نزل بالعذيب قبل معركة القادسية

(١) البلاذري (ص ٢٤٥) .

لقد قدم كيتاني فتح قريتي بانقيا وباروسما على فتح الحيرة ، وأكد أن خالداً دخل الحيرة من الشمال ، وثبت قرية أُلّيس شمالي الحيرة ، وجعل اسم أُلّيس محرّفاً من (ولوجســـياس) أو (فولجيسيا) كما ذكرنا ذلك في شرحنا لجغرافيا العراق في أوائل الفتح العربي ؛ بينما أثبت الرواة الآخرون أن فتح بانقيا وباروسما جرى بعد فتح المسلمين للحيرة أما موضع أُلّيس ، فواقع الى جنوبي الحيرة ، ومما يؤيد وقوع هذا الموضع جنوبي الحيرة تحوير الفرس لماء النهر الذي سارت فيه السفن الحاملة مشاة خالد وأثقاله حينما توجه من أُلّيس يريد مفاجأة ابن أزاذبه ويدل ذلك على أن السفن كانت تسير معاكسة للمجرى ، ولو لم يكن كذلك لما أمكن قطع الماء عن النهر

وبهذه المناسبة نذكر أن حادث صد الماء من الجريان في النهر وقع مرةً ثانية في أخبار القتال الذي جرى سنة ٦٧ هـ بين مصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي لقد سار مصعب بن الزبير من البصرة على طريق البر والنهر الى المختار الذي سار من الكوفة الى مصعب ، ونزل في السيلحون ، وسد الفرات أدنى مجمع الأنهار ولما سد المجرى ، انسابت المياه الى قنوات مجمع الأنهار ، فجنحت سفن مصعب ، فاضطر الى السير ماشياً ، ولكن خيالته أسرعت وكسرت السد ، فجرت المياه في الفرات ، وسارت السفن مع الرجال الى الكوفة (١)

والذي يظهر مما كتبه (كيتاني) عن سفر خالد في العراق وما شــــرحه في الهوامش العديدة (٢) ، أنه ظل تحت تأثير فكره الثابت الذي تسلط عليه ، وهو أن خالداً في سفره الى العراق لم يستهدف الفتح ، وأن أبا بكر لم يفكر في أمر العراق لو لم ينبهه المثنى بن حارثة على ذلك ، وأن كل ما ورد من وقائع عن قتال وصلح حدث في جنوبي العراق ما هو الا من نسج الخيال

ومن الأمور التي تدل على خطأ (كيتاني) في نقده لوقائع العراق أنه أنكر كل الإنكار وقوع قتال في مجمع الأنهار ، وعدّ المثل الذي أورده الطبري مقدمة لوقعة المذار كلاماً لا يدل على حادثة بذاتها ، إنما يشير الى حوادث جرت متأخرة ، وقد تكون قد وقعت في بلاد أخرى أما ماذكره الطبري ، فهو قوله : « قال الناس يومئذٍ صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، في مجمع

(١) الطبري : (٤/٥٦٢)

(٢) كيتاني : حوليات الاسلام ، الفقرات (١٥٥و١٥٦ و ١٥٧) وما يتبعها من حوادث سنة ١٣ هـ .

الأنهار (١)

يستعين (كيتاني) بالمستشرق الألماني (ولهاوزن) الذي ذكر أن مجمع الأنهار اسم لم يرد ذكره الا في تلك الحادثة من حوادث السواد، ويضيف أن تعبير مجمع الانهار تعبير غامض، وفي وسع الباحث أن يعبر به عن مواضع كثيرة، ولم يعده ولهاوزن اسماً خاصاً يدل على موضع معين. ولا ريب في أن هذا الاستنساج ناشيء من جهل الاثنين بجغرافيا العراق؛ لأن سالك ضفة الفرات اليمنى، وهو قادم من خفّان، لابدّ له أن يمر بالموضع الذي تجتمع به أنهار عديدة

لم ينتبه (كيتاني) ولا (ولهاوزن) الى إيضاح الطبري لوضع مجمع الأنهار في حوادث سنة ١٣ هـ وحوادث سنة ٦٧ هـ. وما تزال عدة أنهار تأخذ الماء من فرع الفرات قبالة أبي صخير والجمارة، وتمتد الى الغرب والى الجنوب الغربي وما دامت طبغرافيا الأرض تساعد على شق هذه الأنهر لسقي المزارع التي فى الضفة اليمنى، فقد اجتمعت صدور الأنهر فى ذلك المحل قديماً فى العهد الفارسي وفي العهد العربي والعباسي والعثماني وفى عهدنا هذا وللوصول الى الحقيقة، لامناص من الركون الى الروايات التي يرويها الأخباريون الذين كانوا يعرفون طبغرافيا البلاد حق المعرفة، وكان سيف بن عمر من جملتهم

ومما يلفت النظر أن (كيتاني) يحاول أن يقلل من شأن خالد فى فتوح العراق، ويستند ــ على عادته ــ الى الروايات التي أشارت الى أن المثنى قام بالعمل الفلاني: كمحاصرته لحصن المرأة، وقتاله لجابان صاحب أُلّيس، وطرده إياه، وقتله جُلّ أصحابه، ولقائه لخيول أزاذبه بمجمع الأنهار وإنزال الهزيمة بهم، ومحاصرته لحصن ابن بقيلة فى الحيرة، ويستنتج من ذلك أن خالداً لم يشترك فى حادثة ما من تلك الحوادث، ويشير الى أن ابن الوليد بقي متفرجاً على ما يجري أما الذي كان يصول ويجول فى ميدان العراق، فهو المثنى ورجاله بينما الروايات التي اعتمد عليها ذكرت بصريح العبارة أن خالداً هو الذي وجه المثنى الى المواضع التي جرى القتال فيها. ولقد كان خالد القائد العام فى حرب العراق، وكان تحت إمرته قوات من القبائل بقيادة رؤسائها، وكان من الطبيعي أن يأمر خالد ــ وهو القائد العام ــ قادته بالقيام بالحركات على نحو ما عليه الأحوال ويتطلبه الموقف العسكري وكان المثنى كما نعلم أمير القوات من بني شيبان، وهو أخبر بحالة البلاد التي يسعى خالد فى فتحها،

(١) الطبري (٣/٧،٥)

وكذلك من المعقول أن يوجه خالد المثنى الى الجهات التي هو أخبر بخباياها ، لأنه سبق لقبيلته أن حاربت الفرس فى تلك الجهات ، ولا ضير من أن يتكرر اسم المثنى

ومما ذكره (ميوسل) منتقداً آراء (كيتاني) قوله : يرى (كيتاني) أن خالداً سار الى الحيرة من النباج على طريق (فيد ـ الثعلبية) مستنداً الى رواية الواقدي التي أوردها البلاذري ، وهي : « قال الواقدي : والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها الى العراق على فيد والثعلبية » ويعد (كيتاني) الواقديَّ من أوثق الرواة ، ولكن الواقدي لم يذكر فى روايته تلك اسم النباج ولو كان الراوي الذي اقتبس الواقدي منه الخبر مطلعاً على جغرافيا البلاد ، لما ذكر أن خالداً سار من النباج الى العراق على طريق فيد ؛ لأن النباج يقع جنوب شرقي فيد على بعد زهاء مئتي كيلومتر ، وهو أقرب الى الأُبلة منه الى فيد

وكذلك ذكر (كيتاني) أن العرب ذهبوا الى الحيرة رأساً ولم يلاقوا العدو في طريقهم ، ويعتمد فى ذلك على كلٍ من رواية الواقدي ورواية ابن اسحاق ، ويزعم أن المقاومة الضعيفة التي أبداها أهل الحيرة تدل على أن خالداً باغت المدينة ، وأن العرب غزوا المدينة ونهبوها حينما وصلوا اليها ويرى (كيتاني) أن فى هذه الحادثة حجة نفسية وعسكرية تعارض الرأي القائل إن خالداً فى اغارته على البلاد اقترب من الحيرة من البصرة فشمال غربيها

ويقول (ميوسل) فى الرد على (كيتاني) : إنه أشار فيما سبق الى أنه لا توجد روايةٌ ما تذكر أن أبا بكر أمر خالداً أن يتوجه الى الحيرة رأساً ويظهر من رواية ابن اسحاق التي اعتمد عليها (كيتاني) أن خالداً فتح أماكن في أطراف البصرة قبل وصوله الى المدينة نفسها ولا يعتمد (كيتاني) على رواية المدائني التي ذكرت « أن أبا بكر وجه خالد بن الوليد الى أرض الكوفة ، وفيها المثنى بن حارثة الشيباني ، فسار في المحرم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة » ، ويستنكر مسير خالد الى البصرة ؛ لأن ذلك ـ على حسب رأيه ـ لا ينطبق على أ الرواية ، ويقول : إن الطريق الذي يُدعى عادةً (طريق البصرة) يتشعب شعبتين في م تتوجه إحدى شعبتيه الى البصرة ، وتتوجه الشعبة الأخرى الى الكوفة ، ويستنتهو ذهاب خالد بن الوليد سار على طريق الكوفة ، أي الحيرة ويقول (ميوسل) ا مصطنع ومعارضٌ لنصّ الرواية ؛ لأن المدائني لم يذكر أن خالداً سار

بطريق البصرة ، بل ذكر أن خالداً جعل طريقه البصرة أما رواية ابن نبيشة التي أوردها البلاذري ، واعتمد عليها (كيتاني) وزعم أن خالداً انتهى الى مسلحة العذيب قبل أن يأتي الحيرة ، فلا تدل على أنه أتى من فيد والثعلبية الى العُذَيب ؛ لأن ابن نبيشة لم يوضح في روايته من أين أتوا العذيب ، وأي طريق سلكوا والرواية تبدأ بذكر العُذَيْب ، وهو موضع يقع الى جنوب الحيرة على بعد زهاء خمسة وثلاثين كيلو متراً (لقد ثبتناه في موضع الرحبة الحالي) ، على ملتقى طريقين : أحدهما يأتي من فيد ، والآخر يأتي من البصرة على خفّان ولم يشر ابن نبيشة الى فتح حصن العذيب ، مما يدلّ على أنه كان بلا حامية انتهى انتقاد (ميوسل) لآراء (كيتاني)

ونود الآن أن نثبت الأشهر التي جرت فيها حوادث العراق من كاظمة الى الموضع الذي نزل فيه خالد بين الخورنق والنجفة ، وهو على أبواب الحيرة

روى المدائني أن أبا بكر وجه خالداً الى العراق فى المحرم سنة اثنتي عشرة ، ولا يختلف هذا كثيراً عما توصلنا اليه فى بحثنا عن تأريخ وصول خالد الى أطراف البصرة ، وبينا أنه وصل فى أوائل صفر من السنة المذكورة ولم يذكر الطبري تأريخ وقعة كاظمة ، ولكنه ذكر أن وقعة الثني التي جرت بعد كاظمة بقليل تمت فى صفر ، وكذلك ثبت أن قتال الولجة أيضاً جرى في الشهر نفسه كما أنه نوه بما يستدل منه أن وقعة ألّيس وحادثة أمغيشيا جرتا أيضاً فى ذلك الشهر وجاء في الطبري أن كتاب الصلح الذي أعطاه خالد أشرافَ الحيرة ، كتب في شهر ربيع الأول ، ولكنه ذكر أن كتاب خالد الى صلوبا بن نسطونا صاحب بانقيا كُتب في صفر ، بينما تشير أكثر الروايات الى أن فتح بانقيا وباروسما تم بعد فتح الحيرة وما دامت بانقيا تقع فى شمال الحيرة كما بينا ، فاننا نستبعد أن خالد بن الوليد ، بعد انتصاره على ابن أزاذبه في مجمع الأنهار ، يلتف حول الحيرة ولا يمر بها ، ويتوجه الى الشمال ويفتح بانقيا ، ثم يعود الى الجنوب ليفتح الحيرة . واذا كان صلح الحيرة وقع فى شهر ربيع الأول كما ذكره الطبري ، لزم أن فتح بانقيا تمّ بعد ذلك التأريخ والذي يظهر من الروايات التي أثبتها الطبري أن وقائع كاظمة والثني والولجة وألّيس ومجمع الأنهار جرت فى صفر

والآن ينبغي لنا أن نعلم أ من الصحيح حشر وقائع الفتح جميعها من كاظمة الى أطراف الحيرة

في شهر واحد ؟ والروايات تشير الى أن خالداً مكث في الثني ، وأنه لم يتوجه الى موضع آخر الا بعد التريث والتثبت من أخبار العدو بواسطة جواسيسه وعيونه ولا نعلم اليوم الذي كُتب فيه كتاب خالد الى أشراف الحيرة : أ كتب في أوائل شهر ربيع الأول أم في وسطه أم في آخره ؟ ومما يلفت النظر أن الروايات لم تذكر تأريخاً للوقائع التي وقعت بعد فتح الحيرة ، الا إشارة عابرة الى أن خالد بن الوليد أفطر رمضانَ في الفراض ووقعة الفراض آخر غزواته في العراق خرج منه حاجاً ومتخفياً في آخر ذي القعدة من سنة اثنتي عشرة للهجرة ، وتأهب للسفر الى الشام بعد عودته من الحج وذكر الطبري أن وقعة الفراض وقعت في منتصف ذي القعدة ، وأن خالداً خرج منها حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة (1) ، وكان وافاه كتاب أبي بكر بالحيرة بعد عودته من الحج يأمره بالمسير الى الشام لنجدة جموع المسلمين فيها

ليس بعيداً حشر الوقائع التي سبقت فتح الحيرة في شهر ونصف شهر ؛ لأن المسافة بين كاظمة والحيرة أكثر من ست مئة كيلومتر ، يجوز أن تقطع دون حرب بخمسة عشر يوماً ، يضاف الى ذلك المكوث هنا وهناك والوقت الذي ينقضي بالقتال وتدبير الأمور واستيفاء الخراج وغير ذلك ، ولا سيما اذا آثر خالد العجلة في حركته ، واعتزم أن يدخل الحيرة قبل عياض بن غُنم ؛ لأن أمر الخليفة ينص على أن الذي يسبق الى الحيرة يكون الأمير على صاحبه ، وخالد ــ ذلك المقدام الذي اعتاد أن يحارب مستقلاً معتزاً برأيه ــ ربما لا يرتاح أن يغدو المأمور بعد أن كان الأمير إلا اذا اضطر الى ذلك وما دام المجال واسعاً ليظل هو الأمير ، فليتقدم بسرعة الى الحيرة فضلاً عن أن السرعة في حركات العراق ضرورية ، لئلا يستعدّ الفرس لحشد قوة كبيرة وارسالها نحو المسلمين ليمنعوهم من فتح الحيرة ، وهي كما نعلم أهم قصبة في غرب الفرات ، وعاصمة الإمارة التي أصبح الفرس يديرون شؤونها مباشرة بعد ما أنهوا حكم المناذرة فيها ، ولطالما اتخذوها دولة حاجزة بين انبراطوريتهم والانبراطورية البيزنطية ، واستطاعوا بها أن يخففوا من أضرار عرب البادية ، وكانت الحيرة هدف خالد الثاني في حركاته في العراق

والذي دعانا الى إطالة البحث في تأريخ الوقائع التي جرت في جنوبي العراق ، هو ذهاب

(1) الطبري : (٢/٥٨٣) .

(ميوسل) الى أن الحركات وقعت فى الخريف ، أي أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني لسنة ٦٣٣ م

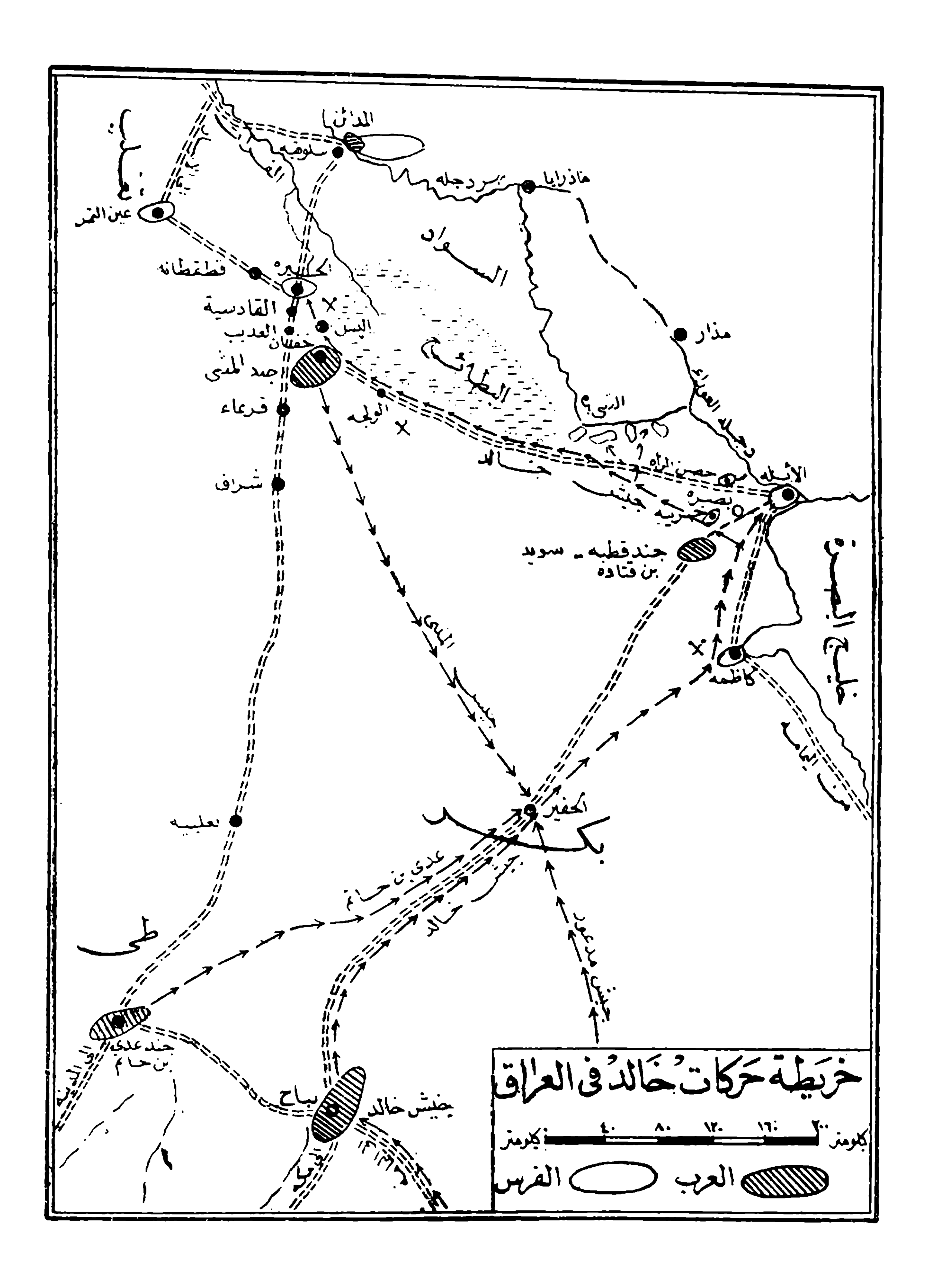
يميل (ميوسل) الى أن صفر المذكور في الروايات ، هو الموسم الذي يطلق عليه العرب اسم « صفر الأصفار » أو « الصفاريات » كما يسميه البدو الآن ، أي الخريف أو أشـهر الخريف ، ويستند فى استنتاجه هذا الى ما قدمه الطبري لوقعة المذار حيث قال « وفي صفر سنة اثنتى عشرة يومئذٍ ، قال الناس : « صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار [(١)] » .

ذكر (ميوسل) في نقده لآراء (كيتاني) الذي أنكر وقوع قتال فى مجمع الأنهار أن الجملة التي أثبتها الطبري هي دليل على أن قتال مجمع الأنهار حدث لا ريب فيـه ؛ لأنه ثبت ذكريات القتال في الأذهان ، فضلاً عن أنه سجل التاريخ الصحيح للوقعة المذكورة . ويضيف (ميوسل) أن المسلمين الأولين لم يهتموا بتأريخ الوقائع ، ولم يحفظوها ، واذا اتفق أن الذين شهدوا القتال ضبطوا التأريخ ضبطاً صحيحاً ، فان الروايات لا تتمكن من ضبطها من غير تأييدها بنشيد أو شعر أو مثل أو حادثة معاصرة ؛ ولو كانت تواريخ المعاهـدات وكتب الصلح مثبتة ، لتيسر لنا تثبيت تأريخ الوقائع التي نحن بصددها ثم يقول (ميوسل) إن الجملة المذكورة دليل على أن وقعة مجمع الأنهار وقعت في الخريف ؛ لأن صفر الأصفار كما يعرفه البدو فى زماننا ، يعني الخريف ، أي أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وقد ارتأى (ولهاوزن) أيضاً هذا الرأي [(٢)]

وذكر (ميوسل) في مكان آخر أن تحوير الفرس لمياه النهر الذي نخرت فيـه السفن بين أمغيشيا ومجمع الأنهار ، دليل على أن خالداً فتح ألـيس في صفر الأصفار ، أي في تشرين الأول ؛ لأنه زعم أن الفرس لا يستطيعون سد الماء وتحويره الى نهر آخر الا في الموسـم الذي تنقطع فيه الأمطار في العراق ، وأن منسوب المياه في نهر الفرات يأخذ بالارتفـاع من تشرين الثاني الى آيار

لقد ظن (ميوسل) أن صدّ المياه من الجريان في الأنهر والقنوات وتحويرها الى نهرٍ أو قناة أخرى ، أمر متعذر في الربيع حيث يبلغ منسوب المياه أقصاه ولـكننا نعلم أن إقامة سدّ لصد

(١) الطبري : (٢/٢٠٥٠) (٢) ميوسل : الفرات الأوسط (ص ٢٩١)



خريطة حركات خالد في العراق
العرب
الفرس
كيلومتر
المدائن
عين التمر
الحيرة
القادسية
الوليجة
الأبلة
كاظمة
الحفير
فرعاء
شراف
ثعلبيه
بكر
طي
مذار
بزاح
جيش خالد
جند المثنى
خليج العجم

المياه وتحويرها الى جهة أخرى ، أمر متيسر ، ولا سيما اذا كانت السفن التي أركب خالد فيها رجاله وأثقاله كانت تمخر في إحدى القنوات الموازية للفرات ولقد كان (ميوسل) معذوراً في ملاحظته المذكورة ؛ لأنه مر بالفرات الأوسط مراً خاطفاً ، ولم يقض فيه مدة طويلة واذا أثبت من جهة أخرى ما ارتآه (ميوسل) من أن وقعة أُلّيس جرت في تشرين الأول سنة ٦٣٣ م ، لا في أوائل أيّار من السنة نفسها الذي يصادف منتصف صفر من سنة اثنتى عشرة للهجرة ، فيكون فتح أُلّيس قد تم في شهر رجب من السنة نفسها وقد ذكرت الروايات أن خالداً أفطر في الفراض كما أشرنا من قبل ، ومكث فيها بعد أن أنهى غزواته في العراق وفتحه لِدُومة الجَنْدَل وقتاله لتَغلِبَ في شرقي بادية الشام ومروره بالثني والزميل (وهما كما سننبت مواضعهما في جنوب شرقي الرصافة الواقعة الى جنوبي نهر الفرات في انعطافه في بلاد سورية من الغرب الى الشرق) ، وغير ممكن أن يجري خالد كل ذلك في شهر أو شهرين ، فضلاً عن أن الروايات ذكرت أن خالداً عبر الفرات في الفراض في منتصف ذي القعدة ، وأقام فيه عشرة أيام ، وقد أفطر فيه قبل ذلك ويستنتج من كل ذلك أنه قضى في الفراض وحده شهرين ، أو أكثر وهناك روايات تشير الى أن خالداً قضى سنة في العراق ، وهي السنة التي شكا منها ، وقال فيها : « إنها لسنة كأنها سنة نساء » والواقع أن خالد بن الوليد قضى سنة في العراق وصل الى أطراف البصرة في أوائل صفر من سنه اثنتى عشرة للهجرة ، أي في منتصف نيسان سنة ٦٣٣ م ، وترك العراق متوجهاً الى الشام في أواخر المحرم من سنة ثلاث عشرة للهجرة ، ويصادف ذلك أواخر آذار من سنه ٦٣٤ م

(للبحث بقية) طه الهاشمي

تنبيه : ورد في القسم الأول من مقالنا هذا المنشور في الجزء السابق بعض الخطأ ، ومن ذلك أننا جعلنا المدائن عاصمة الفرس الشتوية تارة وعاصمتهم الصيفية أخرى ، والصحيح أن المدائن كانت العاصمة الشتوية وكذلك جعلنا قلعة صالح على ضفة دجلة اليمنى والصواب أنها على الضفة اليسرى

لهجة القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم منجماً « بلسان عربي مبين »[1] ولكن العرب كانت ولا تزال تتكلم بلهجات ، فبأية لهجة من لهجاتها نزل القرآن الكريم ؟

أما القرآن الكريم ، فلم يحدد اللهجة التي نزل بها ، ولم يشر اليها وكلمتا « عربي » و « عربياً » الواردتان فى سورة « النحل » و « الشعراء » و « فصلت » و « يوسف » و « الرعد » و « طه » و « الزمر » و « الشورى » و « الزخرف » و « الأحقاف »[2] بحسب مواقع الكلمتين من الإعراب ، هما كلمتان عامتان لا تفيدان تخصيصاً ولا تعييناً للهجة واحدة معينة من اللهجات ولذلك كان لابد للمفسرين من التعرض للهجة التي اختص بنزولها الوحي ، وايراد ما ذهب اليه العلماء من آراء فى هذا الباب ، وسرد ما ورد فى ذلك من أحاديث وأخبار وروايات

وقد تطرق « الطبري » فى مقدمة تفسيره[3] الى هذا الموضوع بعد أن تعرض لرأي من زعم أن فى القرآن كلماً أعجمياً ، وأن فيه من كل لسان شيئاً ، فقال : « قال أبو جعفر : قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ، على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها فنقول الآن : اذا كان ذلك صحيحاً فى الدلالة عليه ، فبأي ألسن العرب أنزل ؟ أبألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ اذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب ، فهم

---

(١) « وهذا لسان عربي مبين » النحل ١٦ ، ١٠٣ ، الشعراء ٢٦ ، ١٩٥ ، فصلت ٤١ ، ٤٤ ، يوسف ١٢ ، ٢ ، الرعد ١٣ ، ٣٧ ، طه ٢٠ ، ١١٣ ، الزمر ، ٣٩ ، ٢٨ ، فصلت ٤١ ، ٣ ، الشورى ٤٢ ، ٧ ، الزخرف ٤٣ ، ٣ ، الأحقاف ٤٦ ، ١٢

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٤٥٦) ، القاهرة (١٣٦٤ هـ)

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن : طبعة المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٣٢٣ هـ وسيكون رمزه في الحواشي كلمة « جامع »

مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام واذ كان ذلك كذلك ، وكان الله جلّ ذكره قد أخبر عبـاده أنه قد جعل القرآن عربياً ، وأنه أنزل بلسـان عربي مبين ، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً ، لم يـكن لنا السبيل الى العلم بما عنى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه إلّا ببيان من جعل اليه بيان القرآن ، وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاذا كان ذلك كذلك ، وكانت الأخبار قد تظاهرت عنـه (صلى الله عليه وسلم) بما حدثنا به خـلّاد بن أسـلم ، قال : حدثنـا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة ، قال : لا أعلمه إلّا عن أبي هريرة ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فالمراء في القرآن كفرٌ ، ثلاثَ مرات فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردّوه الى عالمه »

واستمر الطبري بعـد ذلك في تعداد الطرق التي ورد فيها هذا الحديث : حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ورواية بعض الأخبار الواردة في حدوث اختلاف بين الصحابة في حفظ بعض الآيات وقراءتها [1] ثم خلص بعد هذا السرد الى نتيجةٍ ، هي أن القرآن « نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم هي ببعض الألسن التي نزل بهـا القرآن دون جميعهـا [2] » ، فلم يجزم بتعيين اللهجة التي نزل بها القرآن الـكريم

وحديث « أنزل القرآن على سـبعة أحرف » ، حديثٌ معروف مشهور ، يرد في كتب التفاسير وفي كتب المصاحف والقراءات وقد ورد بطرق متعددة ، وبأوجه متعددة كذلك وهذه الطرق والأوجه ، وإن اختلف في سـرد متن الحديث وفي ضبط عباراته ، قد اتفقت في الفكرة ، وخلاصها نزول القرآن الـكريم على سبعة أحرف ويقصدون بالحرف وجهاً من أوجه الألسنة ، أي لهجة من اللهجات [3]

أما رجال سند هذا الحديث ، فعديدون ، وفي حال بعضهم كان الكلبي وأبي صالح مغمز [4] وهم جميعاً يرجعون سندهم الى جماعة من الصحابة ، هم نهاية سلسلة السـند ، قالوا : إنهم سمعوا

---

(١) جامع (١/٩ وما بعدها) (٢) جامع (١/٢٥)
(٣) جامع (١/٩ وما بعدها) (٤) جامع (١/٢٣)

الحديث من الرسول ، ويعنون بهم : عُمَرَ بْنَ الخطّاب ، وعثمان بن عفان ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، وأنساً ، وحُذَيْفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلمان بن صرد ، وعبد الرحمان بن عوف ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبا بكرة ، وأبا جهم ، وأبا سعيد الخُدْري ، وأبا طلحة الأنصاري ، وأبا هُرَيْرَة ، وأبا أيوب وجملتهم واحد وعشرون صحابياً على بعض الروايات (١)

وقد ذكر الرواة عدة أسباب في تعليل الغرض الذي من أجله صدر هذا الحديث من الرسول ، فهم يقولون : إن الرسول أدرك الصعوبة التي سيلاقيها الصحابة إن نزل القرآن بحرف واحد لما هم عليه من لهجات متعددة وألسنة متباينة ، فرجا من الله التخفيف عليهم بانزاله بلهجات تخفف عنهم ذلك العناء ، فاستجاب الله له ذلك ، وأمر بنزوله بسبعة أحرف ويذكرون عدة أحاديث وردت في هذا المعنى ، منها : حديثُ « إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت اليه أنْ هوِّنْ على أمتي ، فأرسل الي أنِ اقْرأه على حرفين ، فرددت اليه أنْ هوِّن على أمتي ، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف » ، وحديثُ « أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى الى سبعة أحرف » (٢)

والذي نفهمه من هذين الحديثين ومن أحاديث أخرى في المعنى أن نزول القرآن لم يكن في الأصل بلهجة واحدة ، وانما كان بعدّة لهجات

ثم هم يروون جملة حوادث ترى اختلاف الصحابة في الحفظ ، كالذي ذكروه حكايةً على لسان زيد بن أرقم من أنه قال : « جاء رجل الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أُبَيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : وعليٌّ الى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل انسان كما عَلِمَ ، كلٌّ حسن جميل وكالذي ذكروه على لسان عمر بن الخطّاب أنه قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكدت

(١) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن (ص ٧٨) (٢) الاتقان (١/ ٧٨)

أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلّم . فلما سلّم ، لببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت به أقوده الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقلت : يارسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان ! قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هكذا أنزلت ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هكذا أنزلت ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منها »

وهم يروون أحاديث أخرى بهذا المآل تظهر حدوث خلاف بين الصحابة في حفظ آي القرآن الكريم ، وعلم الرسول بذلك ، وتجويزه لكل واحد منهم قراءته على نحو ما سمعها منه [١]

والحديث ، كما نرى ، حديث عام مطلق ، لم يحدد اللهجات المقصودة ، ولم يحصرها وقد أضيف اليه في بعض الروايات زيادات هي في الواقع شرح له وتفسير ، وزادت روايات أخرى في نهايته زيادات حددت الأحرف السبعة وعينتها ، فصارت بهذه الزيادات معروفة معيّنة

وورود هذا الحديث بطرق متعددة ، وبهذا الشكل من العموم والاطلاق أو التقييد والتحديد ، مما يلفت النظر اليه ، ولا سيما أنه يتعارض مع ما ورد صراحة في بعض الأخبار والروايات من نزول القرآن بلهجة واحدة ، هي لهجة قريش ولهذا بحث فيه العلماء بحثاً مستفيضاً ، وأبدوا آراءهم فيما جاء فيه ، وفيما جاء في تلك الزيادات ، لخصها (السيوطي) في نحو من أربعين رأياً [٢] ، ليس لأكثرها صلة ما باللهجات ولهذا لن أتعرض لها في هذا البحث ، فالذي يهمنا منها فيه ما له صلة بلهجة القرآن الكريم ، وبسائر ألسنة القبائل من غير قريش

وتنتهي سلسلة سند الحديث الذي عين اللهجات وحصرها بابن عباس في الغالب أما

---

(١) مجاز (١/٩ وما بعدها) (٢) الاتقان (ص ٧٨)

رواتها ، فهم : ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وقتادة عن ابن عباس [١] زعم أبو صالح أنه سمع ابن عباس يقول : نزل القرآن على سبعة أحرف[٢] ، خمسة منها لعجز هوازن ، واثنان منها لقريش وخزاعة [٣] وزعم قتادة أنه سمع ابن عبّاس يقول : نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش ، فسهلت عليهم لغتهم [٤] .

والى هذه الأسانيد استند من قالوا بتحديد لهجات القرآن الكريم ، قال هؤلاء : إن للعرب ألسنة كثيرة ، هي كلها عربية ما فى ذلك شك ، ولكنها لم تكن متكافئة كلها فى الفصاحة والبلاغة

ولما كان الرسول الذي نزل الوحي عليه من العرب ، وكان كتاب الله عربياً معجزاً ، وهذا الإعجاز لا يظهر إلا بنزوله بأفصح ما نطقت به العرب جميعاً ، وبأسلس لسان وبأجله وقعاً فى الأفئدة ، نزل القرآن بخير لهجات العرب لهجةً ، هي لهجات العجز من هوازن ، وهي : سعد ابن بكر ، وخيثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ؛ وبلهجتي قريش وخزاعة [٥] ، وهي ستة بعد الجمع ، لا سبعة كما يظهر من كلام الرواية ، وجعلها بعض العلماء لهجات قريش وهُذيل وتميم والأَزْد وربيعة وهَوازن وسعد بن بكر ، وجعلها آخرون لهجات هُذيل وكِنانة وقيس وضَبّة وتَيم الرِّباب وأسد بن خُزَيمة وقريش [٦]

والرواية عن ابن عباس من طريق أبي صالح وقتادة ، رواية ضعيفة فى نظر النقاد وقد أطلق على سند ابن الكلبي [٧] عن أبي صالح [٨] عن ابن عباس « سلسلة الكذب » ،

(١) جامع (١/٢٣) ، الإتقان (١/٨١)
(٢) « نزل القرآن على سبع لغات » الإتقان (١/٨١)
(٣) جامع (١/٢٣) (٤) جامع (١/٢٣)
(٥) جامع (١/٢٣) ، الإتقان (١/٨١) (٦) الإتقان (١/٨١)
(٧) « قال أحمد بن حنبل : إنما كان صاحب سحر ونسب ، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه » ، « وهشام لا يوثق به » ، ميزان الاعتدال (٣/٢٥٦) ، لسان الميزان (٦/١٩٦)
(٨) أبو صالح باذام « باذان » ، « قال النسائي : باذام ليس بثقة » « وقال اسماعيل بن أبي خالد : كان أبو صالح يكذب فما سألته عن شيء ، إلا فسره لي ..... وقال ابن معين : اذا روى عنه الكلبي ، فليس بشيء » ميزان الاعتدال (١/١٣٧ وما بعدها)

وتحرّج كثير من العلماء من الأستشهاد بالأحاديث الواردة من هذا الطريق وللعلماء ، ولا سيما رجال الجرح والتعديل ، كلام في ابن الكلبي وفي أبي صالح يخرجنا الدخول فيه من الاستمرار في موضوعنا ، وهو في كتب الرجال وقد تحدثت عنه بالمناسبة في بحث « موارد تأريخ الطبري » المنشور في المجلدات السابقة من هذه المجلة

أما « قتادة » ، فذكر الطبري عنه أنه لم يلق ابن عباس ، ولم يسمع منه [١] فحديثه عن ابن عباس إذن مما لا يجوز الأخذ به فروايته « نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة » ، رواية لا يعتمد عليها لهذا السبب ولقتادة رواية أخرى بهذا المعنى نسبها الى أبي الأسود الدؤلي ، زعم أنه قال : « نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لُؤَيّ » وقد علق « خالد بن سلمة » على هذا الكلام فقال : « ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبَيْنِ ؟ وإنما نزل بلسان قريش » قال ذلك مخاطباً به « سعد بن ابراهيم » [٢] وقد رمي قتادة بالتدليس وبالقول بالقدر [٣] والقول بالقدر من الأمور التي تؤاخذ على الرواة في نظر علماء الرجال

وخلاصة ما يتبين من مراجعة حديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه » بجميع طرقه ، أنه ورد بطرق عديدة عن الصحابة الذين ذكرت أسماءهم ، وأنه جاء عاماً وبهذا المعنى فقط أما تعيين اللهجات والتفسيرات الأخرى ، فهي ـ كما قلت ـ زيادات وشروح ليست من أصل المتن ، وإنما وردت من بعض الصحابة ، أو ممن روى عنهم ، وأكثرها مما لا علاقة له باللهجات ، وقد ذهبت مذاهب بعيدة لا علاقة لها البتة بما روي عن اختلاف الناس في قراءة القرآن[٤] وقد ألحق بعضها بالمتن ، فظهر كأنه منه ، كما أدخل بعضهم في اللهجات المذكورة لهجة أهل اليمن [٥] دون أن يذكروا أية لهجة قصدوا ، مع أن لأهل اليمن لهجات عدة

(١) جامع (١/٢٣) (٢) جامع (١/٢٣) (٣) ميزان الاعتدال (٢/٣٤٥)
(٤) الإتقان (١/٨١ وما بعدها) ، النشر في القراءات العشر ، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (١/١٩ وما بعدها)
(٥) النشر (١/٢٤)

ويتعارض هذا الحديث مع رواية نصت على أن لغة القرآن هي لغة قريش ، وأنه بلسان قريش نزل الوحي[١] فحددت هذه الرواية لهجة القرآن بلهجة واحدة معينة ، كالذي يفهم من رواية الأخباريين عن كيفية جمع القرآن ، ومن قول عثمان للرجال الذين أشرفوا على جمعه : « ما اختلفتم فيه أنتم وزيد ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه بلسانهم نزل »[٢] ، ومن قول بعض العلماء : « لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش »[٣]

ثم إنه يتعارض أيضاً مع صراحة آيات القرآن الكريم والأخبار الواردة عن كيفية نزول الوحي على الرسول وعن تلقين جبريل له الآيات حرفاً حرفاً وكلمة وكلمة ، ثم املائه ما حفظه على كتبة الوحي أو من يكون عنده من الصحابة حفظة القرآن الكريم[٤] ويتعارض أيضاً مع النظرية المعروفة بين المتكلمين فى موضوع كلام الله وهل هو حادث أو قديم ، وقضية خلق القرآن التي برزت خاصة فى صدر الدولة العباسية وكانت من أهم القضايا الكلامية التي اختلف فيها المعتزلة عن الأشاعرة وعن غيرهم فى علم الكلام ، وكان لها شأن كبير فى أيام المأمون .

وللتوفيق بين هذا الحديث المطلق وبين الأخبار التي جعلت لهجة القرآن لهجة قريش ، توسّط قوم فقالوا : إنه نزل بلغة مُضَـرَ خاصةً ، لقول عُمَـرَ : « نزل القرآن بلغة مضر » ، وعين بعضهم لهجات مضر التي نزل بها القرآن فجعلوها لهجات : هُذَيـل وكِنانة وقيس وضبّة وتيم الرّباب وأسد بن خُزَيـمة وقُرَيْش ، وقد استوعبت هذه سبع لغات[٥] وقال آخرون : إنه نزل بلسان قريش خاصة ، ولكن كان لقريش عدة لهجات ، فنزل بلهجات منها ، ولم ينزل بلهجة واحدة من لهجات قريش

ورأى فريق آخر أنه نزل أولَ ما نزلَ بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم

---

(١) جامع (٢٣/١)

(٢) النيسابوري : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وقد طبع هامشاً على تفسير الطبري جامع (٢٤/١) الهامش

(٣) الاتقان (٨١/١)

(٤) ٢٢ ك البروج ٨٥ ، ١٧٦ م البقرة ، ١١٠ ك ، هود ١١ ، كولد زهير : المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ، الترجمة العربية ، تعريب علي حسن عبد القادر القاهرة ١٩٤٤ (ص ٣ وما بعدها)
Naldeke, Geschichte des Korans, 2 A uflage I, Teil

(٥) الإتقان (٨١/١)

أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته الى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد [(١)] وهذا الرأي هو أيضاً من الآراء الموفقة بين الرأيين السابقين

والواقع أننا اذا دققنا في مواضع الاختلاف وفي تنوع الروايات ، لا نجد فيها ما يمكن أن ينطبق هذا التعليل عليه ، فليس في أعقد مواضع الاختلاف ما يمكن أن يقال عنه إنه شاق لا يستطيع رجال القبائل أن يتلفظوا به أو يفهموه ، حتى نقول إنه لهذا السبب أمر بالجواز

وسند القائلين إن القرآن الكريم هو بلهجة قريش ، هو أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قريش ، وهو من مكة فلا بد من نزوله بلهجة قومه ، ليكون حجة عليهم وإعجازاً لفصحائهم [(٢)] ، ويستشهدون على ذلك بالآية : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » [(٣)] ولما كان قوم الرسول هم قريش ، كان نزول القرآن بلهجتهم ، أي بلهجة قوم الرسول [(٤)]

ثم هم يذكرون أن قريشاً كانت أفصح القبائل، وأبلغها ، وأصفاها لغة ؛ لأنها كانت تسمع القبائل التي كانت تحضر الموسم في كل عام ، فتنتقي منها أعذب الألفاظ ، وتختار من كلامهم أجود الكلام وأصفاه ، « فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب » [(٥)]

ثم إنها كانت بعيدة عن الأعاجم ، فصان بعدها عنهم لسانها من الفساد ، وحفظها من التأثر بأساليب العجم ، حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية [(٦)]

---

(١) الإتقان (٨١/١)

(٢) مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن (ص٦٣ وما بعدها) «طبعة مطبعة الاستقامة ١٩٥٢ »

(٣) سورة ابراهيم : ٤ (٤) الإتقان (٨١/١)

(٥) الصاحبي : فقه اللغة (ص٢٣) ، « طبعة المؤيد سنة ١٩١٠ » السيوطي : المزهر (٢١٠/١) ، غريب القرآن (١٠/١) ، الهلال ، السنة السادسة والعشرون ١٩١٧-١٩١٨ (ص ٤٣)

(٦) مقدمة ابن خلدون ، الفصل الثامن والثلاثون من القسم السادس ، الهلال : السنة ٢٦ ، أكتوبر ١٩١٧ (٤٣/١)

ثم هم يستشهدون بالأخبار الأخرى التي أشرت اليها ، من نزوله بلسان قريش

وينسب خبر اختيار قريش لأعذب الألفاظ الى قتادة المتوفى سنة ١١٧ هـ ، قالوا : « وقال قتادة : كانت قريش تجتبي ، أي تختار ، أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتهم لغتهم ، فنزل القرآن بها »[١]

وقول الأخباريين هذا فى صفاء لغة قريش وعذوبها وفصاحها مقبول ، لو لم يذكر الأخباريون أنفسهم أشياء تناقض ما قالوه وتفنده ، فقد قالوا : إن الخليفة عثمان بن عفّان قال للرجال الذي تولّوا كتابة القرآن : « اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف »[٢] ، وليست هذيل ولا ثقيف كما نعلم من قريش وقالوا : انه كانت عنعنة فى لهجة قريش ، والعنعنة من المآخذ التي أخذها علماء اللغة أنفسهم على اللغات[٣] وقالوا باختلاف القرشيين أنفسهم فى فهم كلم من القرآن ، وبرجوعهم الى غيرهم فى فهمها[٤] فلو كان القرآن الكريم بلهجة قريش ، لما تصور وقوع هذا الاختلاف فى فهم الكلمات وقالوا : إن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم فى كل شيء عليها إلا فى الشعر ، فانها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت له الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها[٥] وقالوا : إن قريشاً كانت أقل العرب شعراً فى الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر فى الاسلام[٦] ويؤيد هذا القول أننا نجد أكثر من ذكر الرواة أسماءهم وأشعارهم من الشعراء الجاهليين ، إنما هم من غير قريش

وهناك اعتراض آخر على القائلين بأن لهجة القرآن الكريم هي لهجة قريش ، صيغته : لو كان القرآن الكريم بلهجة قريش ، فلمَ لجأ المفسرون ، وفى مقدمهم ابن عباس ، الى الاستشهاد بالشعر ، وبكلام الأعراب فى تفسير كلام الله ، ولم يكن أولئك الأعراب أو أولئك الشعراء

(١) لسان العرب (٢/٧٧)
(٢) الصاحبي في فقه اللغة (ص ٢٨) « طبعة المؤيد سنة ١٩١٠ »
(٣) تاج العروس (٩/٦) (٤) جامع (١/٩ وما بعدها)
(٥) الأغاني (١/٣٥)
(٦) طبقات الشعراء (ص ١) ، طه حسين : في الأدب الجاهلي (ص ١٣٢) .

من رجال قريش ؟ ولمَ أتعبَ علماء اللغة أنفسهم ، فذهبوا الى البوادي يتَـقَصَّوْنَ اللغة ، والى الأعراب يسـألونهم عن الغريب والنادر وعن شعر الشعراء ، ولم يأخذوا من رجال قريش ومن شعاب مكة ، وأهل مكة أعلم بشعابها من غيرهم ؟ ولِمَ فضل علماء اللغة بعض اللهجات على سائر لهجات العرب فى الفصاحة ، فقـال أبو عمرو بن العلاء مثـلاً : أفصح العرب عليـا هوازن وسـفلى تميم [١] ، وليس هؤلاء من قريش ؟ وفضل علماء آخرون لهجات هذيل وثقيف وجرم ونصر قعين على سـائر اللهجات الأخرى فى الفصاحة [٢] ، وعدّوا قبائل هوازن وتميم وأسد من أفصح القبائل ، ولذلك قصدوها للأخذ منها ، ومن هؤلاء : الخليل ، والكسائي ، والأزهري

قال أبو عبيـدة : وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر ؛ وذلك لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : أنا أفصح العرب ، بَيْدَ أنّي من قريش وأنّي نشأت فى بني سـعد بن بكر ، وكان مُسْـتَرْضَعاً فيهـم ، وهم أيضـاً الذين يقول فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصحُ العرب عليا هوازن وسـفلى تميم [٣] ففضل بني سـعد بن بكر على غيرهم فى اللهجة ، ولم يكن من ذكرنا ومن لم نذكر من القبائل التي قصدها العلماء للأخذ منها من قريش لذلك أرى وجوب التحفظ كثيراً فى الأخذ روايات الأخباريين ، وعدم التسـليم بكل ما يروونه ، ولا سـيما فى القضايا المهمة التي ترد فيها عدة روايات وفى المسائل التي تكون لها صلة بالعواطف والأهواء

ثم إنّ ما رواه الأخباريون عن تخير قريش أحسـن الـكلم ، وأصفاه ، وعن فصاحتهـا وبلاغتها وحسن ذوقها وما شابه ذلك من كلام ، يمكن أن يكون كلاماً مقبولاً لو كان ما قالوه مقروناً بحجة ودليل ، ومشفوعاً بسند مكتوب أو إثبات لا يرتقي اليه الشك ولـكننا اذا راجعنا ما قالوه وفحصناه ، نجده يفتقر الى أهم شرط من شروط التسليم بصحة رأي ، ألا وهو الدليل ، فليس بين أيدي الرواة الذين تناقلوا تلك الأخبار أدلة وحجج تثبت ما قالوه

نعم ، إنّ العلماء رووا تلك الأخبار وتناقلوها منذ مئين سنين ، وهي شائعة بينهم معروفة

---

(١) المزهر (١/٢١١) ، الاتقان (ص ٩ ١) ، الرافعي : تأريخ آداب اللغة العربية (١/١٢٨)
(٢) وسئل بعض العلماء : أي العرب أفصح ؟ فقال : « نصر قعين » ، اللسان (٧/٢٢٥)
(٣) الرافعي : تأريخ آداب اللغة العربية (١/١٢٨)

هذه حقيقة ليس الى نكرانها من سبيل ، ولكن ليس كل شائع مشهور هو صدق وحق وكلام مسلم به وقد أنكر نقدة العلماء أخباراً عديدة مع أنها وردت بطرق متنوعة وبأسانيد متعددة ، بعد ما تبين لهم أن فى طرق سندها أو فى الروايات نفسها أموراً تستوجب المؤاخذة والرفض ، ولم يشفع لها عندهم أنها أخبار شائعة معروفة ، وأنها وردت بطرق متسلسلة عديدة

وهناك اعتراض آخر على القائلين بتخير قريش الكلام في مواسم الحج ، صورته : لو كان ما ذكره أهل الأخبار حقاً ، فمن كان يقوم بمهمة الاختيار ؟ آلخاصةُ من الناس ، أم سوادهم كلهم ؟ إن كان الخاصة ، وهو ما يجب أن يكون ، فمن منهم كان يقوم بهذه المهمة الصعبة : مهمة الانتقاء التي تتطلب أن يكون صاحبها أو أصحابها على مستوى عال في اللغة وفى العلم وفى الأدب وفى الذوق والحسّ ؟ وإن كان السواد ، فهل حدث فى التأريخ أنْ قام السواد بمهمة تنقية اللغة وتصفيتها وتنميتها وتهذيبها ؟ ان السواد على العكس فى العادة ، لا يتقيدون بقواعد اللغة ولا بأصولها ، وإنما هم يحرفون فيها أو يضعون أو يأخذون من غير أبناء جنسهم ، وهذا لايعدّ تهذيباً للغة فى نظر علماء اللغات ، ولا ترقية للذوق العام ثم إن هذا شيء عام يشمل كل الناس فى كل الأوقات ، لم يختص به قوم دون قوم

واعتراض آخر وارد عليهم كذلك ، هو : لمَ أغفل الرواة الإشارة الى من كان يقوم بالاختيار والتهذيب والتحكم فى كلام الناس من رجال قريش ، مع أنهم أشاروا الى من كان يقوم بالتحكيم فى عكاظ ؟ وليست مهمة اختيار الكلم وانتقائها فى مواسم الحج بأقل شأناً ومنزلة من مهمة التحكيم فى سوق عُكاظَ ثم إنهم قالوا إن المحكمين فى عكاظ كانوا فى العادة من تميم ، فلمَ خصّوا تميماً بالتحكيم ، ولم يخصوا قريشاً به ، وهي أولى بذلك من تميم لما قالوه ؟ أليس في تخصيص تميم بهذا التحكيم ـ إن صحت روايات الأخباريين ـ ما يفيد تفوق تميم أو بعض رجالها مثلاً على غيرها بصناعة الكلام ؟ ثم إن لغة الخطابة والشعر عند الجاهليين هي اللغة التي نزل بها الوحي نفسها ، وذلك كما يتبين من المحفوظ المروي والمدون فى الاسلام وحيث إن شعراء الجاهلية المنسوب هذا الشعر اليهم ، والمتكلمين المنسوب ذلك الكلام اليهم ، لم يكونوا كلهم من أهل مكة . بل كانوا من مواضع متعددة من الجزيرة ، وقسم كبير منهم كان يعيش فى العراق أو فى

بلاد الشأم ، استنتج من ذلك أن هذه اللغة لم تكن لغة محلية خاصة ، إنما كانت لغة الشعر والخطابة في أكثر أنحاء الجزيرة وفي خارجها وهذا الاستنتاج يضعنا أمام أسئلة ، منها : هل كانت هذه اللغة لغة الوحي الكريم والشعر والخطابة لغة الأدب عند أكثر العرب قبل الاسلام وعند ظهوره ؟ أو هل كانت لغة قريش ، ومن قريش انتشرت في سائر أنحاء الجزيرة بسبب الحج والمواسم والتجارات وما أشبه ذلك من عوامل ؟ ثم ان كانت هذه اللغة لغة قريش خاصة ، ففي أي وقت خرجت من أسوار قريش حتى صارت لغة الأدب عند العرب أجمعين ؟ وان كانت الأولى ، أي أنها لغة الأدب عند العرب ، فهل كانت لغة جماعة معينة ، توسعت حتى صارت لغة الأدب لأكثر العرب ؟ أو أنها لم تكن لهجة جماعة معينة ، إنما كانت لهجة قديمة كالأم تطورت حتى بلغت الشكل الذي بَلَغَتْهُ عند نزول الوحي ؟

وأما احتجاجهم بكون الرسول من قريش ، فلا بد أن يكون الوحي بلغة قريش ، فإن العرب كلهم قوم الرسول ، ولم تخصص الآية القومية بالمعنى الضيق المحدود ، بدليل وصف لسان القرآن بأنه عربي ، واللسان العربي لسان عام يشمل لسان قريش ولسان غيرها من القبائل ولو كان القرآن الكريم قد قصد بالقوم هنا قوم الرسول الذين بينهم حسب ، أي قريش وحدها ، لنعت القرآن بأنه نزل بلسان قرشي ، ليكون واضحاً مفهوماً عند الناس

ويسوقنا البحث في موضوع لهجة القرآن الكريم الى التفكير في موضوع آخر له صلة وثيقة بهذا الموضوع ، بل هو في الواقع جزء منه ، هو : لغة الأدب عند الجاهليين ، وهل كانت للجاهليين لهجة خاصة يستعملونها في التعبير عن عواطفهم من شعر ونثر ؟ وهل كانت فوق سائر لهجاتهم المحلية أو لهجات القبائل المتعددة ؟ واذا كانت هنالك لهجة خاصة ، فلهجة من كانت تلك اللهجة ؟ وبأي موطن ولدت ؟ وهل كانت لهجة عامة مستعملة لدى جميع العرب ، أو كانت لهجة خاصة بالعرب الشماليين ، وأعني بذلك العرب الذين سكنوا خارج اليمن وحضرموت وعمان ؟ والاجابة عن هذه الأسئلة تؤدي حتماً الى الاجابة عن موضوع لهجة القرآن الكريم

وقد عني عدد من المستشرقين بالإجابة عن أمثال هذه الأسئلة ، فكتب « نولدكه » ، في

كتابه عن تأريخ القرآن ، فى موضوع القراءات واللهجات التي نزل بهـا القرآن الـكريم [١] ، كما تطرق فى أثناء كلامه على الشعر الجاهلي الى موضوع لغة الأدب عند الجاهليين ، وخلاصة رأيه أن الفروق بين اللهجات فى الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات لم تكن كبيرة ، وأن اللهجة الفصحى بنيت على جميع هذه اللهجات [٢] وذهب « غويدي » الى أن اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها ، ولـكنها لم تكن لهجة معينة [٣]. ورأى « نلينو » أن العربية الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية ، وهذبت فى مملـكة كندة وفى عصرها ، فأصبحت اللغة الأدبية السائدة وعزا سبب ذلك الى وجود ملوك هـذه المملـكة وإغداقهم على الشعراء مما كان له وقع فى نفوسهم ، ثم الى توسع رقعة هذه المملـكة التي ضمّت أكثر قبائل معدّ ، وكان لها فضل توحيد تلك القبائل وجمع شتاتها [٤] ، فشاعت هذه اللهجة على رأيه فى منتصف القرن السادس الميلاد ، وخرجت خارج نجد ، وعمّت معظم أنحاء الجزيرة ولا سيما القسم الجنوبي من الحجاز الذي فيـه يثرب ومكة والطائف ، مع بقاء اللهجات العامية فى منطق الناس المعتاد ، وكان للمواسم المشهورة ولملوك الحيرة وغسان شأن لا ينكر فى هذا الانتشار السريع العجيب [٥] وذهب « هارتمن Hartmann » و « فولرس Vollers » الى أن العربية الفصحى هي لهجة أعراب نجد واليمامة ، غير أن الشعراء أدخلوا عليهـا تغييرات متعددة [٦] وذهب « لندبرك Landburg » الى أن الشـعراء هم الذين وضعوا قواعد هـذه اللهجة ، وعلى قواعدهم سار المتأخرون ، ومن شعرهم أُسْتُخْـرِجت القواعد ، ومن قصـائدهم تلك استنبط العلماء أصول النحو

ولم يعين « فيشر Fischer » اللهجة التي نبعتْ منها العربية الفصحى ، غير أنه رأى أنها لهجة خاصة [٧] ول « بروكلمن Brockelmann » و « ويتزشـتاين Wetzstein » آراء فى

(١) Noldeke Geschichte des Korans, Zweite Auflage, Erste Teil. S. 42.

(٢) Noldeke, Beitrage S, 1-14 Semiti

(٣) Guidi, Misc. Ling., Torino, 1901, P. 323.

(٤) الهلال : السنه السادسة والعشرون ، أكتوبر ١٩١٧ م (ص ٤٧)

(٥) المصدر نفسه (ص ٤٨)

(٦) Vollers Valkssprache, S. 184.

(٧) Fischer in ZDMG., 662 note. 4, Rabin P. 17.

نشوء هذه اللغة وفى تطورها ، ولكنهما لم يتحدثا عن علاقتها ببقيه اللهجات [1]

وقد استنبط المستشرقون آراءهم هذه من الروايات التي دوّنها العلماء عن الشعر واللغة واللهجات ، وهي مع اعتمادها عليها غير كافية فى نظري لإعطاء رأي علمي صحيح عن هذا الموضوع ، فما رواه العلماء إنما دوّن في الإسلام ، أي بعد استقرار اللغة وصيرورة لغة القرآن الكريم اللسان الرسمي لا للعرب وحدهم ، بل اللسان الرسمي لجميع المسلمين ثم إن ما رووه يخص هذا اللسان فى الغالب أما ما ذكروه عن الألسنة الأخرى ، فأكثره مما يتعلق باستعمال القبائل للمفردات ، كذكر المترادفات للكلمة الواحدة ، والمترادفات هي فى الغالب كلمات لمسمى واحد تعددت لاستعمال قبيلة أو عدة قبائل مصطلحاً أو تعبيراً يختلف عن مصطلح قبيلة أخرى أو تعبيرها ، فحصل من هذا التعدد عدد من الكلمات لمسمى واحد لا غير وأما الاختلاف فى نطق الكلمة بالفتح أو بالضم أو بالإمالة وأمثال ذلك ، أو في كيفية استعمال حروف الجر ، فانه وان كان ذا أهمية غير أنه لا تكفي مع ذلك لتكوين فكرة علمية صحيحة عن نشوء اللهجات وتطورها

والطريقة المثلى لتكوين رأي علمي عن أمثال هذه الموضوعات ، تكون فى نظري بالرجوع الى الكتابات الأصلية المدونة بمختلف اللهجات ، لتُستَخرَجَ منها الفروق والمطابقات وقواعد الألسنة ، وليتمكن بواسطتها من الحكم على لغة التدوين فى المنطقة التي وجدت فيها والعصر الذي تنسب اليه ، ثم بالرجوع الى المؤلفات المدونة فى قواعد اللهجات وضوابطها من نحو وصرف ، المنقولة عنها ليتمكن بها من الوقوف على أساس تلك الألسنة ومن المقارنة بينها وبين اللغة الفصحى : لغة القرآن الكريم

أما الكتابات الجاهلية التي هي الأصل فى الاستشهاد ، فهي آلاف فى الزمن الحاضر ، وفى عدة لهجات ، هي : المعينية ، والسبئية ، والقتبانية ، والحضرمية ، والثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، وفى لهجة أخرى قريبة من العربية الفصحى ولكنها متأثرة بالإرمية ، وهي أقل اللهجات المذكورة عدداً ، اذ لا تتجاوز جملتها ستة كتابات وكل النصوص الجاهلية هي من العربية الغربية والجنوبية ، خلا نصوص معدودة عثر عليها فى العربية الشرقية وليس مرد

---

(١) Rabin, P. 17

تلك الكثرة وهذه القلة الى علم أهل الغرب والجنوب بالكتابة وجهل أهل الشرق بها ، إنما هو اختلاف طبيعة الأمكنة ففي الغرب والجنوب حجارة صلدة مضيافة كريمة أمينة فى حفظ ما سطر عليها ، وفى الشرق رمال وأتربة تنفر طبيعتها من الكتابة ولا تميل اليها ؛ لهذا لم يعثر فيها إلا على عدد قليل من الكتابات مدونة على أحجار مستوردة من أماكن بعيدة ، صعب على الرمال لفظها الى ظاهر الأرض ، فبقيت فيها الى أن استخرجها بحاثو شركات النفط وبعض السائحين .

والذي يخصّ موضوعنا مباشرة من هـذه الكتابات ، هو القسم المدون منها فى القرن السادس للميلاد ، خاصةً المدوّن منها قبيل ظهور الإسلام وحين نزول الوحي أما القديم منها ، فهو مهم ولا شك من حيث دراسة تطور اللهجات العربية قبل الاسلام وتأريخ هـذا التطور . ولكنه لا يفيدنا فائدة مباشرة فى معرفة اللهجة التي كانت سائدة بين أكثر العرب عند ظهور الاسلام وتشخيصها والقسم القديم منه ، وأعني به القسم المدون قبل القرن السادس الميلاد ، هو القسم الغالب أما القسم المدون منه فى القرن السادس ، فهو مما كتب قبل الإسلام بسنين ، أي فى النصف الأول من القرن السادس ، وهو قليل معدود وليس بين أيدينا حتى الآن نص مدون فى السنين المتصلة بالإسلام ، أو فى أيام نزول الوحي ، أي فى الحقبة المهمة بالنسبة الى موضوعنا ، لنتمكن بها من معرفة اللهجة التي كانت سائدة فى جزيرة العرب عند ظهور الاسلام

ويؤسفنا أننا لا نملك حتى الآن مؤلفاً بالعربية كتب فى نحو اللهجات العربية الجاهلية أو اللهجات التي كانت مستعملة وفى أدبها حين ظهور الإسلام وفى صدر الاسلام أما ما دوّنه بعض العلماء عن لهجات أهل اليمن ، كالهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وأضرابهما ، أو من أخذا منهم وغرفا من مؤلفاتهم ، فأكثره مما يخص المفردات ، ثم إن غالبه هو من هذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم ، تصرف فيه أهل اليمن بعض التصرف ، فظن أولئك العلماء أنه من لغات اليمن القديمة . ولم أجد فيهم من تعرض لنحو تلك اللهجات وصرفها ، ولا لخصائصها التي تميزها عن اللهجات الأخرى ، وان كانوا قد تعرضوا للقلم المسند وأظهروا معرفة به [1] وأما

(١) الاكليل (١٢٢/٨) ، الفهرست : في بحث الأقلام

المتون الواردة فى « الإكليل » للهمداني ، وفى بعض المؤلفات الأخرى لنصوص عربية جاهلية ذكر أنها نقلت عن الأصل وأنها قراءات لها ، فهي نصوص لا يَسَعُ الخبير باللهجات العربية قبل الإسلام ، العارف بها ، أن يقول إنها نصوص مدونة بتلك اللهجات ، وإنها صور نقلت نقلاً صحيحاً عن الأصل ؛ ولذلك ليس لها حكم النصوص الجاهلية المنهية الينا ، وان كانت ذات فائدة من ناحية أخرى ، من ناحية دراسة ما عرفه علماء التأريخ والآثار الاسلاميون عن تأريخ ما قبل الاسلام ، ودراسة بعض الكلمات التي تمكن أولئك العلماء من قراءة حروفها قراءة صحيحة [١]

وأقرب هذه النصوص الى عربيتنا ـ وأعني بعربيتنا هـذه العربية التي نكتب بها ونطلق عليها العربية الفصحى ، وهي عربية القرآن الكريم ـ النصوص التي أشرت اليها ، وأقدمها وأطولها نصّ حرّان الذي يعود عهده الى سنة ٣٢٨ م ، وقد عثر عليها كلها فى بلاد الشأم وقد يدل وجودها في هـذه الأرَضين على أن عربها كانوا يتكلمون أو يكتبون بلهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم ويلاحظ أن أقرب هذه الكتابات الى أيام ظهور الإسلام ، هي أقصرها وهذا أمر مؤسف ، فقد حرمنا معرفةَ صلة لهجة تلك النصوص باللهجة القرآنية ، ومعرفةَ تطور تلك اللهجة منذ عثورنا على أول نص مدوّن بها الى أيام ظهور الإسلام ، ومعرفةَ خصائصها النحوية والصرفية وما تشترك فيه مع قواعد لهجة القرآن الكريم

ويصعب فى الزمن الحاضر إعطاء رأي علمي مقنع عن مدى علاقة هـذه اللهجة بلهجتنا ، ما لم تتوافر لدينا نصوص أخرى جديدة تَزيد فى معارفنا عنها ، وما لم نتوسع فى البحث عن كتابات نأمل أن تكون مطمورة في بلاد الشأم وفي الحجاز وفى العراق ، ولا سيما الحيرة إذْ كانت المدرسة التي تعلم منها كتاب الحجاز القلم الذي دون به القرآن الكريم على ما يذكره أهل الأخبار [٢] ، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء النصارى قبل الاسـلام ، وكانت فى كنائسها

(١) راجع النصوص المدونة في الإكليل ، وهي تؤيد هذا الرأي (٢١/٨ ، ٤٢ ، ٤٩ ومواضع أخرى)

(٢) نهاية الأرب (٣/٧) ، المزهر (٣٤٣/٢) ، الفهرست (٤) ، عيون الأخبار (٤٣/١) ، المعارف (٢٧٣) ، ابن خلدون (٦٠/٢) تأريخ العرب قبل الاسلام (١٤/١ وما بعدها) .

ودياراتها وفي قصور ملوكها سجلات ودواوين فيها أخبار من ملك تلك المدينة وما قيل فيهم من شعر [١]

والتنقيب فى العراق وفي بادية الشام ونجد والحجاز ، من الأمور الضرورية اللازمة لمعرفة الصِّلات التي تصل بين لهجات عرب هـذه الأرضين قبيل الاسلام وخاصة فى القرن السادس الميلاد ، لأنّ حكمنا على لغتهم مستمد فى الزمن الحاضر من الروايات والأخبار التي لا تستند الى كتابات جاهلية وهـذه المستندات مع ما لها من قيمة علمية لا تنكر ، ليست فى درجة الوثائق المأخوذة من المنابع الأصلية ، وهي الكتابات المدونة قبل الاسلام ثم إن ما هو مدون إنما دوّن فى الاسلام ، وكانت لهجات هذه القبائل فى عهده قد تأثرت بلهجة القرآن الكريم تأثراً كبيراً

فلتكوين رأي علمي سليم عن اللهجات العربية قبل الإسلام وعند ظهوره ، لابد من دراسة الكتابات الجاهلية لاستنباط قواعدها وخصائصها وما تشترك وما تختلف فيه ، وتقسيمها الى مجموعات بحسب نتائج هذه الدراسات ، وفى ضوء هذه الدراسات نتمكن من تكوين رأي علمي مقبول صحيح

وينطبق هـذا الرأي على تثبيت لهجة القرآن الكريم وتعيينها كذلك ، فلا بد لمعرفة هذه اللهجة من معرفة لهجات القبائل العربية عند ظهور الاسلام ، ومعرفة لهجة أهل الحجاز ولا سيما أهل المدينتين اللتين نزل فيهما وما بينهما الوحي وليست لدينا نصوص مكتوبة بأيدي أناس عاشوا قبيل الإسلام أو عند ظهور الاسلام

أما الحديث الذي عين لهجات القرآن الكريم وأثبتها ، فقد أشرت الى الطرق التي ورد فيها ، وهي طرق غير مطمئنة لنقدة العلماء ، ففي بعض رواتها مَغْمَزٌ ، وفى بعض رجالها أقوال

---

(١) « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتأريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة » ، الطبري (٢/٣٧) ، ابن جني : الخصائص (١/٣٩٣) ، تاج العروس (٢/٧٠) ، طبقـات الشعراء (١) ، المزهر (٢/٤٧٤) ، تأريخ العرب قبل الإسلام (١/١٤) .

من جهة أنهم لم يلتقوا بابن عباس الذي رفع رواية الحديث عن رسول الله اليه[1] ثم لا بد لنا ولهم من معرفة تلك اللهجات لإبداء حكم عليها ، ولم يذكر العلماء من مميزاتها غير النزر اليسير

ويوحي حديث : « أُنزل القرآن على سبعة أحرف » الى السامع أن القرآن الكريم كان قد أنزل على سبعة أوجه متباينات ، وأن فيه اختلافاً كما توحي ذلك بعض الأخبار التي تهوّل الأمر وتوسعه ، حتى تكاد توهمك أن الصحابة كانوا يحفظون ويقرؤون قراءين يختلف بعضها عن بعض فقد ذُكِر أن رجلين اختصما في آية من القرآن ، وكلٌّ يزعم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أقرأه فتقارءا الى أُبيّ ، فخالفهما أُبَيّ ، فتقاروُوا الى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : يا نبي الله ، اختلفنا في آيةٍ من القرآن ، وكلّنا يزعم أنك أقرأته فقال لأحدهما : إقرأ قال : فقرأ فقال : أصبت وقال للآخر : إقرأ فقرأ خلافَ ما قرأ صاحبه فقال : أصبت وقال لأُبَيّ : إقرأ فقرأ ، فخالفهما فقال : أصبت قال أُبَيّ : فدخلني من الشك في أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما دخل فيّ من أمر الجاهلية قال : فعرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدري ، وقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم قال : فَفِضْتُ عرقاً ، وكأني أنظر الى الله فَرَقاً ، وقال : إنه أتاني آت من ربي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت : ربّ ، خفّف عن أمتي قال : ثم جاء ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلتُ : ربّ خفِّفْ عن أمتي قال : ثم جاء الثالثة ، فقال : إنّ ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت : رب خففْ عن أمتي قال : ثم جاءني الرابعة ، فقال : إنّ ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة مسألة ... الخ[2]

ورُوي عن زيد بن وهب ، قال : أتيتُ أبن مسعود أستقرئه آية من كتاب الله ، فأقرأنيها كذا وكذا فقلت : إن عُمَرَ أقرأني كذا وكذا خلاف ما قرأها عبد الله قال :

---

(١) جامع (١/٢٣) ، ابن سعد (٥/١٠٠) ، ياقوت : ارشاد (٥/٦٣ ، ٦٥) ، المذاهب الإسلامية (٧٤)
(٢) جمع (١/١٤)

فبكى حتى رأيت دموعه خلال الحصى ، ثم قال : إقرأها كما أقرأك عمر .فوالله لهي أبين من طريق السيلحين [١]

ففي هذين الخبرين وفى الأخبار الأخرى التي ذكرها والأخبار المروية عن الأسباب التي حملت المسلمين بعد وفاة الرسول ومنذ عهد أبي بكر الى عهد عثمان على جمع القرآن وتدوينه ما يفيد وقوع اختلاف فى القراءات على عهد الخلفاء حمل الخليفة عثمانَ على وضع حدّ له خشية الفرقة ، فأمر بالقراءة على المصحف الذي تم الاتفاق عليه [٢]

ومن هذه الوجهة ظهرت نظرية القراءات السبع ، القراءات المعتبرة المعتمدة عند القراء ، وهي ترجع الى أئمة ارتبطت بأسمائهم ، وعليها يقتصر فى القراءات وهي بالطبع نتيجة تطور سابق لقراء سبقوا هؤلاء الأئمة الذين اعتمد عليهم فى القراءات [٣] ، وعلى قراءاتهم يقرأ من يستحق لقب « مقرىء » أو « قارىء » [٤] وان كانت هنالك روايات تزيد بعض الزيادات على هذه القراءات

ولأجل تكوين فكرة علمية صحيحة عن هذه الأخبار وعن درجة سعة هذا الاختلاف ومقدارها وما يجب أن يقال فيها ، لا بد من نقد كل ما ورد في هذا الباب من حديث وروايات ، وغربلته غربلة دقيقة . وتكون أول هذه الغربلة فى نظري بنقد سلسلة رجال السند ، أي الرواة ، لمعرفة الروابط التي كانت تربط بينهم وصلة بعضهم ببعض وملاقاتهم ، وما قيل وورد فيهم ؛ إذ نسبت أحاديث الى أشخاص قيل إنهم رووها عن أناس ثقات ، ثبت من النقد أن بعض رجال السند لم يلتقوا فى حياتهم بمن حدثوا عنهم كما فى حديث قتادة عن ابن عباس ، أو أنهم رووا ما رووه تسرعاً وبدون سند أو إجازة [٥] لمجرد سماعهم برواية أولئك الأشخاص لتلك الروايات

(١) ابن سعد (١/ ٢٧) Noldeke, Geschichte des qorans, I. S. 41

(٢) الإتقان (١/٩٨ وما بعدها) ، جامع (١/ ٢ وما بعدها) النشر (١/٥ وما بعدها) ، الرافعي : اعجاز القرآن (٣٠ وما بعدها)

(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله (١٢١) ، الحافظ الدمشقي : النشر في القراءات العشر (١/٣١ وما بعدها)

(٤) كولد زهير : المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (ص ٣٧)

(٥) جامع (١/٢٣) ، (٢٥/٧٢) ، المذاهب الإسلامية (٨١ وما بعدها)

ثم إن هذا النقد لا يكفي وحده ، بل لا بد من نقد متن الحديث من حيث لغته وأسلوبه ومضمونه وروحه ، ومن حيث انطباق بعض الروايات على جوهر القرآن الكريم وما عرف عن الرسول فبهذا النقد للمتن ، نتمكن من الحكم على إمكان صدور الحديث عن الرسول أو عدمه

وبعد كل ما تقدم ، علينا حصر أمثلة الاختلاف التي ذكرها العلماء ، وضبط كل ما ورد فى الأخبار من هذا القبيل ، لنتمكن من الحكم على مقدار ما اختلف فيه وسعته ودرجة موافقته لما جاء فى ذلك الحديث وفى تلك الأخبار ، ثم دراسة هذه الكلمات التي قيل إنها تمثل لهجات قبائل وإنها حرف من هذه الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث

ونحن اذا تعمقنا فى درس مواضع الاختلاف ، وهي أهم ما يتصل بلهجة القرآن الكريم ، وسجلناها تسجيلاً دقيقاً شاملاً ، نجد أنها ليست فى الواقع اختلافاً فى أمور جوهرية تتعلق بالوحي ذاته ، وإنما هي فى الغالب مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصيّة القلم الذي دوّن به القرآن الكريم فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابهة ، والمميز بينها هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد ثم إن هذا القلم كان خالياً فى باديء أمره من الحركات ، وخلو الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة فى الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أي كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلام من الإعراب (١)

كل هذه الأمور وأمور أخرى تعرض لها العلماء ، أحدثت فى الغالب القسم الأعظم مما يعد اختلافاً فى القراءات

ويعود القسم الباقي من مواضع الاختلاف الى سبب أراه لا يتعلق أيضاً بمتن النص ، وإنما هو ، كما يتبين من الامعان فى دراسته ومن تحليل الآيات المختلف فيها ، زيادات وتعليقات من ذهن الحفاظ والكتاب على ما أتصور ، لعدم وضوح المعنى لديهم ، لعلها كانت تفسيراً أو شرحاً لبعض الكلم دونت مع الأصل ، فظنت فيما بعد من الأصل واثبات التفسير مع المتن ، جائز على بعض الروايات (٢)

---

(١) الهمداني : الإكليل (٨/١٢٢) ، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (ص ٤ وما بعدها)

(٢) « جواز اثبات بعض التفسير على المصحف ، وان لم يعتقدوه قرآناً » المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (١١) وما بعدها) ، الزرقاني على الموطأ (١/٢٥٥)

ويعود قسم آخر منه الى استعمال كلمات قد تكون مخالفة لكلمة من حيث شكلها ، ولكنها متفقة معها فى معناها ، والى استعمال كلمات متباينة فى الشكل وفى المعنى وهذا القسم هو ، ولا شك ، أهم أقسام الاختلاف ، واليه يجب أن نوجه الدراسة .

هذه الأمور المذكورة ، تحصر جميع ما ورد من اختلاف فى كلمات أو آيات من القرآن الكريم أما ما ذكره العلماء من الأوجه التفسيرية للحديث حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ومن جملها خمسة وثلاثين وجهاً أو سبعة أوجه أو أقل من ذلك أو أكثر[٢] ، فانها تفاسير متأخرة ، وأوجه نظر قيلت لإيجاد مخارج مسوّغة لتفسير هذا الحديث

ويصعب فى هذا الموضع ذكر أمثلة لهذه الأمور ، فهي عديدة كثيرة ، ذكرت فى كتب المصاحف وفى كتب التفسير ، وأورد شواهد منها « كولد تزهير » فى كتابه عن « المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن » ، يمكن الاطلاع عليها فى الصورة العربية له المطبوعة بمصر[٣]

فمن أمثلة الاختلاف الحادث من الخط « تستكبرون » بالباء الموحدة و « تستكثرون » بالثاء المثلثة فى الآية : « ونادى أصحابُ الأعرافِ رجالاً يعرفُونَهم بِسِيماهُمْ ، قالوا : ما أغنى عنكم جَمْعُكُمْ وما كنتم تستكبرون »[٤] و « بشراً » أو « نشراً » فى الآية : « وهو الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بشراً بين يدي رحمته »[٥] وكلمة « إياه » فى الآية : « وما كان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ » ، إذْ وردت أيضاً « أباه » بالباء الموحدة[٦] وأمثال ذلك مما كان سببه النقط

وبعد ملاحظة ما تقدم ، وحصر كل ما ورد فى المصاحف وما قرأه القراء من قراءات ، نجد أن ما يختص منه باللهجات وباللغات قليل يمكن تعيينه ، ومعظمه مترادفات فى مثل : أرشدنا واهدنا ، والعهن والصوف ، وزقية وصيحة ، وهلم وتعال وأقبل ، وعجل وأسرع[٧] ، والظالم

---

(٢) النشر فى القراءات العشر (١/٢١ وما بعدها) ، الإتقان (١/٧٨ وما بعدها) ، القرطبي (١/١٦) ، الأزرقي (٤٣٦) ، Noldeke, I. S. 49. f.

(٣) اخراج علي حسن عبد القادر ، مطبعة العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٤ م

(٤) الأعراف : آية ٤٨ (٥) الأعراف : آية ٥٧ (٦) التوبة : آية ١١٤

(٧) النشر (١/٢٩ وما بعدها) ، القرطبي (١/١٦) ، اتقان (١/٧٩ وما بعدها)

والفاجر، وعتى وحتى [١]، وأمثال ذلك وهذه الأمثلة هي كلمات مختلفة لفظاً، ولكنها في معنى واحد وهي كما ترى مفردات لا دخل لها في قواعد اللهجات

وأما الاختلاف في الاظهار والادغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتحقيق والتسهيل والإبدال، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً [٢]، وليس هو من قبيل الاختلاف المؤثر في قواعد اللهجة، إنما هو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج حروف الكلمات، فلا يصح أن يعد فارقاً كبيراً يمكن أن يكون حداً يفصل بين اللهجات، بحيث يصيرها لغة من اللغات، ثم إن بعضه يعود الى الخط، وبعضه الى التجويد [٣] أي طريقة التلاوة والأداء

وللحكم على أصل المترادفات، يجب مراجعة سلسلة السند للوصول الى صحة تسلسل الأخبار من جهة، والى معرفة راوي الخبر والقبيلة التي هو منها لمعرفة القراءة التي قرأها، وهل هي من لهجة قبيلته، أم هي مجرد كلمة من اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم نفسها، تلقاها القارىء على الشكل الذي رواها في قراءته

لقد أشار العلماء الى أمثلة من كلمات غير قرشية وردت في القرآن الكريم، ذكروا أنها من لهجات أخرى، ومنها: الأرائك، ولا وَزَرَ، ويفتنكم، وأمثال ذلك رَجَعَ بعضهم أصولها الى خمسين لهجة من لهجات القبائل، كما أشاروا الى وجود كلمات معربة أخذت من لغات أعجمية مثل الرومية والفارسية والنبطية والحبشية والسريانية والعبرانية وأمثال ذلك [٤]، وألفوا في ذلك كتباً، منها: كتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) واسمه « رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل » [٥]، وكتاب لغات القرآن

---

(١) مباني (٩)، Noldeke, I, 51. (٢) النشر (١/٢٦ وما بعدها)

(٣) راجع بعض الأمثلة في (ص ٧) من كتاب المصاحف: للسجستاني « طبعة آرثر جفري »، القاهرة ١٩٣٦

(٤) الاتقان (١/٢٢٩ وما بعدها)

(٥) طبع مع كتاب الديريني المسمى (التيسير في علم التفسير) في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ. ومع تفسير الجلالين المطبوع في القاهرة كذلك سنة ١٣٥٦ هـ.

لأبي زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٤ هـ. (٨٢٩ م) [١] ، وغيرها ولكن بحوث هؤلاء العلماء انحصرت في دراسة المفردات ، أي الكلمات لا غير ثم إن الذين تناولوها لم يكن لهم علم بأكثر اللغات التي رجعوا أصولها اليها ، ولاسيما اللغات الأعجمية مثل الرومية والسريانية والنبطية والحبشية غير أن من الجائز أن يكون هؤلاء قد سمعوا عنها من الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام ولكن طريقة السماع هذه لا تكفي لإعطاء حكم على أصل لغة ، بل لا بد من وجود علم ومعرفة بقواعد تلك اللغة وتأريخها وتطورها ، والإحاطة بالعلاقات التأريخية بين العرب وغيرهم قبل الاسلام لمعرفة كيفية دخول تلك الكلمات الى العرب ، وايجاد وجه صحيح المقارنة بين اللغتين ، وهذا ما لم يحدث في تلك الأيام

ولما كانت قراءة عبد الله بن مسعود من القراءات المشهورة المعروفة ، وكان عبد الله بن مسعود من قبيلة هُذَيل [٢] ، وجب علينا البحث في لهجة هُذَيل ولمعرفة خصائصها مميزاتها وما انفردت به عن غيرها من اللهجات وهذيل من القبائل التي عرفت بجودة لهجتها ، في تدوين القرآن الكريم [٣] ولذلك رأى الخليفة عثمان أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف وقد ذكرت لهجتها في جملة اللهجات التي نص عليها في الحديث المذكور على نحو ما أشرت اليه ، كما أخرجت عدداً من الشعراء جمع بعض العلماء أشعارهم في ديوان ، وقد طبع في القاهرة ديوان شعراء هذيل [٤] ويفيدنا شعر هؤلاء الشعراء بالطبع في الوقوف على لهجة هذه القبيلة ولكن هذا الشعر هو مثل شعر سائر الشعراء الجاهليين الآخرين ، مصقول مهذب ، هذّب على وَفْق قواعد اللغة العربية التي ضبطت في الإسلام ، ثم هو مضبوط برواية رواةٍ هم في الأغلب من غير هُذَيل ولهذا قلّما نجد في شعر هؤلاء الشعراء وغيرهم ما يختلف عن

(١) الفهرست (ص ٥٥)

(٢) طبقات ابن سعد (١/١٥) (٣/١٥) عيون الأخبار (٣٧٣) « بروكلمن » ، راجع ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية ، حيث تجد الإشارة الى الموارد التي وردت فيها ترجمته (٢/٤٠٣) من الطبعة الانكليزية Goldziher, Vorlesungen. S. 65

(٣) ابن فارس : الصاحبي (٢٨) « وقال عمر : لايملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف وقال عثمان : اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف » ، Rabin, P., 79

(٤) الخصائص (١/١٣٠) ، ديوان الهذليين : القاهرة ١٩٤٥ ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية .

قواعـد اللهجة العربية ، حتى أننا لا نستطيع فى هذه الحالة أن ندعي أن هذا الشعر هو بلهجـة هذيل وقد حرمنا هذا الصقل الوقوف على لهجات القبائل التي أخرجت أولئك الشـــعراء ومعرفة مؤثراتها في شعر أولئك الشعراء

ومن أهم الأمثلة التى أوردها العلماء في قراءة ابن عباس مما له علاقة باللهجات ، قراءتـه كلمة « حتى » « عـتى » بالعين فى الآية : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حـتى حين » (١) وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن هذه القراءة هي بلهجة هذيل (٢) ، وأن « عتى » هي « حتى » عند هذه القبيلة ؛ ذلك لأن هذه القبيلة تستعمل حرف العين بدلاً من الحاء فى لهجتها (٣) . ولم يشر العلماء الى مواضع أخرى استعمل ابن مسعود فيها كلمة « عتى » فى موضع « حتى » الواردة فى مواضع كثيرة من القرآن الـكريم ، كما أننا لم نجد في كتب اللغة المتقدمة إشارة الى استبدال هذيل حرف العين بحرف الحاء ونظرية « فحفحة هذيل » ، رأي متـأخر لم يقرن بأدلة وأمثلة ، فهو رأي لا يمكن الأخذ به (٤) وأظن أن هذه القراءة المنسوبة الى ابن مسعود ، هي من القراءات المتولدة من حدوث اشتباه فى القراءة ، من جرّاء عدم حصول التمييز بين « العين » و « الحاء » في « حتى » ووقوع الاشتباه بين الحرفين فى ابتداء الـكلمات ، أمر ليس بصعب ، وإلا فَلِمَ انفرد ابن مسعود فى هـذا الوضع فقط ، باسـتعمال « عتى » ، ولم يستعملها فى المواضع الأخرى وهي كثيرة فى القرآن الـكريم ؟

نعم ، لقد ورد فى روايات أن ابن مسعود قرأ « نحم » بدلاً من « نعم » فى القـــرآن الـكريم (٥) ، وأنه قرأ « بُحْـثِرَ » عوضاً عن « بُعْـثِرَ » (٦) وهذه الروايات تناقض الروايات السابقة التي تزعم أنه قرأ « عتى » فى موضع « حتى » فى الآية المذكورة ، اذ نجـده فى هذه الروايات يقرأ « العين » حاء ، أي عكس تلك القراءة المنسوبة اليه ثم إن المفسرين وعلمـــاء القراءات ، لم يشيروا الى قراءات أخرى له من هذا النوع قلب فيهـا حرف العين حاء مع تعدّد

(١) سورة يوسف ١٢ آية ٣٥ (٢) البيضاوي (١/٤٦٠) ، ابن مالك : التسهيل (٥٧)
(٣) المزهر (١/١٣٣) Rabin , P 84 . f (٤) Rabin , P . 85 .
(٥) المغني (٢/٢٥)
(٦) « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور » ، العاديات (١٠٠ ، ٩)
Rabin , P. 85 Beck in Orientalia vol. , XV ; 182.

ورود حرف العين فى القرآن الكريم

وهناك روايات تفيد أن أسداً وتميماً استعملوا حرف الحاء فى موضع العين فى بعض الحالات ، فقالوا « مَحَـهُمْ » بدلاً من « مَعَـهُمْ » و « أأحهد » فى موضع « أأعهد » [1] ولكنها لم لم تشر الى أمثلة أخرى من هذا القبيل وهذان المثالان لا يكفيان بالطبع لإعطاء حكم فى هذا الإبدال عند القبيلتين ولكن هنالك رواية متأخرة لا نعرف مرجعها تفيد أن هذا الإبدال واقع فى لهجة سعد بن بكر ، وهي قبيلة تقع مواطنها فى شمال المدينة [2] ولكن ما صلة ابن مسعود بهذه القبيلة وهو من هذيل ؟ هل نفترض أنه أخذ قراءته تلك من أفواه رجال هذه القبيلة ؟ اذا أخذنا بهذا الظن ، وجب علينا اثبات ذلك بدليل ، وذكر أسماء الصحابة الذين أخذ ابن مسعود منهم قراءته ويجب حينئذ رَجْعُ تلك القراءة الى أولئك الصحابة لا الى ابن مسعود والواقع أننا لا نستطيع أبداً الاتيان بدليلٍ ما يثبت استعمال هذيل حرف العين فى كلامها فى موضع الحاء وبالعكس

ورأيي أن ما نسب الى ابن مسعود فى هذه القراءة أو القراءات الثلاثة ، سببه وهم وقع فيه مَنْ نسب تلك القراءة اليه ، وهو ناجم من كتابة المصحف المنسوب اليه وإلا ، فلا يعقل أن يقتصر ابن مسعود على هـذه القراءة أو القراءات التي هي ليست من لهجة أهل مكة ولا أهل يثرب ولا هذيل ، ثم يترك سائر المواضع ولا يعقل كذلك تلفظ الرسول بهذه اللهجة الشاذة التي لا نعرف من كان يستعملها على وجه ثابت ، وقد نزل القرآن بأفصح اللهجات

والى أمثال هذه القراءات الشواذ ، التي يجب نقدها وتمحيصها بعناية ، استند « كارل فولرس » فى نظريته القائلة بحدوث تغيير فى نص القرآن الكريم وهي نظرية لم يُقِرَّها عليه بعض كبار المستشرقين ولو فحصت ودققت ، لتبين أنها بنيت على روايات لا تثبت أمام التمحيص ، أخذها لمجرد ورودها فى الكتب ولكن ليس كل ما يرد فى الكتب بأمر مسلم به وسأتحدث عنها فى الجزء الآتي من المجلة ، مع بقية الموضوع

جواد علي

(١) Rabin , P. 85. (٢) المصدر نفسه

رسائل تأريخية

من الكرملي الى الامام الآلوسى

تمهيد

تتميّز الرسائل الإخوانية ، التي يتبادلها الأدباء والعلماء ، من غيرها من أنماط الرسائل ، بأنها تصف دخائل أصحابها وميولهم الخاصة وصفاً صادقاً يبرأ من التكلف والتزويق ، وبحفل من طرائف الأنباء والشؤون بما يجمع ـ في أحيان كثيرة ـ بين الإفادة والمؤانسة والإمتاع ، لأنها يُطْرَقُ فيها ما لا يطرق فى غيرها من أحاديث النفس والحالات الخاصّة التي تعنّ للمتراسلين ولا يُفْضَى الى الناس بمثلها في العادة

فهي من أفضل المصادر لاستجلاء خفايا النفوس ، وكشف خبايا الأفكار ، وتسقّط أمتع الفوائد والأنباء

وبين يديك الآن خمس رسائل أُستوفت ملامح من هذه الدلالات النافعة وقد كتب بها ـ منذ نصف قرن ـ الباحثُ المعروف الأب أنستاس ماري الكرملي الى علّامة العراق السيّد محمود شكري الآلوسي ، من الموصل وبيروت وجبل الكرمل وروما ، فضمنها مطالب طريفة عن الرجال والحياة وخزائن الكتب ونوادر المخطوطات ، وهي مطالب يلذ استمراضها ويُمتع ، ويصيب فيها الباحث المستقصي ملامح جميلة من منازع الرجلين فى حياتهما العقلية وحرصهما على العلم ومساعيهما في بعث الكنوز الدفينة من تراث العرب الفكري فى خزائن الكتب فى الشرق والغرب

وكان الكرملي ـ كما هو شائع معروف ـ من تلاميذ الإمام الألوسي أكبر علمه وأجلّ مواهبه ومزاياه وشعر بحاجته الشديدة الى توجيهه ، فتقرب اليه ، وأخذ عنه بالمثافنة حيناً وبالمراسلة حيناً آخر ، ولم يتخلّ عن الاستفادة منه حتى فى أزمان علوّ سنه وذيوع شهرته فى

الناس وقد رأيته فى أخريات أيام الألوسي ـ وأنا أتلقى عنه ـ كثير السؤال منه فى كل ما يعنّ له من شؤون العلم والمعرفة ، ولا سيما التأريخ واللغة والنحو ، فطالما كان يكتب اليه مستفهماً منه ومستعيناً به على كشف الغوامض وتوضيح المبهمات ، فيجيبه بما يشفي العلة ويطفىء الغلة ناقداً ومعللاً وموجهاً . وكان الإمام يملي علينا فى الغالب أجوبته التي تزخر ببدائع الفوائد وروائع التحقيقات وَحْيَ الساعة ، ولا يَدَعُ رسوله اليه يرجع حتى يحمّله جوابه ، وربما أرجأه الى يوم آخر اذا اعترضه ما يوجب الاستئناس بالنصوص وقد ننشر فى مؤتنف الأيام طرفاً من هذه الأجوبة الجليلة

وأنت واجد فى هذه الرسائل الخمس ، وقد وقعت الينا بخط الكرملي ، صورةً من إكباره لأستاذه ، واجلاله لقدره ، واعترافه بفضله الدائم عليه ، ودالّته عليه أيضاً فى سؤال مثله حتى عن أمن السبل وأي الطريقين يسلك اذا أراد السلامة : البحر أم البرّ ؟

وأرجو من القارىء الكريم ، إذ يقرؤها فيلاحظ عليها هذا التجوز الشديد فى اللغة ، والضعف فى صياغة الجمل ، والركة التي تدني كتابته من العامية أحياناً ، ألّا يَهِيمَهُ على ذلك ، وألا يدهش أن يرى هذا اللغوي الذي لم يسلم المتقدمون والمعاصرون من تجريحاته ينحدر الى ما انحدر اليه ويكاتب إماماً جليلاً كالألوسي بمثل هذه الألفاظ والتعابير :

(« ها إني اليوم » و « ملاقاتي مع فلان » و « الأسياد » و « ما وقع بيدي رسالة من بغداد الا وفاحت من مطاويها رائحة عطرت » و « أما من جهة عودتي » و « تحسنت صحته بالكلية » و « يا ليت كانت مطوّلة » و « عند جوابكم على هذه الرقعة » و « تواجهت مع فلان » و « قد جاءني الى محلي » و « الموفق الى كل خير » و « فى أيام انفلاق جبين الدستور » و « ما كان يكاد يجلس » و « منتزهات المدينة » و « ودفعوا عنه النول » و « أرجوكم أن تهدوا تحياتي » و « أبنيتها الفخيمة » و « ولا سيما لأن الأمن » و « نتذاكر بهذا الخصوص » و « أشكر فضلكم عما أفدتموني » و « إن شاء الله يقطع بالمرة ») الى آخر ما تراه من هذا الغلط والتجوّز فى رسائله الآتية

فذلك طور من أطوار ثقافته اللغوية لم يبق مقيما عليه ، ولا كان من الطبيعي أن يقيم عليه

وتلتصق به عيوبه ، فقد رأيناه فى آثاره من بعدُ يعلو على هذا المستوى ، ثم يتدرج فيصبح ناقداً لأمثال هذه الألفاظ والتعابير ، يصيبها فى نتاج الكتّاب فيقيم عليهم النكير ويشتد عليهم فى حملاته ، وكأنه فى حقيقة الأمر ينقد نفسه ، لأن كتاباته القديمة كانت تفيض من مثل ذلك ، كما رأيت من الأمثلة التي نقلناها من هذه الرسائل غيرَ مستقصين

وقد حرصنا فى إثباتها أن نحافظ على رسم إملائها ونقطها ونقشها وحركاتها ، فأوردناها كما خرجت من سن قلمه ، لأنّ أمانة العلم والتأريخ توجب الرواية الصادقة والمطابقة التامّة في النقل . ونحن فى نشرها وفى إثباتها على هذا النحو الدقيق إنما قصدنا خدمة التأريخ وحده ، وراعينا ما تستلزمه الأمانة من النقل المطابق ، ليكون المؤرخ على بيّنة من أمره فيما يسترشد به ويعتمد عليه من الوثائق ، ولن يدع التأريخ مراجعه العلمية فى تحقيقاته الى هذه التقاريظ الفضفاضة التي أولع بها الضعفاء من أهل عصرنا عصبيةً وأستكثاراً

الرسائل

الرسالة الاولى

Delegation Apostolique
de la
Mesopotamie

الموصل في ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٤

الى حضرة سيدي الامام الاوحد محمود شكري افندي الالوسي

اطال اللّه حياتهُ ومتعنا برؤياهُ

شطّ المزار * والقلوب لم تنأ عن مجاورة الجار * لانها تجهل المسافة * والتمييز بين الكرخ والرصافة * ولذا سيدي فانني لا ازال اتذكركم في الحلّ والترحال * في الحال والاستقبال * اتمثل شخصكم السامي فاناجيه واتخيل فناءكم الفسيح فأسرح طائر البصر في نواحيه ولا تظنوا ان انقطاع رسائلي عنكم دليل تصرم حبال المودة بيني وبينكم فان الايام قضت

بهذا الفراق وعن قريب تكون ساعة التلاق ها اني اليوم راحل عن الموصل الحدبآء الى حلب الشهبآء ثم الى بيروت وغيرها من الانحاء ولا جرم ان ملاقاتي مع صاحب المشرق (١) يدفعني الى ان اخصّهُ (٢) بسلام من جانب سيدي الامام ذي الوجه المنير المشرق هذا وكل املي ان يعذرني صاحب المقام عن خطّ هذهِ الاسطر السقام لخلوي من قلم عربي يفي بالمرام والسلام مسك الختام

الفقير
البادري (٣) انستاس ماري
الكرملي
غم (٤)

الرسالة الثانية

IHS
Universite st. Joseph.
—.o.—

بيروت في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

الى شيخ الائمة وقائد الامة بالفكر الصائب والعقل الثاقب
سيدي صاحب الفضيلة والمناقب محمود شكري افندي الآلوسي
أفرغ الله عليهِ شآبيب كرمهِ من علوّ عرشهِ القدسيّ (١)

ما وقع بيدي رسالة من بغداد سيدة البلاد الا وفاحت من مطاويها رائحة عطّرت ما لمسـها من الاياد فعلمت ان من طيّها الوكة قادمة من فخر الاسياد فما خاب املي وما كذبني ظنّي في ما عنّ لي

اما من جهة عودتي فلا تكون قبل خمسة أشهر لان الرئيس الاكبر الذي بيده زمام الامر والنهي قلّدني قضآء مهمّةٍ تأريخية تتعلق عنشإ طريقتنا في سابق العهد فلبّيت امرهُ وهاءنذا قد شرعتُ بها منذ نيفٍ وشهرٍ

ولسوء الطالع ما بلغني تلك الرسالة المعطرة بعطر الكمال الاّ بعد خروجي من دار السعادة

ولذا جاءتني الى بيروت متأخرة . ومع ذلك فان العمّ [٢] الذي رايته في مجلس المعارف لم يدخر [٣] وسيلةً الاّ وسهَّل لي الدخول في مكتبة كوپرلي أما في سائِر المكاتب فلم استطع الدخول فيها لان الايام كانت ايام رمضان والجوامع والمكاتب كلها مغلقة وان كانت الجوامع مفتوحة للصلاة فقط ومعَ هذا كلهِ فقد وجدت في الاستانة ما عوّض عن الغربة والابتعاد عن مثل شخصكم الجليل

ان حالة ما سّنيون [٤] قد تحسنت بالكلية وهو الآن ينشيء المقالات في مجلة الإسلام الفرنسوية ويُهيّيء تاليف كتابٍ في موضوع اسلامي وقد زالت منهُ اعراض الامراض والجميع منه راضٍ وحينما أعود الى الوطن افصِّل لكم الاحوال والرِحلة اذ القَلَم لا يفي بوصف ما بنا قد أَلَمَّ من المشقة والالم

ان التفاصيل التي اوردتموها لي بخصوص إِعلان الدُستور أفادتني ويا ليت كانت مطوّلة لاقف على بعض الحقائق فقد شاع في الاستانة ان بعض رعاع المسلمين قد ذبحوا نفراً من اليهود وكنتُ احب ان اقف على الحقيقة من لسانكم الناطق بالصدق وان شاء الله تجيبونني عن هذا السوال عند جوابكم على هذه الرقعة المُرَقَّمة

تواجهت في الاستانة مع جميل صدقي الزهاوي وفهمي منشيء الزوراء سابقاً [٥] وفي بيروت تواجهت مع الدكتور نظام الدين بك [٦] وقيل لي ان ابن الشيخلي [٧] جاء الى بيروت ومنها الى الاستانة وقد جاءني الى محلي هنا في بيروت فلم يجدني وكان مستعجلاً فذهب راكباً الباخرة الى دار السعادة

واني لافرغ كل ما في وسعي من البحث عن كتاب الديارات والكنائس ولعلّي أقع عليها والله الموفق الى كل خير — سلامي وتحياتي الودادية الى ابناء العم كل واحدٍ باسمِهِ وحرسكم الله ذخراً وفخراً

كتبه

الاب انستاس ماري

الكرملي

غم

صح من طي هذهِ الرسالة مغلّف مكتوب عليه عنواني حتى لا تتكلفوا وتبعثوا بالرسالة الى الدير في بغداد بل رأساً الى ادارة البريد العثماني بدون زيادة شيء ولكم الفضل والمنة

الرسالة الثالثة

جبل الكرمل في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٠٨

اوجه هذهِ السطور الى من هو بين العلماَء بمنزلة بدر البدور ومن يزري عقد معانيهِ بمحاسن ربات الخدور سيدي واستاذي محمود شكري افندي الآلوسي متّعنا الله بالاغتراف من بحر علمِه القاموسيّ

جاءَت سطوركم تتهادى ولا كالغادة العذرآء فما حلّت غرفتي الاّ وفاح منها عبير الفضل والانس فتضوعت منها الارجآء كيف لا يكون الامر كذلك وقد جآءت من ذاك الرجل الذي شهد بسعة معارفِه ومداركهِ اهل الشرق والغرب طراً فالشكر لك سيدي كل الشكر على ما تقلدني من عوارف معارفك وهي لي أحسن سلوة في الغربة فالامل انك تعودني مكارم تلك الأخلاق الرضية حتى العود الى الوطن والرجوع الى الاقتباس من ذلك الجناب الاكرم

ان شرح الواقعة التي حدثت في أيام انفلاق جبين الدستور افادتني كل الافادة ولهذا فإِني أُكرّر عبارة شكري وثنائي لصاحب المقام السامي

كنتُ اود ان اكون حاضراً عند بيع كُتُب عبيد الله [١] لكن وا اسفاه تجري الرياح بما لا تشتهي السُفُن

اما كتاب « الاكليل » للهمداني فهو كما قلت سيدي من اجلّ ما وُضع بين كُتُب التاريخ والمعروف منه الجزء الثامن وقد طبعهُ الالمانيون طبعاً على الحجر ومنهُ عدة نسخ في مكاتب بلاد الافرنج ومنهُ نسخة قديمة في حلب الشهبآء اما سائِر الاجزآء او المجلدات فمفقودة والافرنج يودون الحصول عليها ويشترون بأثمان حسنة وقد فتشت عنها بقدر ما في طاقتي فلم اظفر الى الآن الا بما ظفر بهِ حُنَيْن

أما من جهة كتابي نهاية الارب فقد كتبت بهذا البريد نفسهِ الى رئيس ديرنا في بغداد ان يبعث الى حضرتكم البواب ججو ويتسلم الكتاب ويسلمهُ بيدهِ

قد وجدت مخطوطات كثيرة نفيسة في دمشق الشام ومنها قديمة جداً فان شاءَ الله عند

الملاقاة نطلعكم عليها لاني اشتريتها وكلفتني مبلغاً جزيلاً

سلامي الى ابناء الاعمام والى الاحبة جميعاً وابقاكم الله سيدي نوراً للانام وناراً على أعلام الايام والسلام

كتبه
البادري (٢) انستاس ماري
الكرملي
غم

الرسالة الرابعة

بيروت في ١٧ شباط سنة ١٩٠٩

الى من تكتحل الابصار بضياء افكاره وتتعطر الاقطار بفائح اعطاره السيد النسيب والسند الحسيب استاذي العلامة محمود شكري افندي الآلوسي ذي العلم القاموسي حفظه الله

هل من حاجة ان اقول ان ما يأتي من حضرة صاحب المقام الاعلى هو بمنزلة انفس الاعلاق والقنى كيف لا والقلوب شهود عدول على ما بينها من محكم الارتباط في هذا الأمر المحسوس والمعقول وما كدت افض ختم الرسالة الا وانتشر منها نور اوشك ان يكسف نور الغزالة وكيف لا يجري الامر على هذه الصورة وهي ابنة افكار ذلك العلم الفرد وبيده مزبورة اطال الله عمر سيدي وابقاه بين الكل سندي وعضدي

هذا واشكر مولاي على ما اتحفني به من الأخبار وما جاد علي به من بدائع الافكار والآن اطرفه بما يحضرني في هذا النهار

تواجهت هنا مع حضرة السري الامثل عبد الرحمان شيخلي زاده الأفضل وكان مع ابن عمه الأجل وكانت ملاقاتي له للمرة الاولى في المكتبة الاهلية الشهرى ثم جاءني في اليوم الثالث في المدرسة اليسوعية وفيها صاحبنا الاب شيخو صاحب المجلة العلمية فمن بعد ان عقد

معه عُرى الصداقة والاخاء اطلعناهُ على معاهد هؤلاء الرهبان الفضلاء ولا سيما ما عندهم من الكتب العربية من مطبوعة ومخطوطة في جميع المواضيع العقلية والنقلية ثم تذاكرنا بما يرجع الى شخصكم الوقور وعما في الصدور من الاشواق الى مشاهدة نور وجهكم الذي يبعث في النفس اطيب السرور

وقبل ذلك باسبوع كنتُ قد تواجهت مع معروف افندي الرصافي وقد اكرم مثواهُ علماء المسلمين هنا وما كان يكاد يجلس في مجلس الا ويجتمع من حولهِ أناس حلقاً حلقاً وقد قاموا بجميع نفقاتهِ حتى انهُ لم يخرج من كيسه فلساً وكان كل يوم يركب معهُ العلماء العجلات ويسيرون بهِ في منتزهات المدينة ومعاهدها التى ينتابها البيارتة وفي يوم سفرهِ على الباخرة الفرنساوية قاصداً الاستانة شيعهُ جماعة غير يسيرة من الافاضل ودفعوا عنهُ النول وودّعوهُ وداعاً طافحاً وداداً وإرضاء وكان قد ترك عند صاحب مجلة المنتقد ديوان شعرهِ والمجلة تطبع في كل عدد من اعدادها قصيدة من قصائدهِ ثم تطبع الكل طبعة واحدة بعد اتمامها

من جميع الاخبار التي اطرفتموني بها ساءني واحد اعظم المساءة وهو بيع كتب عبيد الله الحيدري في غيابي . فان اسفي عظيم لا يضاهيهِ أسف ويكون كذلك طول حياتي فالذي اطلبهُ من سيادتكم ان أمكن هو لائحة اسماء الكتب التي بيعت فلعلَّ في الاطلاع على أسمائها بعض السلوى

واما عودي الى الوطن العزيز فلا يعلمهُ الّا اللّه ومن نحس الطالع اني كل يوم في موطن ومنزل حتى اصبحتُ خليفة الخضر أو كما قال ابو تمّام :

خليفة الخضر من يربع على وطنٍ	في بلدة فظهور العيس أوْطاني
بالشام قومي وبغداد الهوى وانا	بالرقتين وبالفسطاط اخواني
وما اظن النوى ترضى بما صنعت	حتى تُسافِر بي اقصى خُراسانِ

والآن آتي على ذكر ما وقفتُ عليه من الكُتُب الجديدة : كتاب حماسة البحتري (١) وهو كتاب جليل يطبعهُ اليوم الاب لويس شيخو وقد طبع الآن المستشرقون مجلّداً واحداً من تاريخ بغداد لابن طيفور وهو المجلد الوحيد الذي وُجد الى اليوم وهم ينضون الركاب وراء

البحث عمّا يوجد منه من الاجزآء الباقية والله الموفق الى سبيل كل خير

وقد وجد الداعي ديوان السموءل[١] في دمشق الشام وهو صغير الا انهُ جليل النفع لأنه فيهِ قصائد لم تذكر في سائِر الـكتب المعهودة وفي النية طبعهُ عن قريب ان شاءَ الله تعالى

بعد يومين اركب الباخرة ذاهباً الى القدس الشريف ومن بعد ان اقيم فيهِ زهاء عشرة ايام اشد رحالي الى مصر القاهرة حيث اقيم قراب شهر ولذا ارسلت الى حضرتكم عنوان محلي الى المدينة المذكورة .

سلامي الى صاحب الفضل والكمال عبد اللطيف افندي ثنيان[٢] وان شاءَ الله عند الرجوع نطلع على جريدته الغرآء بحولهِ تعالى وارجوكم ايضاً ان تهدوا تحياتي الى سائر الاصدقآء الموجودين في بيتكم الوقور واطال الله شريف ايامكم

خادمكم
الأب انستاس ماري
الكرملي
غم

الرسالة الخامسة

رومة في ١٦ ايار سنة ١٩٠٩

سيدي الفاضل ونور العلم والعلمآء حفظهُ الله

طرحتني الأيام الى ديار الغربة النائية وها انا الآن في رومة المدينة العظمى التي لا يضاهيها مدينة في العالم بكثرة ابنيها الفخيمة ومعاهدها العلمية والفنية وجنّاتها البديعة ومحاسنها الطبيعية ومصانعها القديمة التي ترتقي الى عهد الرومانيين هذا فضلاً عن مكاتبها المختلفة مما يجعل الاقامة في هذهِ الديار تسلية الانسان ولا سيما لأن الأمن قد ضرب مضاربهُ في كل مدينة من مدن ديار الافرنج

هنا جاءتني رسالتكم الوضاءة واستنشقت منها رائحة الوطن والود والصداقة الصادقة فيا للّه ما أطيب مخاطبة الاخوان ولو عن بعد فانها تنفي الاحزان عن القلوب

اما كتب القاهرة التي عثرتُ عليها فمتنوعة ولما كان تمدادها يطول اشتريب قائمتها وهي في اربعة مجلدات ضخمة وان شاء الله عند الملاقاة نتذاكر بهذا الخصوص ومن جملة ما عثرت عليهِ اجزآء لتاريخ ابن الخطيب وهي الاجزآء التي كان يظن انها فُقِدت وقد طالعتُ في واحدٍ منها فوجدت في آخره ترجمة الحلاّج فاستنسختها لحضرة صديقنا المسيو لوير ماسنيون [1] وهو اليوم في الاستانة وقد كتب الي انهُ يانيني الى هنا بعد يوم او يومين وكان قد كتب الي انه اجتمع بحضرة صاحب الفضل الحاج علي [2]

ان رجوعي الى الوطن في هذا الصيف بعيد والامل انهُ يكون في شهر ايلول ان ابقانا الله من الاحيآء

اشكر فضلكم عما افدعوني عن امر الخضر والابدال وكنتُ قد بعثت الى صاحب المشرق مقالةً بهذا المعنى وقد ادرجها فى العدد الرابع من هذه السنة ولعلكم طالعتموها

كنتُ قد قراتُ في الرقيب [3] ان حضرة صديقنا العزيز كتب يستجلب آلة طبع فهل وصلت ام بعدُ وهل حروفها سقيمة مشوّهة ام حسنة من جنس الحروف الجديدة الموجودة في بيروت ومصر فهذا امر مهم وهل ترى استجلب ايضاً حروفاً افرنجية وغيرها فلا شك ان كثرة المطابع وتحسين امرها ممَّا يجلب الترقي للبلاد التي تنتشر فيها ويبعث فى النفوس حب العلم والتصنيف والكتابة حسن الله الآمال

على ان الافق السياسي لا يزال مكدرا ولا نعلم الى متى هذهِ الحال الا ان الامل حسن الطالع لان الراس الاكبر قد خُلع وان شاء الله يُقْطع بالمرة فتستتب الراحة للجميع

ارجوكم ان تفيدوني عن اخبار أعراب ديار العراق وهل اخذت بالتحسُّن وهل طريق الرجوع الى بغــداد امين اليوم وايها الآمن : طريق البحر ام طريق البرّ ولعلي اعود الى الاستانة لمراجعة بعض الكُتُب ثانية . واذا رايتُ الحاج علي [2] هناك ووجدته يستعد للرجوع الى الوطن في شهر ايلول ارجع معهُ بحولهِ تعالى

ازجوكم ان تهدوا سلامي الى الأحبة طالباً منه تعالى الى ان يحفظكم جميعاً ولا زلتم ملاذ كل لائذ بحماكم

كتبه

الفقير انستاس ماري

الكرملي

تعليقـــات

تعليقات على الرسالة الأولى

(١) هو الأب لويس شيخو اليسوعي ، ولد فى ٥ شباط ١٨٥٩ م في ماردين بالجزيرة ، وتوفي فى بيروت سنة ١٩٢٧ م اشتهر بمجلة « المشرق » ، ومما ألف وجمع ونشر من كتب : ككتاب شعراء النصرانية فى الجاهلية ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام ، والآداب العربية فى القرن التاسع عشر وبعده من تأليفه وأهم ما نشر من كتب المتقدمين تهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وطبقات الأمم لصاعد ، وحماسة البحتري ، وديوان الخنساء ، وديوان أبي العتاهية ، وديوان السموأل ، وتأريخ سعيد بن البطريق ، والآلات المنغمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي وذلك بحذف الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قال العلامة محمد كرد علي : « فلاحظ عليه العارفون من علماء المشرقيات المستعربين ، فاضطر بعدُ الى الرجوع عن هذه الطريقة فى الكتب التي أحياها من أسفار العرب » أنظر مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٧ ص ١٦١ـ١٦٤ ٧ شهر رجب ١٣٧١ هـ ١ نيسان ١٩٥٢ م)

(٢) هكذا ورد بخطه بضم الصاد المشددة

(٣) بالباء الموحدة كما كتبها هنا ، أو بالباء الفارسية كما كتبها فى الرسالة الرابعة

(٤) هكذا ورد هذا اللفظ بخطه فى هذه الرسائل ، ما خلا الرسالة الخامسة ، ولا أدري ما يعني به

تعليقات على الرسالة الثانية

(١) السجعة تتطلب « القدوسي »

(٢) يريد به العالم الفاضل السيد شاكر أفندي بن أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ، وكان يومئذ عضواً في مجلس المعارف الكبير في الأستانة ورجمته في كتابي (أعلام العراق) .

(٣) كذا وردت بالذال المعجمة المشددة

(٤) لويس ماسنيون : هو المستشرق الفرنسي المشهور بمباحثه في التصوف الإسلامي خاصة ولد سنة ١٨٨٣ م بالقرب من باريس ، وتخرج في كلية باريس ، وبدأ منذ سنة ١٩٠١ م يرحل في طلب العلم الى الجزائر وتونس وفاس ومصر ، وانتهى به المطاف في سنة ١٩٠٧ـ١٩٠٨ الى بغداد فتعرف الى عالم العراق السيد محمود شكري الألوسي ، وتلقن منه روح الدين الإسلامي ، واستفاد منه ومن ابن عمه العلامة السيد علي علاء الدين الألوسي فوائد عظيمة ، وكلاهما أفهمه أهمية ملتقى الأدبين الشرقي والغربي كما أعلن ذلك في محاضرة له ألقاها في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٠ م وقد أصيب في بغداد بمرض كاد يقضي عليه ، ثم شفي منه وسافر على أثر ذلك الى بلاده ، والى هذا الاشارة هنا ولا يزال حياً في باريس ، وقد انتخبته المجامع العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد عضواً فيها لثقتها بمعارفه الإسلامية والعربية

(٥) يريد به الأديب الباقعة الألمعي الأستاذ فهمي المدرس ، وكان يومئذ « محرراً » لجريدة « الزوراء » وهي جريدة أصدرها والي بغداد مدحت باشا المشهور بأبي الأحرار ، وكانت تكتب باللغتين العربية والتركية ، وممن تولى الكتابة فيها في بعض عهودها العلامة السيد محمود شكري الألوسي والشاعر عبد الحميد بك الشاوي وكان الأستاذ المدرس بارعاً باللغتين يجيد الكتابة بهما ، وله معرفة جيدة بالفارسية وبالفرنسية وكان مناضلاً سياسياً ، لقي الألاقي في حياته في العهد العثماني والعهود التي وليته وقد تولى تدريس الآداب العربية في استانبول ، وله فيها كتاب ضخم باللغة التركية ، وتولى في العهد الوطني رئاسة الديوان الملكي ، ثم عمادة جامعة آل البيت ، ثم مديرية المعارف العامة ، ثم مديرية دار العلوم الشرعية ، ولم تطل أيامه فيهما كلها وطارت شهرته في الناس بعد سنة ١٩٣١ م بمقالاته السياسية وتوفي بعد حياة حافلة بخدمة الأدب

والعلم والوطنية فى ٢٣ شعبان ١٣٦٣ هـ ـ ١٣ آب ١٩٤٤ م ، ودفن فى مقبرة الشيخ عبد القادر الجيلي

(٦) طبيب تركي مشهور بالحذق فى صناعته ، قدم بغداد منفياً في عهد السلطان عبد الحميد ، وعاش فيها دهراً ثم سافر فى أواخر عمره الى الأستانة فتوفي فيها بعد سنة ١٩٣٠ م على ما أتذكر ، والله أعلم

(٧) هو عبد الرحمان جلبي الشيخلي من آل الشيخلي المعروفين بالوجاهة فى بغداد ، وسيرد ذكره فى الرسالة الرابعة أيضاً

تعليقات على الرسالة الثالثة

(١) هو عبيد الله أفندي الحيدري من أفاضل الأسرة الحيدرية المشهورة ببغداد ، وسيرد ذكره فى الرسالة الرابعة أيضاً وكان يملك كتباً نادرة كما يظهر من عظم مساءة الكاتب من بيعها في غيابه

(٢) كتبها هنا بالباء الفارسية ، وفى الرسالة الأولى بالباء الموحدة

تعليقات على الرسالة الرابعة

(١) أنظر ترجمة شيخو فى التعليقات على الرسالة الأولى

(٢) هو الكاتب الصحافي البحاثة عبد اللطيف جلبي بن اسماعيل جلبي من آل ثنيان المعروفين ببغداد ولد ببغداد فى ١٧ ذي القعدة ١٢٨٣ هـ ٢٢ آذار ١٨٦٧ م وأخذ العلم عن العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي ، واشتغل بالصحافة فأصدر (الرقيب) فى العهد العثماني ، ثم عطلت فهرب الى الهند ومنها أبحر الى الأستانة ، ونفي في الحرب العالمية الأولى الى درسم ثم أعيد الى بغداد وعيّن فى العهد الوطني مديراً للأوقاف ، ثم انتخب نائباً مرتين وتوفي ببغداد يوم الجمعة المصادف ٢٧ أو ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٣٦٣ هـ ـ ٢١ نيسان ١٩٤٤ م وكان مولعاً بالبحث والجمع والتنسيق ، ومن آثاره تنسيقه وتبويبه لكتاب (قاموس العوام فى دار السلام) تأليف السيد محمد سعيد مصطفى الخليل ، وله عليه اضافات ، وكتاب أمثال العوام فى

دارالسلام « يعني مدينة السلام » ، والحكايات البغدادية ، وفهرست وفيات الأعيان ، وفهرست الأغاني ، وفهرست تأريخ ابن الأثير ، وفهرست حياة الحيوان للدميري ، وفهرست رسالة الغفران للمعري

تعليقات على الرسالة الخامسة

(١) أنظر التعليقات على الرسالة الأولى

(٢) هو العلامة الجليل الأديب الشاعر الرقيق السيد علي علاء الدين بن السيد نعمان خيرالدين بن أبي الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي وترجمته في كتابي (أعلام العراق)

(٣) راجع ترجمة عبد اللطيف ثنيان في التعليقات على الرسالة الرابعة

محمد بهجة الأثري

الأدب العراقي في العصر المغولي

« بحث أولي مختصر[1] »

للأدب العراقي العربي في عصوره كلها خصائص باهرة وسمة ظاهرة عرفها الآدباء منذ الأزمان الخالية واعترفت بها الأذواق الأدبية منذ ميزت بين فنون الآداب العربية وضروب المشاعر المحبّرة والمأثورة فاستلذتها أيّما استلذاذ والسبب في ذلك أن الأدب بمعناه العام ، على اختلاف أنواعه وتباين ألوانه وتفاوت فنونه إنما هو نتائج الألباب وثمارُ النفوس معاً أي نتاج العقل والعاطفة معاً ومن ثمّ كان كثمر الشجر وأجناسِه المتنوعة ، وكألوان الزهر بآراجه المتضوعة ، يَطيبُ بطيبِ الأرومة ويَعبقُ شذاه بعَذاوة الجُرثومة

وإنما تهيأت للأدب العراقي العربي تلكم الخصائص بما رُزق العراقيون من الذكاء والزكاء والرقّة والحلاوة والوراثةِ الأدبية النبيلة ، فزكا أدبهم وتَفَنّن وطبع على الجودة والنبالة ، فأصبحتا من سجاياهُ ومزاياه ، وغبرَ على هذه الصفة طَوال العصور الاسلامية خلا فترات شذ فيها عن سبيله لما اعترَضهُ من غير الدهر ، إلا أنّ ذلكم الشذوذ كان عارضاً من العوارض فالخصائص الأدبية العراقية بقيت على جوهرها وأقامت على حقائقها كما تبقى الكواكب وراءَ السحاب في الليلة الحالكة

إني لم أقل هذه المقالةَ تعصُّباً للعراقيين ولا افتياتاً على الأذواق الأدبية ولا مجازفة في الحكم وإنما قلتها بعد أن توفرت الشهادات وتوافَرت لكرامة الأدب العراقي العربي واستفاضت على الألسنة وفشت في الكتب وتنوقلت وأثرت ولذكرها موضعٌ آخر أشبعها فيه تبياناً واستشهاداً إلا أني لا أودّ أن أجوز التنويه بها دون ذكر أبيات لأبي القاسم عبد الواحد بن محمد المطرز الشاعر البغدادي من أهل القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة قال :

---

(١) لنا كتاب مفصل في هذا الموضوع لايزال خطياً

عسى طيفُ الملمة بالنعيم يلمُّ بنا على العَهْد القديم

لعلَّ خيالَ ذاتِ الخال يسري فينقَع غُلَّةَ النضو السقيم

أرقتُ له أماطِلُ فيه همّاً يلازمني ملازمةَ الغريم

وكيفَ ينامُ عشق تَغْلَبيّ تؤرِّقهُ ظباءُ بني تميم ؟

قال الباخرزي الخراساني فى هذه الأبيات « هذا لعمري هو الشعر الذي ورد دجلة فارتوى زلالها ورُوّح بشمالها فرفل فى سربالها واستفاد الصحة من اعتلالها »[1] ولا شك فى أنّ أثر الصنعة الشعرية ظاهر على الأبيات ولكنّ الصنعة الأدبية إذا بلغت الذروة أشبهت الأدب المطبوع لأنّ الغرام بالفنّ يستمد من الملكة والطبع معاً ، وقد ثبت أنّ صدق الشعور وحده لا يكفي فى دعوى روعة الأدب ، كما ثبت فى الفنون على اختلافها أنّ التقليد فيها يبلغ أحياناً مرتبة المقلّد فلا يمكن التمييز بينهما إلا بشيء غير فني ، واننا لنجد كثيراً من الرثاء المأجور والرثاء المقترح والغزل المتكلّف يفوق الصادق منهما وحسبُكم شاهداً على ذلك غزل كمال الدين ابن النبيه فى قصيدتيه « أماناً أيها القمر المطل » و « أفديه إنْ حفظ الهوى أوضيعا » ورثاؤه الملك المعظم أبي الحسن علي بن الخليفة الناصر لدين الله بأبياته التي يقول فيها :

والموتُ نَقّادٌ على كفّه جَواهر يختار منها الجيادْ

أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القنا ودُسْتَ أعناقَ السيوف الحداد

كيف تخرَّمت علياً وما أنجدَهُ كلُّ طويلِ النجادْ ؟

تجلَ أميرَ المؤمنينَ الذي من خوفِهِ يُرعَدُ قلبُ الجمادْ

نازلةٌ حلّتْ فمن أجلها سَنَّ بنو العباس لُبْس السّوادْ

والأدب العراقي فى العصر المغولي وثيق الصلة بالأدب العراقي فى العصر العباسي الأخير بحكم الزمان والذاتية ، تصلُ بينهما بُرهة خضرمة وهي الفَتْرة التي فصلت بين العصرين وفيها درجتْ طبقةُ الأدباء الذين نشؤوا في أواخر الدولة العباسية وأدركوا الدولة الايلخانية التترية المغولية ، وفيها أيضاً نشأت الطبقة الأولى للأدباء الجدد العاقبين لهم فخضرمو الدولتين

(١) دمية القصر « ص ٧٩ ــ ٨٠ »

العباسية والايلخانية من الشعراء مثلاً هم في عداد أدباء العصر العباسي ، لأن نشأتهم كانت فيه وصبغهم كانت منه وما طرأ عليهم من المؤثرات لا ينفي عنهم أن يكونوا تلامذته على التعيين وخريجيه على التحقيق والتمييز

وكانت للشعراء دولة في الدولة العباسية على عهدها الأخير فقد كان الخليفة الناصر لدين الله أحدث لهم ديواناً هو « ديوان شعراء الخلافة » أو « ديوان شعراء الديوان » وجعل لهم مقدماً يقوم مقام ملك الشعراء أو أميرهم كما يسميه المصريون ، وأجرى عليهم جرايات معلومة وكان عليهم فى مقابل ذلك أن ينظموا القصائد فى مواسم الدولة وأزمان التهاني وأيام المآتم فكانوا تجار أدب يبيعون أفراحاً وأحزاناً منظومة ولكنهم فى أثناء ذلك يتجاودون ويتماتنون ويتبارون ويتغايرون فيسمُون بالشعر ويجوّدون صناعته ما استطاعوا التجويد ولم تكن الدولة تشجعُ على الأدب المنظوم بأكثر من هذا اذ لم يكن فى استطاعها أن تفعل أكثر من هذا الاحسان ولا أن تولّد الشعور فى النفوس لمصلحها ، فهذا الأدب ، وان كان مأجوراً ، يمثل صوراً جميلة فى البراعة فى فنون النظم ويحفز القرائح الى اللّهج بالشعر والافتنان فيه ومن هذا الشعر الذي وصفتُ اكثر ديوان سبط ابن التعاويذي الذي هو روضة غنّاء من رياض الشعر العراقي بلغ فيه الفن الشعري الصناعيّ غايته القصوى

ولما سقطت الدولة العباسية أصبح العراق صُقعاً من أصقاع الدولة الايلخانية الشاسعة الأطراف الواسعة الأقطار ، وقسم أقساماً تصرّفية أي إدارية ، ونُصب فى كل منها ملك فكثر الملوك بالعراق وأصبح العامل الكبير فى هذه الدولة ينعت بالملك وحاولت الدولة الايلخانية فصل العراق عن الأقطار العربية الأخرى الخارجة عن حكمها ولا سيما الشام ومصر محاولة شديدة ولقد حكمت بالقتل على جماعة اتهموا بالمنابأة السياسية

والدولة الايلخانية دولة حربية جافية بداوّية ولا صلة للغتها بالعربية ولم تكن بِدَاوتها كبداوة الأعراب : تعتمد على المقامات الحسان فى البيان ، وتستحب الفصاحة والبلاغة ، وتعُدّ الشعر من مظان ثقافتها الأدبية والعقلية معاً ، وكنوز فخرها المعنوية ، وانما كانت ثقافتها فى الثاقفة

واستعمال السلاح ، وعلمها سياسياً حربياً ، ولم يكن ينفق عندها إلا علم التصرف أي الادارة، القائم على السياسة وضبط الأمور المالية من جباية واستيفاء وتثمير واستثمار وتمير واستعمار ومعرفة اللغات كالمغولية والخطائية والفارسية أما الطب وعلم النجوم لاختيار الاوقات فلم تكن عنايتها بهما أكثر من عناية الدولة العباسية بهما [1]

وقد أسلم من قاآنيها أي سلاطينها أحمد تكدار بن هولاكو ومحمود غازان بن أرغون ومن بعده فكان اسلامهم تأييداً للاسلام والعلوم الدينية ورغبياً فى طلبها الا انهم لم يعلموا اللغة العربية ولذلك لم يكن مأمولاً من ملوك هذه الدولة الكبار أعني القاآنين ولا من أمرائهم أن يرعوا اللغة العربية فضلاً عن آدابها رعاية خاصة كما كان الخلفاء يفعلون وانما كانوا يروبها لغة الدين حسب ، على ان العربية كانت طوال عهد الدولة المذكورة لغة الدراسة والتأليف والحديث والخطابة وفروع الأدب الأخرى وخصوصاً الشعر ، وكانت أيضاً لغة الادارة داخل العراق . وانضمت الى ذلك عوامل أخرى ، أنا ذاكرها ، ورعت مؤرخ الأدب الحصيف عن أن يسمي هذا العصر الأدبي بالعصر المظلم لأن تبدل الدولة والتباين بين اللغتين العربية والمغولية لم يستطيعا وقف التيار الأدبي العربي ولا اخماد القرائح حتى يقال : إن الأدب انتقل من نور الى ظلام والسياسة اذا استطاعت وقف الأدب المأجور ، بالاعراض عنه والتهاون بأصحابه ، فانها لا تستطيع وقف الأدب الموتور ولا اسكات الأدب الثائر ولا رد نفثات الصدور

فالأدب العراقي العربي استمر فى هـــذا العصر متماسكاً متثاقلاً وأما الضعف الذي أصابه فلم يكن ممكناً التفادي منه لما ذكرنا من أنّ الدولة العباسية نفسها كانت تأخذ بضبعه ولأن الاستعراض أي القتل العام اجتاح الأدباء كما اجتاح غيرهم من الناس فقَتّلوا قِلّةً ظاهرةً وسنوضح ذلك فى موضع آخر ، على أننا لا ننكر ان ذلك الضعف اشتد بمرور الايام حتى بان سوء أثره فى المظاهر الأدبية دون الجواهر . ونود أن نذكر أكثر العوامل التي استدامت حركة الأدب العراقي العربي وهي سبعة ثم نتبعها خصائص هذا الأدب فى هـذا العصر

(١) راجع التاريخ الفخري فلمؤلفه نبذة حسنة في هذا الأمر « ص ١٢ــ١٣ »

١ ـ فالعامل الأول هو أنَّ أكثر رجال التصرف فى العصر المغولي أي أكثر العمال كانوا من العراقيين الذين خدموا الدولة العباسية ومن أبنائهم ومن غيرهم من أهل العراق أيضاً وكان ميلهم الى الأدب العربي طبيعياً ونتيجة لطبيعة أذواقهم ، وكان جماعة منهم يتماطون الأدب ويقرضون الشعر كفخر الدين مظفر بن الطراح وقد قتل سنة ٦٩٤ هـ ومن شعره ما قاله وهو مسجون بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام :

القـــولُ فيما مضى من عمرنـا هدرُ ... فدعـــهُ واصبرْ لمـا يأتي به القدرْ
واســـتشعر الصبرَ انْ نابتك نائبةٌ ... فالصـــبرُ أجملُ ما حُـلِّيْ به البشرْ
ولا تَرُعـكَ من الأيام منقصَـــةٌ ... فشيمـةُ الدهرِ فى أبنـــائهِ الغِيَرُ
وانْ أُرَ الآن بعد النُّـطق ذا حَصَـرٍ ... فسوفَ يذهبُ عني الـعِيّ والحصرُ
وانْ تُـصبني سِـهامُ الخطبِ نافذةً ... فلم تَزَلْ أســـهمُ الأيّام تعتذرُ
وكلُّ حادثةٍ فى الدهرِ هَيِّنـةٌ ... إذا غدا ســـالمًا فى طـيها العُمرُ
قل للعُناةِ من الغاباتِ وَيحكم ... طيبُوا فقـد فُقِـدَ الرئبـالةُ الذمرُ
وقلْ لبيضِ السيُوف المرهَفاتِ لدى الـ ... أغمـاد قري فقد أودى به القدرُ
مضى المظفرُ ليثُ الغاب عن كثب ... فليهن أعـداءه من بَعْده الظفر (١)

ثم ان الولاة الفرس الذين حكموا فى العراق على عهد هذه الدولة كانوا تثقفوا بالثقافة العربية الاسلامية باللغتين العربية والفارسية زيادة على ثقافتهم الفارسية في الأدب خاصة واعتاد كتابهم على مذهب قدمائهم ، ترصيع رسائلهم بجوامع الكلم العربية ورأوا أكثر شعرائهم يفضلون النظم بالعربية على النظم بالفارسية فكتاب التاريخ الفارسي المسمى بجهان كشا أي فاتح العالم (وهو تأريخ جنكيز خان تأليف الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني والي العراق بعد فتح المغول وقد ولي العراق اكثر من عشرين سنة) مُرصَّعُ بكثير من الأبيات العربيـة الرائقة وشعر اليتيمة للثعالبي وغيرها ولعلاء الدين نفسه شعر بالعربية وان كان مشكوكاً فيه فمن ذلك بيتان يتغزلُ بهما

(١) الكتاب الذي وسمناه بالحوادث الجامعة « ص ٤٨٥ ـ ٦ »
(٢) الكتاب الذي وسمناه بالحوادث الجامعة « ص ٤٨٥ ـ ٦ »

بجارية مغولية كانت تسكن بالطيب شرقي العمارة الحالية اختارها الصفدي لـكتابه الأدبي الحافل « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » وهما :

أبادية الأعراب عني فانـني بحاضرة الأتراك نيطت علائقي

وأهلك يا نجلا العـيون فانني فتنت بهذا الناظر المتضايق (١)

وفي تاريخ وصاف الحضرة الفارسي مجموعة شعرية من أنفس أشعار العرب استشهد بها مؤلفه فى مواضع كثيرة والقاضي نظام الدين الاصفهانى من فحول شعراء الفرس وقـد عاصر الدولتين العباسية والايلخانيـة استمر على النظم بالعربية بعد سقوط الدولة العباسية وديوان شـعره الذي وسمه بديوان المنشآت ناطق بذلك ولا يزال هذا الديوان فى عداد الـكتب العربية الخطية ولعـل عروبة لغته منعت القوم من نشره

٢ — والعامل الثاني من عوامل استدامة الحركة الأدبية في العصر المغولي بالعراق الوقوف وتسمى اليـوم الأوقاف فانّ وقوف المسلمين على المساجد والمعاهد الدينيـة والمدارس والربط أي الخانقاهات والتـكيات ، وعلى الزوايا ودور القرآن الـكريم بقيت على حالها وعلى شروط واقفيها واستمرت الموقوفات الدينية على طرائقها ، في حماية علوم الدين والفنون اللسانية ورعاية الفقهاء والمدرسين والمتصوفة والأدباء ، ومن هؤلاء (أعني الأدباء) من كانوا يقيمون فى المدارس والمساجد ويعلّمون الأدب والشعر فيهـا ، وقد زاد فى هذا العصر عـدد المدارس ودور القرآن العزيز والربط والزوايا فضلاً عن المساجد الا أن الجديدة لم تكن فخمة كالتي بنيت فى عصور الدولة العباسية الا المدرسة الغازانية والمدرسة المرجانية

ويعود الفضل فى حفظ الوقوف على مستحقيها وصرفها الى وجوهها إلى الشيخ نصير الدين الطوسي الحـكيم المشهور ولأبنائه أصيل الدين الحسن وفخر الدين أحمد وصدر الدين علي ولكن الأبنـاء لم يبلغوا نزاهـة والدهم على ما قال بعض المؤرخين (٢) ، على أن مؤرخي العراق أحسنوا الثناء عليهم وقد حاول جماعة من ظلمة الولاة أن يقتطعوا من الوقوف حصة للدولة سماها واضعها منهم « الحصة الديوانية » فساءت حال المدارس والمدرسين وغيرهم ، وهاج طلاب المدرسـة

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم

(٢) راجع فوات الوفيات « ج ٢ ص ١٤٦ »

المستنصرية وماجوا وضربوا مدير أمور الأوقاف فلما وليها فخر الدين أحمد بن نصير الدين الطوسيّ سنة « ٦٨٣ » حذفت الحصة الديوانية [١] ، فانفرجت الأزمة وزالت الشدة عن الذين ذكرناهم وزال الخطر عن الأدب والثقافة

٣ — والعامل الثالث ، ويكاد يكون عاماً فى كل شعب عربي ، الذوق الشعبي وهو الذي تعاقبت الدهور على تربيته وتهذيبه وأحكم القرآن الكريم واللغة العربية أصلَهُ وتضافرت طرائق التأديب والتدريس والتعليم والتثقيف على تنميته ، ولذلك لم يكن ميسوراً تحوُّل الذوق عما نشأ عليه الا بعد زمان طويل جداً ، ولقوة هذا الذوق الذي كان حظ الشعر منه أوفر من حظ النثر ، كانت أشعار المناسبات كثيرة التجدد ، فكان الهجاء فى بغداد مثلاً يذهب كلَّ مذهب ويقيم الولاة ويقعدهم ، ولقد أثر فى الأخبار أن الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني القدمَ ذكره رَتَّب فى العراق نائباً عن نفسه فى الحكم اسمه نجم الدين الأصغر فاجتمع ذات يوم جماعة وكان فيهم أديب من أهل الحلة يعرف بابن الدربيّ وجرى بينهم حديث نجم الدين بن الدُرنوش (الذي كان عامياً أمياً فى أيام المعتصم بالله العباسي ، ولغَفْلة ذلك الخليفة وتضييعه الحزم مكّنه من الإستيلاء على أمور الدولة حتى صار الوزير يرجوه ويخشاه) وحديث نجم الدين الأصغر نائب علاء الدين هذا وهما نجمان فقال ابن الدربي الحلي فيهما :

نجمان كلٌ منهما فى بلدةٍ	لا ناصحٌ فيهما ولا مأمونُ
وكلاهما ساس العراقَ فذاك قد	كان الخرابُ به وذا سيكونُ
إن كان تأثيرُ الكواكب هكذا	« هذا جنونٌ والجنونُ فنونُ »

فلما بلغت الأبيات علاء الدين الجويني أرمضته وأمضته فأمر بطلب الجماعة [٢] وجرت من جراء ذلك اعتقالات شنيعة ، ولم يهدأ له بال حتى احتال لتسفيه الهجاء بأن جعل قولهم « الجنون فنون » موضوعاً شعرياً دعا الشعراء الى النظم فيه فأجابوه الى ذلك [٣]

ويدخل فى هذا الباب كثير من الشعر الذي يمنعنا خشيةُ التطويل من ذكره وتقصّيه وإنما

---

(١) الحوادث « ص ٤٤٢ — ٣ » وتلخيص معجم الألقاب « ج ٤ : ص ٢٢٤ » من نسختي الخطية الأولى

(٢) الحوادث « ص ٤٢٣ » (٣) تلخيص مجمع الألقاب « ج ٤ ص ٢٥٩ » ص ٢٧٢

نذكر منه ما قاله زين الدين أبو عبد الله الحسين بن الحسن الموصلي المعروف بابن الدهان فى سرعة موت من يتقلد قضاء الجانب الغربي من بغداد وتحرير ذلك أن القاضي صدر الدين محمد ابن شيخ الاسلام الهروي أعيد سنة « ٦٧٧ » إلى القضاء بذلك الجانب والتدريس بالمدرسة البشيرية هناك فبقي على ذلك شهرين وأصبح ميتاً ، فقال زين الدين بن الدهان :

أظن قاضي القضاة أيده اللـ ـه إلى كُر دَكوهَ ينتسبُ
إذ كل قاضٍ يفضي الى الجانب الغر بيِّ يَقضى وماله سببُ
يا صاحبَ الملكِ يا عطا ملكٍ يا من به المكرماتُ تكتسبُ
ولِّ الاعادي اللئامَ بالجانب الغر بيِّ فصل القضا وقد نكبوا (١)

وقال فخر الدين محمد بن الأشرف العلوي فى هجو عماد الدين عبد الله بن محمد المعروف بابن الخوام الحربوي مدرس المدرسة الغازانية ببغداد وأحد الحكماء من أصحاب الوزير رشيد الدين فضل الله وقد اتهم بالزندقة ولكنه جدّد إسلامه كما يظهر من الهجاء :

يا حزبَ إبليسَ ألا فابشرُوا إن فتى الخوام قد أسلما
وكان فيما قالَ من كفره « أن رشيد الدين ربُّ السما »
وقال لي شيخٌ خبيرٌ به ما أسلم الشيخُ بل استسلما (٢)

٤ — والعامل الرابع هو وجودُ بني الجويني والمقتدين بهم من صاغيهم وأصحابهم وكذلك وجود أسرٍ أخرى كبيت نصير الدين الطوسى الذي نوهنا به فى فصل الوقوف على الأدب ، والذين اشتهروا بحماية الآداب والعلوم والفنون من بني الجويني علاء الدين عطا ملك وأخوه شمس الدين محمد الجويني صاحبُ ديوان الممالك الإيلخانية وابنه شرف الدين هارون بن شمس الدين ، قال العلامة شمس الدين الذهبي « كان علاء الدين وأخوه فيهما كرم وسؤدد ولقد بالغ بعض الناس وقال : عمّر صاحب الديوان علاء الدين بغداد حتى كانت أجود من أيام الخليفة ووجد أهل بغداد به راحة ، وكان الرجل الفاضل اذا صنف كتاباً ونسبه إليهما تكونُ جائزته ألف دينار ، وقد صنف شمس الدين مَعدّ بن الصّيقل الجزري خمسين مقامة وقدّمها اليه فأعطى

(١) الحوادث ص ٤٠٦ . (٢) الدار الكامنة « ج ٢ ص ٢٩٥ » .

ألف دينار [١] »

والمقامات التي أشار اليها الذهبي هي المقامات الزينية منها نسخة مخزونة في إحدى خزائن الكتب بسوهاج من الديار المصرية وقد صورها الادارة الثقافية بالجامعة العربية وحفظتها مع مخطوطاتها ومنها نسخة ناقصة[٢] في مكتبة مديرية الآثار وكانت وفاة مؤلفها سنة « ٧٠١ » وكان تأليفها في العراق وقرئت على مؤلفها برواق المدرسة المستنصرية وتمت قراءتها يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وستمائة بحضر جمع غزير من الأدباء والمستأدبين منهم الأديب الفقيدعي عمادالدين أبو العباس محمد بن علي بن جعفرالباتني وقد توفي سنة «٧٢٠» وله قصيدة يمدح بها مؤلفها منها :

أمولايَ شمس الدين يا عاليَ النَّجْرِ	ويا مَنْ عَلا قدراً على هامة النسر
لقد طُلت أهلَ العصرِ طُراً بما حوَت	مقاماتُك الفصحى من النَّظم والنثر
فلو كان يغني الأرضَ علمٌ عن الحيا	لما افتقرتْ أرض الى وابل القطر [٣]

ولا نود أن نفيض في ذكر من سمع هذه المقامات إلا أننا نذكر من نقلها الى مصر بالسماع وهو الأديب نجم الدين عبد العزيز بن عبد القادر البغدادي المتوفى بالقاهرة سنة « ٧٤٨ » [٤] وقد ذكرها صفي الدين الحلي فانه يقول في باب حل المنظوم من ديوانه ما هذا نصُّهُ « مما اقترحه عليَّ الشيخُ فلان حين وقف على بعض مقامات [٥] أنشأتُها كالتوأمية المسطورة رسالتها أمام هذه السطور فقال أيدّه الله : إنَّ من أصنع ما أنشأه الشيخ شمس الدين معدّ بن نصر الله الجزريّ في مقاماته الزينية حلَّ المنظوم الذي في المقامة الثانية وهو أنه عمد الى ثمانية أبيات من الحماسة فجمع حروفها وبسطها رسالة ثم أعادها وجمع أبياتاً على الوزن والرويّ من غير زيادة حرف

(١) تاريخ الإسلام ، نسخة المتحفة البريطانية ذات الرقم ١٥٤٠ في الورقة ٦ ومنه أو من الوافي بالوفيات للصفدي نقل مؤلف فوات الوفيات « ج ٢ ص ٣٧ »

(٢) الفهرست التمهيدي للادارة الثقافية ص ٢٩٦ وكشف الظنون « المقامات الزينية »

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص١٢٣ »

(٤) الدرر الكامنة « ج ٢ ص ٢٩٤ » وتلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ١٠٦ »

(٥) الصواب حذف « بعض » لأنها لا تضاف الى جمع منكر عند الفصحاء .

ولا نقصان حرف [1] فهذه اشارة الى انموذج صناعي لفظي من مقامات ابن الصيقل الجزري ، وهذه هي الصبغة الغالبة عليها فهي من الأدب ذي الصناعة اللفظية

وألّف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني شرحاً لنهج البلاغة وسماه « مصباح السالكين لنهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين » وذلك لإقرائه أبا منصور محمد بن مظفر الدين علي بن علاء الدين الجويني وذكر في المقدمة أنه اتصل بخدمة علاء الدين وأن علاء الدين اعترف له بأسفه على أنه لم يدرس نهج البلاغة ونسب مؤدّبه إلى التقصير لاشتغاله - كما يقول المؤرخون - بتاريخ اليميني ومقامات الحريري وسائر منثور كلام العرب ففي كل ذلك جهد وتكلّف وعسر مع خلوه من مطالب أولي الهمم العالية ، والمقاصد السامية واشتماله على الحكايات المضحكة والأخبار الملهية بخلاف نهج البلاغة [2]

وكنا ذكرنا أنَّ علاء الدين كان يقترح على الشعراء مواضيع فى الشعر فكأنه كان يريد أن يحكي دورَ الخلفاء والأمراء فى ذلك ، وقد نظم له أحد الشعراء قصيدة كلّ أسمائها مصغرّة يقول فى أولها « بُريقٌ بالأُجَيْرع فى الفجير » ولم يمكنه نظم بيت واحد فى مديحه لأنَّ شأن المديح التعظيم لا التصغير [3]

وكان إقبال بني الجويني على الأدب العربيّ بالعراق حادياً لأتباعهم وصاغيهم على الاقتداء بهم كما أومأنا اليه وإنْ كانوا من الفرس ، فبنو الجويني انتسبوا الى الفضل بن الربيع ، وكان من اليسير وجدان نسب لمن يودّ الاتصال بالعرب كما هو الحال فى كل زمان ، فقد ذكروا أنَّ عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ملك البصرة فى ذلك العهد انتسب الى مالك الأشتر النخعي وألّف له النسابة الشهير فى تاريخ العراق جمال الدين أبو الفضل أحمد بن المهنا العلويّ الحسينيّ صاحب مشجرات الأنساب وكتاب « وزراء الزوراء » كتاب « المدائح الفريزية فى المنائح العزيزية » ، ولنجم الدين عبد السلام بن الكبوش البصري الشاعر المجيد مدائح كثيرة فيه ولما مات رثاه بقصيدة تعدُّ من خير المراثي العربية فى ذلك العصر ، وهي التى يقول فى أولها :

(٤) ديوان الصفي الحلي « ص ٤٨٤ » (٢) كشف الظنون في « نهج البلاغة »
(٣) ديوان الصفي الحلي « ص ١١٩ » وتاريخ آداب العرب للرافعي « ج ٣ ص ٣٧٣ » .

لم أبكِ حتى بكى لك الكرمُ والسيفُ يوم القِراع والقلمُ
من بعد عبدالعزيز لا وخَدَتْ الى رسُوم المكارم الرُسُمُ
الموقدِ النارَ فى الدجى كرماً بالمندلِ الرطبِ والشتاشِيم[1]

وكان عبد العزيز النيسابوري هذا ، لمجالسة أهل الفضل له وكثرة معاشرتهم إياه يتنبه على معان حسنة ويحل الألغاز المشكلة أسرع منهم ولم يكن له حظ من علم فادعى ذات يوم ببيتين نظمها له عبد السلام بن الكبوش البصري الذي ذكرناه آنفاً ، وأراد مدح علاء الدين الجويني بهما وهما :

عطا مَلكٍ عطاؤكَ مُلكُ مصر وبعض عبيد دولتك العزيزُ
تجازي كلَّ ذي ذَنْبٍ بعفوٍ ومثلُكَ من يجازي أو يجيزُ

فأنشدها بحضرة الصاحب علاء الدين وتم الانتحال وخفي الأمر على الممدوح[2]، فانتحال هذا الملك الصغير للبيتين واستهدافه للفضيحة يدلان على علو قيمة الشعر في برهة الخضرمة بين الدولتين العباسية والايلخانية ، ولقد علم أدباء الأقطار العربية الأخرى بهوى بني الجويني في الادب العربي ، فانتجعوا مرابعهم واسترفدوا منافعهم فنهم فخر الدين أبو نصر أحمد بن أسامة الشاعر الحلبي فانه مدح الصاحب شمس الدين الجويني أخا عز الدين بقصيدة نظمها سنة «٦٦٦» « وكان فخر الدين بن أسامة الحلبي هذا شاعراً فاضلاً يكتب خطاً مليحاً وأول تلك القصيدة هو:

لي فؤادٌ مـــدلّهٌ بهواها وجفونٌ جفَتْ لذيذ كراها

ومنها :

صاحب مارأى عقيلة فضل وثناء تباع إلا شراها[3]

وشاع اسم علاء الدين الجويني شيوعاً عظيماً حتى ركّبوا عليه قسماً من حكايات مائة ليلة وليلة والف ليلة وليلة وذلك فى الجزء الخامس خاصة ونذكر بعد بني الجويني بني نصير الدين الطوسيّ فقد كانوا من حماة الأدب والعلم وأرباب الفضل على الأدباء وذوي الاحسان الى العلماء

(١) الحوادث « ص ٣٧٨ » (٢) الفخري « ص ١٢ »
(٣) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ٢١٨ »

وعنايتهم بالوقف وتوزيعه بين المدارس وفيها العلماء والأدباء من الأمور المشهورة

ومما يذكر في هذا الباب أبيات عفيف الدين أبي محمد ربيع بن محمد الكوفي لما أخرج من دار المدرسة المغيثية الحنفية ببغداد كتب بها الى أصيل الدين الحسن بن نصير الدين الطوسي وهي :

إنا مدحناكَ لا من أجل حاجتنا ... لكن لفضلكَ إن الفضلَ ممدوحُ

وبابُ حاجتنا إن سدهُ قدر ... فعندنا لك باب العز مفتوح

ولي اذا نلتها أو لم أنل أمل ... على فنائك ملقى الرحل مطروح [1]

وفي أصيل الدين هـذا يقول مؤلف « غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار » إن صحت التسمية في مقدمة كتابه هذا « أصيل الحق والدين ، نصير الاسلام والمسلمين ، الذي أنشر ميت الفواضل ونشر طيّ الفضائل ، وأقام مراسيم العلوم في عصر كسدت فيه سوقها ، وأنهض مقعدات المحاسن بعد ما عجزت عن حمل أجسامها سوقها ، وذب عن الأحرار في زمان هم فيه أقل من القليل ، وملأ أيديهم من حبائه بأياد واضحة الغرة والتحجيل ، وحقن من وجوههم ما دونه إراقة دمائهم ، وحرس عليهم وقد شارفوا زوالها بقية ذمائهم » [2]

ومن أخبار رعايتهم للعلم والأدب ما ذكره أحد مؤرخي الحنابلة في ترجمة فخر الدين أحمد ابن نصير الدين الطوسي قال : « ورد بغداد صحبة الأمير أروق في منتصف شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والناس قد قحطوا والأئمة من خبز الوقف وخبزه قد قنطوا فأجراهم على أحسن القواعد وأدرّ أخبازهم ووظائفهم وعوتب على ذلك فلم يُصغ الى مقال وشكرت طريقتهُ وقصده الشعراء فأجزل صلاتهم » [3] وقد ذكرنا قبل هذا أنه حذف حصة الدولة من الوقوف أي الأوقاف ووفرها على مستحقيها

٥ ـ والعامل الخامس هو حرية الأدباء في برهة الخضرمة بين الدولتين في العصر المغولي فان تحرر الملكات المزمومة واطلاق القرائح المقيدة المكمومة كان من البواعث القوية على الكتابة والنظم في أشياء لم تكن الحالة الاجتماعية ولا الحالة الدينية لتسوّغاها من قبل ولا لترخصا فيها ،

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ١١ » (٢) غاية الاختصار « ص ٩ » .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « مج ٤ ص ٢٢٤ »

وفى الحق أن من القرائح والملكات الأدبية ما يموت فى أول نشأته فيكون ضحية للمجتمع لانّ الخوف والحياء أحياناً وحب العافية فى أصحابها أحياناً أخرى يحول دون ظهورها أو ترتّمها عن معالجة أمور هي شديدة التوقان اليها ، ومطبوعة عليها ، ومن الشعراء الذين ظهر أثر الحرية فى شعرهم بعد سقوط الدولة العباسية شمس الدين محمد بن عبيد الله المطلبي الكوفي الشاعر، كان واعظ بغداد فى أيام بني العباس ومن فحول شعرائها وهو شيخ شعراء الخضرمة بين الدولتين فإنه لم يكن يجرؤ أن يقول فى أيام بني العباس ما قاله من التغزل بمملوك الصاحب علاء الدين الجويني ناصر الدين خطلو شاه وبغيره من الغلمان ، قال في خطلو شاه فى أيام شبابه :

آهِ ولا أعذلُ إن قلت آه قد قَتَلتني مقلتا خطلشاه

فعارضاهُ واشرحا قِصّتي لهُ وما قد فعلاَ عارضاه

لم يَفْتَتِنْ من لا رأى حسنَهُ ولا سَبيْ يا قومُ من لا سَباه

خاطرتُ بالروح لذكري له غايةُ ما في الباب « دقوا قفاه »

وناصر الدين خطلغ شاه هذا صار والياً بعد ذلك على العراق وبنى رباطين بالبصرة والمدائن ومدرسة بالمأمن جنوب واسط ثم قتل ودفن برباطه بالمدائن ، فبلغت الأبيات علاء الدين الجويني فكتب اليه « حرمة الشيب والآداب تمنعنا عن غاية ما في الباب وقد رسمنا لمملوك خطلشاه أن يأتي اليك كلّ نهار كرتين [1] » فأخجله بذلك

وكتب شمس الدين الكوفي هذا على يد غلامه الى أحد الأعيان :

إني جعلت رسولي من كلفت به وقد كتبت بما ألقىٰ من الوَصَب

فدع كتابي وسل عني لواحظه « فالسيفُ أصدقُ أنباءاً من الكتب» [2]

وممن تأثر بشعره بهذه الحرية فخر الدين أبو المظفر محمد بن الاشرف على العلوي الحسني قال : وقد دخل تبريز فرأى فيها من رأى :

حل تبريز شادن سلب الروح والبدن

وبساجي لحاظه صد عن مقلتي الوسن

---

(١) فوات الوفيات « ج ٢ ص ٢٩٩ » (٢) الحوادث « ٣٩٠ »

أنا من فَرطِ حُبّـهِ ذو غرامٍ وذو شجن
عجميٌّ إنْ قلتُ « من » همتُ فيه يقول « من[١] »

وقد تقدم ذكر هذا الشريف الشاعر في الكلام على شعر المناسبات فهو صاحب الأبيات الميمية في ابن الخوّام

وفي ديوان صفي الدين الحلي من الصرح بالخلاعة والسفاهة والتصريح بالفسق ما لا يحتاج إلى استشهاد وكان هذا الضربُ من الأدب الغلاميّ الفاجر مع كونه معروفاً منذ أيام أبي نواس ومن لفّ لفه ، وحذا حذوَه ، نادراً في أواخر أيام الدولة العباسية ، فان الخلفاء العباسيين وأرباب دولتهم كانوا ينكرون مثل هذا الأدب أشد الإنكار فلم يكن أكثر الغزل يتعدى الأوصاف الطبيعية لكل جميل ، وما قيل بالتذكير فأكثره أريد به التأنيث ، وللارادة أمارات .

ونظم عامر بن عامر البصري الصوفي الحكيم تائيته في وحدة الوجود وفنون التصوف الأخرى وعدة أبياتها « ٥٠٦ » وجعلها اثني عشر نوراً وقفاها بلمعة من أحواله[٢] ، ولم تكن هذه التائية مما يحتمله عصر بني العباس لما فيها من الأمور المباينة لمذهب الجمهور وعقائده وقد تمَّ نظم هذه القصيدة بسيواس من بلاد الروم أي الاناطول لأن ناظمها هاجر من العراق بعد أن ادعى أحد الرقعاء أنه عيسى بن مريم ـ ع ـ فصدَّقه صاحب التائية هذا ، ولما أخذ وأحرق سنة « ٦٦٩ » رثاه عامر البصري هذا بأبيات ، فلعل ملابسته لتلك الرقاعة كانت السبب في هجرته من العراق ، ولكنه كان عراقياً على كل حال وقضى ثلثي عمره في العراق

وقد أساء جماعة من الأدباء استمتاعهم بالحرية الأدبية ومنهم ابن الخشكري النعماني الشاعر بلغ علاء الدين الجويني عنه أقوال تُنافي الشرع وتعرب عن زندقته كاعتقاده فضل شعره على القرآن الكريم ، وفي سنة « ٦٦٦ » انحدر علاء الدين من بغداد الى واسط فلما بلغ النعمانية حضر عنده ابن الخشكري هذا فأنشده قصيدة يمدحه بها ، وفي أثناء انشاده أذّن المؤذن فانصت له علاء الدين واستنصت ابن الخشكري فقال لعلاء الدين « يا مولانا اسمع شيئاً جديداً وأعرض

(١) تلخيص معجم الألقاب « مجلد ٤ ص ٢٦٥ »
(٢) نشرها المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٩ بعناية الشيخ عبد القادر المغربي

عن شيء له سـنين » فثبت عند علاء الدين ما قيل فيه وتأكدت عنده زندقته فأمر بقتله فقتل[١] والانسان يمكنه أن يكون كما يشاء في الديانة ولكنه لايجوز له البتة أن يطعن في دين غيره بهذا النحو ولا أن يدعو إلى التهاون به والازدراء له

وكان أبوه مزيد الخشكري من فحول شعراء العراق وكان جريئاً على الهجو وحال هذا الخشكري المقتول على الزندقة تذكرنا قول بشار بن برد وقد سمع جارية تغني بشعره فطرب : « هذا والله أحسن من سورة الحشر » [٢]

ومن آثار تلك الحرية الأدبية في التأليف « التاريخ الفخري » وتواريخ ابن الفوطي وكشف الغمة في معرفة الأئمة لبهاء الدين علي بن عيسى الكردي الاربلي ، فلو كان هؤلاء ألفوا كتبهم على عهد الدولة العباسية ما استطاعوا أن يحرروا أقلامهم هذا التحرير ولا أن يعربوا عن مرادهم هذا الاعراب ، ولو لا تلك الحرية أيضاً ما قدر صفي الدين الحلي أن يناقض قصيدة ابن المعتز التي ادعى فيها لجده العباس بن عبدالمطلب -رض- وراثة النبي -عليه السلام- وقال فيها قال يخاطب العلويين :

ونحن ورثنا ثياب النبي … فكم تجذبونَ بأهدابها ؟!
لكم رحمٌ يا بني بنته … ولكن بنو العم أولى بها
قتلنا أميّةَ في دارها … ونحن أحقُّ بأسلابها

فقال صفي الدين يناقضه :

ألا قُل لشر عبيد الآله … وطاغي قريش وكذابها
وباغي العباد وباغي العناد … وهاجي الكرام ومغتابها
أأنت تُفاخر آل النبي … وتجحدها فضل أحسابها
بكُمْ باهلَ المصطفى أم بهم … فردَّ العُداةَ بأوصابها ؟

(١) الحوادث « ص ٣٥٩ » والبداية والنهاية « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس الرقم ١٥١٦ الورقة « ١ » والكتاب مطبوع طبعة رديئة كثيرة التصحيف. وعقد الجمان للعيني « فيها أيضاً الرقم ١٥٤٣ الورقة ١٩٨ »

(٢) الأغاني « ج ٣ ص ٢١١ » من طبعة دار الكتب المصرية

وعندك لا تورثُ الأنبياءُ فكيف حظيتم بأثوابها ؟ (١)

ولم تكن مناقضة صفي الدين علي شيء من الفتوة لأن حريته كانت رعناء سادرة تحب أن تنتقم لنفسها انتقاماً جافياً مع أن قرع الحجة بالحجة أفحم للخصم

٦ — والعامل السادس هو الغناء ، وكان فى عهد المستعصم بالله مزدهراً متوقاً اليه مُقبلاً عليه لاستهتار هذا الخليفة به وولوعه به ، فاطّرد تياره فى الدولة الإيلخانية ونبغ فيه مغنون مَهَرة وموسيقارون فَوَقة وشاع غاية الشيوع ، والظاهر أن المغول استطابوا الغناء والموسيقى العراقيين ، واقتبسوا منهما كما اقتبسوا من غناء الفرس وموسيقاهم ، وكذلك فعل العراقيون بالغناء المغولي ولا تزال آثار الاقتباس واضحة فى المقامات العراقية ، ومن البداهة أن الغناء يعتمد على الشعر فلذلك كان الغناء من أقوى أسباب الرغبة فى النظم والاجادة فيه ، ولقد رأى ابن بطوطة فى هذا العصر بالصين جماعة يغنون بالشعر العربي (٢) ، ثم إن القاآن أبا سعيد بهادر خان آخر ملوك الدولة الايلخانية كان يتغنّى ولكن بالشعر الفارسى لأنه درس الموسيقى على كمال الدين التبريزي مخترع اللحن المعروف بالبيشروف أي البشرف (٣) ، ونشأت فى هذا العصر بالعراق طبقة عالجت الغناء والأدب والموسيقى معاً ومنهم من أضاف إلى هذه الفنون الخط

ونذكر منهم شيخهم وأقدمهم صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي مؤلف رسالة الأدوار في الموسيقى وغيرها من الكتب ، وجمال الدين ياقوتاً المستعصميّ الشاعر الخطاط الموسيقار ذا الخط المنسوب الفائق ، ومؤلف رسالة الحكماء النفيسة والمغني التوثي نسبة الى محلة التوثة بالجانب الغربى من بغداد قرب تربة الشيخ الجنيد الصوفي ، اشهر من غنائه السيكاه :

عليلُ الشوق فيكَ متى يصحُّ وسكران بحبكَ كيف يصحو ؟

وأعجبُ ما يكون له شفاء فؤادٌ من لحاظك فيه جرحُ

وبين القلب والسلوانِ حربٌ وبين الجفن والعبرات صُلح

(١) ديوان الصفي « ص ٢٥–٣ » (٢) رحلة ابن بطوطة « ج ٢ ص ١٦٧ »

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، نسخة باريس « الرقم ٥٨٧٠ الورقة ١٦٧ » .

مزَّحْتُ بحبكم يا صاح جهلاً وكم جلب السّقامَ عليَّ مزّحُ[(١)] ؟

ومهم زين الدين بن الدهّان الموصلي ثم البغدادي الذي ذكرناه في شعر المناسبات . وكان ماهراً في الشعر والموسيقى والأدب عامة ، وله مؤلف في الموسيقى ، وكان شعره سائراً يتغنى به هو وغيره ومهم شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن شهاب الدين عمر البكري السهروردي من ذرية الشيخ الجليل الزاهد سفير الخلافة العباسية عمر البكري السهروردي دفين شرقي بغداد ، بلغ في الموسيقى الغاية القصوى ، وتلقف الناس تآليفه فيها تلقفاً شديداً في الشرق والغرب ، واشهر خطه بالعراق وخراسان وفارس وبلاد الروم ، إلا أن شعره لم يكن بذاك ومهم نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن الجعفري البغدادي من ذرية جعفر بن أبي طالب الطيار ، كان أديباً منشئاً وخطاطاً وموسيقاراً ، وقد عده شمس الدين الذهبي الدمشقي المؤرخ المشهور من شيوخه في المعجم المختص ، وكان بارعاً أيضاً في تشجير الأنساب ، وشجّر في العلوم على اختلاف أنواعها فكان نابغة عصره وكان يكتب الكتب العربية في ديوان الدولة الايلخانية . قال ابن فضل الله العمري في ذكره : لقد كانت تجيء بخطه الكتب المليحة البليغة بالخط المليح والألفاظ الفصيحة السهلة التناول القريبة المأخذ ، على خاطري منها [قوله] في كتاب كبير عن أبي سعيد بهادُرخان الى سلطاننا محمد الناصر في معنى الحاج العراقيّ وأنّ توجههم من العراق الى الحجاز أقرب عليهم من توجههم من الشام الى الحجاز ، قال فيه : « والقلوب بالاحسانِ تملك ، وأقرب الطرق الى الله أولى بأن يسلك »

قال : « وهاتان الكلمتان تقومان في المعنى المقصود مقام كتاب مطول مع خفة موقعها وتمكنها في موضعها ولقد كان يقع في كتبه في هذه النسبة كلُّ حسن »[(٢)]

وقال الصفدي : « اذا رأيت خطه في المهارق ، أنساك سحر الأحداق وزهر الحدائق »[(٣)]

وآخر من نذكر مهم يحيي الغريب الواسطي المعروف بالمشبب[(٤)]

---

(١) مسالك الأبصار « الورقة ١٦٠ » ، وديوان سبط ابن التعاويذي « ص ١٠٢ »
(٢) مسالك الأبصار « الورقة ١٨٥ »
(٣) ذيل تاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة « ٢٦/١٦ » من أصول التاريخ والأدب
(٤) مسالك الأبصار أيضاً .

٧ ـ والعامل السابع هو الحلة ، فهذه المدينة المبـاركة فى الأدب العربيّ التي اشـترك فى تأسيسها بنو أسد وحلفاؤهم من الأكراد المستعربين من قبيلة (جاوان) كانت قد احتضنت العلم والأدب والشعر منذ أسست الى عصرنا هذا ، لم تغيرّها عن ذلك غير الدهر لغلبـة الصبغة العربية عليها وقد نبغ فيها أدباء وشعراء طبقت شهرتهم الآفاق ، منهم راجح الحلي شاعر بني أيوب أيام الحروب الصليبية ، وأشهرهم فى العصر المغولي صفي الدين الحلي ، وصاحبه مهذب الدين محمود بن يحيى الشيباني ، وصفي الدين محمد بن الحسن بن أبي الرضا العلوي ، وعلاء الدين أبو الحسن علي ابن الحسين المعروف بابن الشهفية ، وشمس الدين محفوظ بن وشاح الحلي ، وعماد الدين أبو عبد الله محمـد بن علي الشيباني

وفذلكة القول أن الحلة كانت معقلاً من معاقل الأدب العربى فى أيام المحن ، ومربعاً من مرابعه فى أيام السلم ، وما من شك فى أنّ لسلامتها من سيوف المغول اللاحقة أثراً حسناً فى اتصال سيرتها الأدبية واستمرارها على أحسن أحوالها ، فبغداد كانت قد فقدت عشرات من أدبائها وشعرائها فى الوقعة الهولاكية المشؤومة ، منهم من قتلوا غدراً ، ومنهم من قتلوا صبراً ، منهم : يحيى الصرصريّ الضرير الذي أكثر من مدح رسول الله ـ ص ـ فى شعره حتى عرف بشاعر رسول الله ، وديوان شعره مشهور فى عداد المخطوطات الشعرية العراقية النفيسـة ومنهم موفق الدين عبـد القاهر ابن الفوطي البغدادي الحنبليّ صاحب القصائد الغر في وصف الحالة الاجتماعية والحالة السياسية اللتين صارت اليهما الدولة العباسية قبل سقوطها ، ولقد نعى فى الحقيقة الدولة العباسية ، ونعى نفسه معها بقصيدة طويلة ، منها :

واضيعةَ المُلك والدين الحنيف وما ... تلقـاهُ من حادثات الدهر بغـدادُ
أينَ المنيةُ مني كي تساورَني ؟ ... فللمنيـة إصـدارٌ وإيراد
من قبل واقعة شـنعاء مظلمة ... يَشيبُ من هولِها طِفل وأكباد[1]

هـذه هي العوامل السبعة التي عملت على بقاء الأدب العربىّ العراقيّ فى معظم قوته ، وإن تأثرت مظاهره وتطورت أغراضه

(١) الحوادث «ص٣٢١ـ٢ » ، وتأريخ الخزرجي « الورقة ١٨٩ » .

خصائص الأدب العراقي في العصر المغولي

أشرنا فيما سبق أن قدمناه من هـذا البحث الى أن الأدب العراقي العربي استمر في أول العصر المغولي من حيث القوة متثاقلاً على ضعف ألحقه به فقدانه عنصر العروبة في الدولة الحاكمة وقلة الأدباء الناشئة عن تلف فريق منهم تحت سيوف المغول ، وذكرنا من أحوال مخضرمي الدولتين من الشعراء ما يؤذن بأنهم كانوا قوام ذلك الاطراد في الشعر الجزل أما النثر فقد أصابه ضعف شديد في الجوهر والمظهر ، لأن صناعته لفظية ، وليس لها مما للشعر من القوة العاطفية والشيوع والهوى المجتمعي ، فالدولة الايلخانية ما استعملت اللغة العربية إلا في أمور العراق وشيء من المراسلات مع الأقطار الاسلامية كمصر والشام ، فكان النثر مستعملاً في أهون أساليبه وأقربها الى لغة العامة ، وقد حلت اللغة الفارسية واللغة المغولية مكان اللغة العربية في أكثر بلاد الشرق الأوسط ولافتراق الشعر والنثر في هذا العصر ، ينبغي لنا أن نذكر خصائص كل على حدة ، ونبدأ بالشعر ، فان الضعف الذي أصابه لم يظهر عليه إلا في أواخر القرن السابع للهجرة ، ونستطيع أن نحدّ حركة استمرار قوته القوية بكتاب « لطائف المعاني في شعراء زماني » للعلامة المفتن الأديب المؤرخ تاج الدين ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ ، وشيخ الشعراء في هذه البرهة كما قدمنا هو شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي ، وقد أشرنا الى ذلك ، وهو شاعر عباسي النشأة وقد عرضنا لشيء من أحواله قبلاً فاذا تجاوزنا تلك المدة لاحت لنا خصائص الشعر في العصر المغولي ، وهي الميل الشديد الى نظم معجزات النبي ـ ص ـ ومناقب الخلفاء والأئمة ، والاقبال التام على النظم التعليمي ومنه البديعيات والصوفيات والوعظيات واللغزيات والزهديات ، وقيام سوق الأدب المتحلل من الأدب ، وطغيان النظم في الحب الحرام ووصف الغلام ، واستتبع ذلك شعراً هزلياً كثير المجون ، ثم الولوع بنظم الطرديات الطائرية وهي وصف البرزان الى صيد الطير الجليل ، ويعرف أيضاً بالواجب الذي كان الخليفة الناصر لدين الله صنفه أربعة عشر صنفاً ، وألف فيها العالم الفقيه الشافعي محمد بن اسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال معيد المدرسة النظامية ببغداد كتاباً سماه « المقترح في المصطلح » لضبط أحكام الرمي

ومسائله وقواعده وفتاواه على وفق المباحث الفقهية (١) ، ثم ألف فيه وفي فتاواه عدة كتب

ومن خصائص الشعر في هذا العصر أيضاً العناية بالفنون الصناعية كالتوشيح والتسميط والتخميس فضلاً عن الفنون النثرية الصناعية التي كانت مقامات الجزري طليعة لها ، ومنها الميل الى الافتنان في النظم باللغة العامية ، لأن الملكة الشعرية في العراقيين لما أعوزها المظهر حافظت على الجوهر الذي هو المعاني . والذي ذكرته من الخصائص لا يعني وقوف النظم عن معالجة الموضوعات الأخرى ، بل قلة النظم فيها ، حتى إنَّ صفي الدين الحلي ذكر في مقدمة ديوانه الأسباب التي بعثته على مخالفة ما شبَّ عليه واعتاده من الأغراض الشعرية وحملته على مدح ملوك ماردين الأرتقيين

وصفي الدين نفسه أول من نظم البديعية النبوية وضمنها معجزات رسول الله ـ ص ـ وفرائد من سيرته الكريمة ، أما نظم البديعية باطلاقها فقد كان مسبوقاً اليه ، وافتن في نظم التواشيح وفنون لفظية أخرى ، ذكر جملة منها في ديوانه .

ومن شعراء المناقب بهاء الدين علي بن عيسى الكردي الإربلي وقد قدمنا ذكره في الادعاء الى حرية التأليف ، وفي كتابه « كشف الغمة في معرفة الأئمة » عدة قصائد مدح بها أئمة الإمامية الاثني عشر ، وإذ كان نظم المناقب في أصله يعتمد على حشو الشعر بالتلويح والتعريض والتضمين للأحاديث والأخبار لم يسلم من البرودة ولا تفادى من الإبهام ، وكذلك القول في الرثاء فانه لما توفي العلامة ابن تيمية مثلا وذلك سنة « ٧٢٨ » بدمشق رثاه أحد العراقيين فيمن رثوه ، وهو تقي الدين الدقوقي (أصله من بلدة دقوق أي طاووق الحالية) بمئة وثلاثة وثمانين بيتاً ليس فيها أثر للفن الشعريّ الرائع مع صدق الشعور وصحة النظم والأوزان ومن شعراء النظم التعليمي عامر بن عامر البصري صاحب التائية الصوفية ، وصفي الدين الحلي فان بديعيته النبوية تعد أيضاً من الشعر التعليمي الأصيل ومن شعراء الوعظيات والزهديات شمس الدين محمد بن أبي القاسم الملحي الواسطي المتوفى في أواسط القرن الثامن للميلاد ، وهو القائل من قصيدة :

بدا البرق من حُزوى فهاج حنينهُ وهبَّتْ صَبا نجد فزاد أنينُهُ

---

(١) يراجع فهرست دار الكتب الوطنية بباريس « ٤٦٢٩ » ورقة ٤

(١) العقود الدرية « ص ٣٩٢ ، ١ ، ٤ »

وغنّى له الحادي بأيام حاجر ففاضت بأمطار الدموع جفونه

ومن أخرى :

هنيئاً لمن أمسى وأنت حبيبه ولو أنّ نيران الغرام تذيبه
وطوبى لقلب أنت ساكن سره ولو بان عنه إلفه وقريبه

ومن ثالثة :

أنوح اذا الحادي بذكركم غنّى وأبكي اذا ما البرقُ من نحوكم عنّا
بكمْ وَلَهي لا بالعذيب ولا النقا وأنتم مُرادي لا سُعادٌ ولا لبنى

وهو من المجيدين فى الوشحات ، ولكن الضعف كان قد أصابَ الشعر فى عصره وكان معاصراً لصفي الدين الحلي ، ومن شعراء الشعر المتحلل من الأدب المقصور على الهزل والمجون تقي الدين علي بن عبد العزيز المغربي الأصل ، ثم البغدادي الدار ، صاحب القصيدة الدبدبية ، وكان أيضاً من اللهجين بالنظم فى اللغة العامية ، وله قصائد فى الزجل والكان وكان وغيرها[1] وكان ديوانه مشهوراً بالعراق . ولما قدم بغداد قاضي القضاة نجم الدين الطشتي سنة « ٧١١ » ، طلب الديوان واستنسخه[2] ، فان كان هذا شأن قاضي القضاة فى الشعر فما ظنك بغيره من أهل الأدب ؟ وفى بغداد مات أحد شعرائها سنة «٧٣٤» الشيخ زركوب الشاعر الفارسي ومدح بغداد [3]

وأما الطرديات الطائرية المنظومة فى صيد الطير الجليل ووصفه ، فأمثلتها فى ديوان صفي الدين الحلي[4] ، وهي أراجيز رائعة فيها افتتان بيّن ، وإجادة مبينة والذي سبق إلى هذا الفن من النظم هو الرامي الكبير الشاطر الشهير عمر بن السفت من أهل القرن السادس للهجرة (والسفت منقاش الصائغ) ، وكان رجلاً عامياً الا أنّ الابداع مركوز فى الطباع ، قال فى مسمطته الطردية :

هيج لي البرق على الخيف أضا طيب لياليناعلى وادي الغضا
مع طيب عيشٍ قد تولى ومضى آه له لما تولى وانقضى
بل آه واَلهفي على تلك الدول

(١) فوات الوفيات « ٢/٥٧ » (٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤/٣٤٣ »
(٣) حافظ الشيرازي لابراهيم بن أمين الشواربي « ص ٢١ »
(٤) ديوان الصفي « ص ٦٥ ، ١٤٢ ، ١٥٣ »

أَتهمَ في أُفق السما وأنجدا وقهقه الرعدُ به ثم حدا
فصحتُ مما حل بي : واكمدا يا سعدُ إن كنت زميلاً مسعدا

قف بالحمى دون الكثيبين وسَلْ

وانشد فؤاداً ظل في ذاك الحمى لما سما البارق في أفق السما
وفاض دمعي فوق خديَّ دما أهلاً بطيف حل بالخيف فما

أدري وما يدري فؤادي ما فعلْ

إن لمتنني في حبهم فلا تلمْ إذا تأوهتُ لعيشٍ لم يدُمْ
كأنه قد كان في طيف الحلمْ فيا زميلي لوح الصبح فقمْ

ننهب الفرصة من قبل الأجل (١)

ومن هذا التشبيب يفضي الى البروز لصيد الطير ، ويذكر أنواع الجليل منها ، ويتغزل بطائر طائر ثم يذكر مصرعه وهذا نظم مستملح مستجاد مستحسن الصياغة من ابن منقاش الصائغ (ابن السفت) ، وقد قلده كثير من شعراء العصر المغولي

وقبل أن أخلص الى الشعر العامي أود أن أذكر أن جماعة من شعراء هذا العصر قد ذكرهم المؤرخ المحدث الكاتب ابن الفوطي الحنبلي البغدادي في كتابه « نظم الدرر الناصعة في شعراء المئة السابعة » وهو مدخل لكتاب ابن الساعي « لطائف المعاني في شعراء زماني » الذي ألمعنا اليه ، وذكرهم ابن الفوطي أيضاً ومن بعدهم في كتابه تلخيص معجم الألقاب كما تبينت من الجزء الرابع المصور المخزون في دار كتب المتحفة العراقية ، ومن الجزء الخامس المطبوع بلاهور في باكستان وقد ذكر في تلخيص معجم الألقاب مثلاً أنَّ ديوان فخر الدين أبي المظفر محمد بن الأشرف العلوي الذي ذكرت له مقطوعتين من قبل كان ينيف على عشر مجلدات (٢)

وأفضي الى الشعر العامي فأقول : إنه شاع في العصر المغولي وبلغ غايته فيه ، وعالجه فحول الشعراء

(١) كتاب الفتوى في البندق مع المقترح في المصطلح المذكور « أصول التأريخ والأدب « ٢٤/٩ »
(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٢٦٥/٤ »

شمس الدين محمد الكوفي وهو من شعراء الخضرمة ، وتقي الدين علي المغربي وقد أشرب الى ذلك ، وشمس الدين الواسطي ، وصفي الدين الحلي . ولاهتمام الناس واقبالهم عليه واستفحاله ألّف فيه الصفي الحلي كتابه « العاطل الحالي والمرخص الغالي » ضمنه الزجل والمواليا والكان وكان والقوما [١] ولذلك قال فى مقدمة ديوانه : « وقد أعريت هذا الكتاب ، عن كل ما عري من الإعراب ، من الفنون الأربعة التي لحنُها إعرابها ، وخطأُ نحوها صوابها ، وجعلت جزءاً بمفرده ، خارجاً عما نحن بصدده » [٢] وهذه الفنون الشعرية العامية كانت معروفة فى العراق قبل العصر المغولي ، فمنها القديم ومنها المتأخر الزمن ، إلا أنها من اختراع العراقيين وحدهم . ولما حل العصر المغولي لم يأنف كبار الشعراء من النظم فيها ، ولولا لغتها العامية لتمّ لها أن تكون حليفة الإبداع ومتعة الأسماع ، ومن شهادات كبار الأدباء للشعر العامي العراقي ما قاله ضياء الدين نصرالله بن الأثير الكاتب الشهير فى فن « القوما » من الشعر العامي ، قال : « بلغني أن قوماً ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيأة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب ، وسمعت شيئاً منه فوجدت فيه مما ني حسنة مليحة ومعانى غريبة وان لم تكن الألفاظ التي صيغت به صنيعة [٣] » .

وقال أديب كبير آخر فى الكان وكان : « ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ، ومن تأمل لطافة العوام بها فى مجونهم وحديثهم واشاراتهم التي لا يفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد ــ حتى إن فيهم من يقول الشعر المسمى كان وكان فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعراء ــ يتبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم » [٤]

مصطفى جواد

---

(١) المستطرف « ٢/ ١٩ »
(٢) ديوان الصفي « ص ٤ »
(٣) المثل السائر « ص ٣٠ »
(٤) مختصر مناقب بغداد « ص ٣١ ، ٢ » .

المصاهرات بين العراق وافريقية التونسية

زخرت القيروان ـ فى مستهل القرن الثاني للهجرة ـ بالسكان ، ولم تكن رقعتها تضم أهلها الأصلاء وحدهم ، وإنما تفسح صدرها للواردين عليها من مختلف الأمصار الإسلامية ، فكانت بيئتها الاجتماعية تحتوي على عناصر أشتات ، من عرب وأفارقة وبربر وإفرنج ، وقد أشار إلى ذلك الرحالة « اليعقوبي » حيث قال [1] : « وفى مدينة (القيروان) أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب ، من مضر وربيعة وقحطان ، وبها أصناف من عجم البلاد البربر والروم وأشباه ذلك ... »

ومن بين قطّان القيروان : الأجنادُ وأبناء الأجناد الوافدون من شمال جزيرة العرب ، ومن اليمن والشام ومصر ، وكذلك العمال والأعوان الذين تبعث بهم الخلافة الأموية لكي يسند اليهم الولاة مرافق إدارة البلاد ، وكذلك أهل التجارة الذين يزاولون عرض بضائعهم المجلوبة من أطراف المشرق والمغرب

وفى من ضمت القيروان طائفة أخرى غير هؤلاء وهؤلاء ، طائفة العلية والسراة من أهل البيوتات العربية العريقة الأنساب ، ساقتهم مطامحهم السياسية إلى إفريقية ، لكي يكونوا بمنأى عن مقر الخلافة ، وبمنجاة من سلطان بني أمية ، أو كانت هجرتهم لغير ذلك السبب من الدواعي والمرّغبات ، فوجدت الجالية العربية الفتية فى مقدمهم تعزيزاً لها وتقوية على الأيام ...

فمن أعيان الوافدين : (منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري) من ذرية « ذي رعين » أحد ملوك اليمن قبل الإسلام

طرأ منصور على القيروان نحو سنة ١١٠ هـ ، واتخذها له وطناً ، وابتنى بها داراً حسنة فى الحي المنسوب إلى « بني نافذ » غير بعيد من المسجد الجامع ، وقد صاهره البشير بن خالد صاحب

---

(١) كتاب « البلدان » لليعقوبي ـ وقد زار المغرب في حدود سنة ٢٨٥ هـ ـ طبع النجف ص ١٠٦

الشرطة بإفريقية ، إذ تزوج أخته ، فزاد ذلك من مكانته في الجالية العربية

قال أبن الأبار (١) ـ ناقلاً عن ابن الوكيل القيرواني ـ : « كان منصور شريفاً في قومه ، معروف المكانة فيهم ، مذكوراً بالبلاغة والشعر وكرم الأخلاق

وبعد حين من مقدمه ، ورد عليه شاب قرشي من البصرة ، يعرف آل بيته في المشرق ، وهو : أبو جعفر عبد الله العباسي ، فأكرم منصور مثواه ، وأنزله على الرحب والسعة

ويجمل بنا هنا أن نسوق نبذة من خبر أبي جعفر ، وما كان له من الصلة الوثيقة بإفريقية التونسية قبل أن يلي الخلافة وبعدَ أن وليها ، وهو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأمه « سلامة » بنت بشير ، جارية بربرية من قبيلة نفزة التونسية ، تزوجها أبوه محمد ، فولدت له أبا جعفر سنة خمس وتسعين للهجرة بمدينة البصرة ، فنشأ بها ، وقرأ على أعلامها ، ومن رفقته في مدارسة العلم زمنَ الصغر : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي (٢)

حكى عبد الرحمن عن نفسه ، قال : « كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور ، قبل أن يلي الخلافة ، فأدخلني يوماً منزله في الكوفة ، فقدم طعاماً ومريقة من حبوب ليس فيها لحم ، ثم قدم زبيباً ، وقال : يا جارية ، عندك حلوى ؟ قالت : لا ، قال : ولا تمر ؟ قالت : ولا تمر ، فاستلقى ، ثم قرأ هذه الآية : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون) »

ولما كبر أبو جعفر وترعرع ، اقتفى خُطا أخويه الكبيرين : إبراهيم المعروف بالإمام ، وأبي العباس الذي أُشهر فيما بعد بالسفّاح ، فجرى مجراهما في دعوى استحقاق الخلافة ، فأذكت الدولة الأموية العيونَ عليه ، وأوعزت إلى العمال والأعوان أن يتتبعوه ، وأن يتعرفوا ما يكون منه ، وأن يقبضوا عليه إذا لزم الأمر ، فكان هو وأهل بيته يتخفون ما استطاعوا ، ويسرون دعوتهم بكل سبيل ، ويلوذ منهم لائذون بالبقاع القاصية مثل خراسان ببلاد فارس وصنعاء باليمن

(١) كتاب الحلة السيراء (ص ٣٥١)

(٢) راجع ترجمته في « خلاصة تاريخ تونس » (ص ٥٩) ، من تأليفنا

وما غنم أبو جعفر أن توخى إفريقيةَ لِما بينه وبينها من رحِم واشجة ، فإن أبن عمه حفيد عبيد الله بن عبد الله بن العباس كان قد طرأ على القيروان وتزوج فتاة تسمى « أروى » وتكنى « أم موسى » ، وهي ابنة منصور بن يزيد الحميري ، فأولدها بنتاً ، ومات نحو سنة عشرين ومئة للهجرة ، فبقيت « أروى » في بيت أبيها ، وتقلبت بها الأيام ، حتى كان مقدم أبي جعفر يستلحق ابنة أبن عمه في ظاهر الأمر ، على حين أن حقيقة الغرض من مقدمه هي التماسه سبيل النجاء من طلب بني أمية له

حل أبو جعفر ضيفاً عزيزاً على منصور بن يزيد الحميري ، وفي أثناء مقامه عنده شهد من وسامة « أمّ موسى » ما بهر بصره ، وخلب لبه ، فخطبها إلى أبيها ، وتزوجها ، وتعلق بها أكبر التعلق طولَ حياته وقد اشترط لها أبوها في عقد زواجها ألا يتزوج أبو جعفر غيرها ، وألا يتخذ السراري معها ، فإنْ تسرّى عليها كان طلاقها بيدها ، كما جرت بذلك عادة أهل القيروان من عهد قديم ، حتى سميت تلك الطريقة بالصداق القيرواني [1]

مكث أبو جعفر في كنف منصور بن يزيد الحميري والد زوجه « أروى » ، حتى كتب الخليفة هشام بن عبد الملك الى عامله على إفريقية يطلب منه القبض على أبي جعفر ، فلما أحس الخبر اضطر أن يستخفي في بيت ختنه بشير بن خالد ، وهو قصر يقوم في وسط ضيعة خارج القيروان على طريق سوسة ، وربما كان في موضع (ذراع التمار) الآن

وبعدَ حينٍ أزمع أبو جعفر عوداً الى المشرق ، ليلحق بإخونه وآل بيته ، وكانت أنباء دعوتهم تتناهى اليه في القيروان ، فانحدر بزوجه « أروى » مختفياً الى الكوفة ، وظل يتردد على منازل الأشياع من الهاشميين في سره حتى ظفرت الدعوة العباسية بمناصرة أبي مسلم الخراساني ، وسقطت دولة بني أمية ، وآلت الخلافة الى عبد الله السفاح سنة ١٣٢ هـ وكان الأخ الأكبر لأبي جعفر ، فلما مات وسدت اليه الخلافة سنة ١٣٦ هـ ، وفي بادئة أمره أنشأ مدينة بغداد التي سميت أولَ ما سميت : « مدينة المنصور » ، وابتنى لنفسه قصراً أسماه « قصر الخلد » ، وأسكن فيه زوجه وبنيه وذويه

---

(١) راجع ما كتبناه في هذا المعنى في كتابنا (شهيرات التونسيات) ص ١٥ من طبع تونس .

وقد وفى المنصور لزوجه « أم موسى » ما كان عاهدها عليه فى عقدة الزواج ، فلم يتخذ له زوجاً سواها ، ولم تكن له سراري معها طولَ حياتها ، وقد ولد له معها جعفر أكبر أولاده ، ومات فى حياة أبيه ، وولد له معها كذلك ابنة هي « الزبيدة » التي تزوجها هارون الرشيد فيما بعد ، وابن ثان هو « محمد المهدي » الذي صارت اليه الخلافة

ولم تزل « أروى أم موسى » فى المحل الأرفع من قلب زوجها ومن إجلاله وتكريمه ، يرعى أولادها ، ويحتفي بأهل بيتها ، حتى توفيت سنة ١٤٦ هـ بعد عشر سنين من ولايته إمارة المؤمنين

حزن المنصور على زوجه الحميرية الإفريقية حزناً أليماً ، اذ كان يحمد لها ما تمتاز به من جليل الخصال ، ويذكر لها مشاركتها اياه فى البأساء والنعماء ، ويفاخر بأنها سلالة ملوك اليمن من حِمْيَر ذروة مجد العرب الأثيل .

وقد عرفت « أم موسى » فيما بعد بأنها « أمّ الخلائف » ، إذ أن خلفاء بني العباس — من بعد المنصور — كانوا من ذريتها الماجدة ، نازعين الى تلك الأعراق البالغة من النبالة أقصى البالغ

ومن قول الشاعر الكبير سلم بن عمرو المعروف بالخاسر فى مدح الخليفة المهدي [1] :

أكرمْ بقرمٍ أمينُ الله والدُهُ وأمُّه أمّ موسى بنت منصور

ومن قول الشاعر المعروف أبي نُواس فى الخليفة محمد الأمين بن الرشيد وزبيدة :

وما مثل منصورَيْك : منصورِ هاشمٍ ، ومنصورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مَفْخَرُ

فمن ذا الذي يرمي بسهمَيْك فى الورى وعبدُ مَنافٍ والداك وحِمْيَرُ ؟

ومن قول أبي نواس أيضاً :

فجدّاك هٰذا خيرُ قحطانَ واحداً وهٰذا اذا ما عدَّ خير نزارِ

يعني بالقحطاني منصوراً الحميريَّ ، وبالنزّاري أبا جعفرٍ المنصور

ونقتصر على هذه الأبيات فى الاشارة الى رفعة نسب منصور الحميري واتصاله ببني العباس ، والمأثور من أمثالها كثير لا يتسع لإيراده المقام

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢/١٢)

عاش أبو جعفر المنصور بعد وفاة زوجه ، فى عزه وصوله ، حتى تُوُفيّ سنة ١٥٨ هـ وهو فى طريقه الى الحج ، ودفن فى مكة ، وخلفه على الأمر ابنه الأكبر محمد المهدي

وقد اجتمعت كلمة المؤرخين على أنه لم يكن في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وحفيده عبد الله المأمون ، ودونهما فى المعرفة هارون الرشيد والواثق بالله ، والمنصور معدود فى الملوك الشعراء

وقد أورد له الأخباريون وصيته الخالدة الى ابنه وخليفته المهدي [1] ، ومن قوله في بعض مواقفه الحربية ، وقد التفت عليه جموع من الأعداء :

وجعلت نفسي للرماح دَرِيئَةً ... إنّ الرئيسَ لمثلِ ذاك فَعُولُ

وقوله مجيباً من نصح له بالأناة فى أمر أبي مُسلم الخراساني :

اذا كنتَ ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإنَّ فسادَ الرأي أن تترددا

ولا تمهل الأعداء يوماً بقدرة ... وبادِرْهُمُ أن يملكوا مثلها غدا

وقوله أيضاً :

تقسمني أمرانِ لم أفتتحهما ... بحزم ، ولم تعرك قواي الكراكر

وما ساور الأحشاء مثل دفينة ... من الهمّ ردها عليك المصادر

وقد علمت أبناء عدنانَ أنني ... لدى ما عرا مقدامة متجاسر

وله فى غير ذلك من الشعر الحماسيّ ، نظمه فى أثناء ولايته وقبل أن يتولى

عُني المنصور عناية خاصة بالبلاد الإفريقية وبأهلها منذ قبض على زمام الخلافة ، إذ كان يعلم من حقيقة أمرها ما بصّره به العيان ، فقد سكنها وأقام بها زماناً ، وعرف خباياها ، وخبر رجالها ، فلا غرو اذن أن يصطفي لإمارتها كِبار قُوّاد دولته ، مثل : محمد بن الأشعث الخزاعي ، والأغلب بن سالم التميمي ، ويزيد بن حاتم المهلبي ، وأخيه روح بن حاتم ، وما منهم إلا من قاد الجيوش فى الفتوح ، وتوسد جلائل الأعمال فى تلك الدولة الفتية الناهضة

(١) الحلة السيراء (ص ٣٥٣) (٢) الكامل لابن الأثير (٦/٩) .

ويروى عن المنصور أنه كان يسأل من يفد عليه ببغداد من أهل إفريقية : كيف حال إحدى القيروانين ؟ يعني بذلك مدينة تونس ، إذ أقام بها فترة من الزمن

* * *

والآن وقد قصصنا عليك ما كان من صلة أبي جعفر المنصور بالقيروان ، قبل الخلافة وبعدها ، نلمع الى ما كان من صلة ذرية العباس بن عبد المطلب — عم النبي صلى الله عليه وسلم — بإفريقية التونسية ، وما لهم من قدم صدق فى فتحها

شارك عبد الله بن عباس — حبر هذه الأمة — فى أول غزوة لإفريقية ، مع عبد الله بن أبي سَرْح سنة ٢٧ هـ ، وهو الذي قسم الغنائم بين القواد والأجناد فى وقعة « سبيطلة »

والغزو الثاني لإفريقية باشره شقيقا عبد الله بن عباس ، وهما : معبد وعبد الرحمن سنة ٣٥ هـ مع معاوية بن حديج ، وقد استشهدا جميعاً ، رضي الله عنهما ، فى فتحها ، ودُفنا فى تربها ، وتبرك أديمها باشتماله على رفاتهما الطاهر[1] وثلاثتهم أبناء العباس عمّ الرسول ، عليهم صلوات من ربهم ورحمة

وقد أسلفنا لك من نبأ منصور بن يزيد الحميري أنه اتخذ بالقيروان داراً فسيحة لأهل بيته ومواليه ، ويبدو أنه كان واسع الثراء ، يتخذ الحاشية والأتباع فمن مواليه (حفص) الذي تولى من بعـــدُ خراج إفريقية ، يدر أموال البلاد ، وابتنى لنفسه قصراً اشهر باسمه (قصر حفص) ، وذلك فى العاصمة ، وقد ورد ذكر هذا القصر كثيراً فى تراجم الأفارقة

كان لمنصور الحميري عدة أولاد فى القيروان ، من أشهرهم :

يزيد بن منصور الذي التحق بابن أخته محمـد المهدي لما آلت اليه الخلافة سنة ١٥٨ هـ ، فقربه المهدي منه ، واستعان به فى المهات ، وأسند اليه المناصب ، مثل ولاية خراسان والـكوفة واليمن ، وامارة موسم الحج ، وقد لمع اسم يزيد حتى مدحه علية الشعراء ، كأبي نواس ، وتوفي

(١) لنا بحث مطول — في غير هذا — عمن استشهد من الصحابة في التراب التونسـي ، وقد بسطنا فيه من الـكلام عن تأريخ أبناء سيدنا العباس ، فليراجع هناك

ريد سنة ١٦٥ هـ [١]

ومما يحسن التنبيه اليه في هـذا الصدد أن أبا محمد يحي بن المبارك اليزيدي النحوي الطائر الصيت ، صاحب أبي عمرو بن العلاء وأحد كبار القراء ، إنما قيل له اليزيدي لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور هذا ، فنسب اليه ، ثم إنه أدب بعد ذلك الخليفة المأمون [٢]

* * *

ومن غريب الموافقات أنه لا تكاد تمر مئة عام على الأحـداث التي قدمناهـا حتى يقدم على إفريقية أمير عباسي فى بواكير الصبا ، من حفدة أم الخلائف أروى الحميرية القيروانية ، وذلك فى نحو سنة ٢٧٠ هـ

ذلك الشاب هو (عبد الوهاب ابن الخليفة المهتدي ابن الخليفة الواثق) ، وقد خرج من بغداد بعد مقتل أبيه بأعوام ، فوصل الى القيروان فى مدة الأمير ابراهيم الثاني من « بني الأغلب » ، فأحسن الأمير لقاءه ، وأنزله بجوار قصره (الفتح) فى أحـــد المُتَـنَزَّهات البديعية التي أنشأها في مدينة « رقادة »

ورغب الأمير الشاب فى الإصهار الى الأسرة الأغلبية ، فزوجه ابراهيم الثاني ابن أخيه المتوفَّى الأمير محمد الثاني الملقب بأبي الغرانيق ، وتوالت ولائم العرس أياماً وليالي فى رقادة [٣] ، وكان المتولي لعقد الزواج هو القاضي الطائر الصيت عبد الله بن طالب التميمي صِنو الأغالبة

سكن عبد الوهاب وعروسـه فى قصر لطيف ، تحف به حديقة غناء ذات أفنان وزهر وريحان ، وولد لهما (محمد) و (حسين) ، فنشأ كلاهما فى رعاية عم والدهما حتى أهّلهما بالتربية لشغل المناصب الرفيعة في الدواوين ، وبينما كانا فى صباهما فارقهما أبوهما عبد الوهـاب عائداً الى العراق وسُرَّ مَنْ رأى ، فظل الأميران الصغيران مع أمهما الى أن توفاها الله فى نحو سنة ١٨٥ هـ

وطرقت إفريقية طوارق الحدثان ، وتجمعت البوادر المؤذنة بســـقوط دولة بني الأغلب التميمية ، وقيام الدولة العبيدية الفاطمية مكانها ، فاستنكف الأميران العباسيان أن يقيما بإفريقية ،

(١) الكامل لابن الأثير (٦/٢٨) (٢) الحلة (ص ٣٥٣)
(٣) جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٨ و ٢٣)

والتحق أكبرهما (أبو اسحاق محمد) بالأندلس قاصدا خليفتها عبد الرحمن الناصر ، فاحتفى بمقدمه عليه فى قرطبة ، وأجرى له رزقاً معلوماً فى كل سنة ، ومات أبو اسحاق محمد فى خلال سنة ٣٢٣ هـ ولم يعقب

أما أصغر الأخوين (الحسين بن عبد الوهاب) ، فانه ما كاد يشهد أفول نجم بني الأغلب حتى رحل الى جزيرة صقلية ، وأقام بعاصمتها (بلرم) الى أن وافاه الأجل المحتوم ، فدفن هناك ، ولا ندري أأعقب أم لا

ومما مر بنا مجملا فى هذه العجالة ، يتبين لنا أن الجالية العربية النازحة الى إفريقية خلال القرنين الثاني والثالث ، كانت تعد بينها وجوها من أبناء البيوتات المشهورين بفصاحة الألسن وسعة الآداب ووفور الأحساب وأصالة الأنساب وفى ذلك بلاغ !

تونس : ح ح عبد الوهاب الصمادحي

العلماء والخبراء الفنيون : اعدادهم فى بلاد مبتدئة [1]

ان مما تتسم به المجتمعات المتقدمة فى عصرنا هذا العلمية فالشؤون العامة تقوم على أسس من العلم والبحث العلمي هو نقطة الابتداء فيها ونتائجه هي القول الفصل . وتقاس الأشياء بقياس العلم

ان الانتاج في المجتمعات المتقدمة وهو محور فى الحياة العامة انتاج عصري . ونقصد بالانتاج العصري لغرض بحثنا هذا استخدام العلوم والفنون الحديثة فى تكوين المنتجات المادية أو استخراجها أو انمائها أو استحداثها أو تحويلها

والتقدم المادي فى عرف هذا العصر هو الهيكل العظمي فى جسم المجتمع وهو قائم على الانتاج العصري وعلى العلوم الطبيعية والرياضية

والتقدم الفكري وثيق الصلة بالعلوم الطبيعية فقد كان تقدم العلوم الطبيعية والرياضية فى حقولها الأساسية **Basic Sciences** ذا أثر كبير فى رقي الفكر البشري .

وفى حقولها التطبيقية رفعت مستوى الانسان المادي والفني الى درجات لا نملك الجزم فى القول انها تتناسب ومستواه الفكرى فلقد رمى عصرنا وبعض الحق بأنه عصر سبق فيه التقدم الفني مستوى الانسان الفكري فوضع بيد الانسان أجهزة وفنوناً لم يسمُ فكره الى مُثُل تؤمن استخدامها فى سبل الخير وتحول دون استخدامها فى سبل الشر فكانت حال فى بعض المجتمعات يحار فى أمرها الكثيرون ويجدون فيها نذرَ سوء .

ومهما يكن من أمر فان العلوم الطبيعية فى عصرنا هذا هي أساس الانتاج وان العلمية سمة الحياة العامة فى المجتمعات المتقدمة وسوف يقوم بحثنا على هذين العرضين

أما الحكم فيما منحت تلك العلمية الانسان وما لم تمنح وفيما أضفى ذلك الانتاج العصري على المجتمعات المتقدمة وما لم يضف فأمران لا نتناولُهما فى بحثنا هذا

---

(١) محاضرة ألقيت في دار المجمع يوم السبت ١٤/٣/١٩٥٣ .

يعمل فى حقول الانتاج فى المصنع والمنجم والمزرعة مجموعات ثلاث من ذوي التخصص والخبرة المجموعة الأولى تشمل خبراء الانتاج فى المعامل والمناجم والمزارع وتتناول خبرتهم تشغيل الجهاز الانتاجي وصيانته والمجموعة الثانية تشمل المهندسين على مختلف صنوفهم والكيميائيين والفيزيائيين والرياضيين الذين تتناول أعمالهم انماء الانتاج وشؤون التخطيط والتصميم فيه وتوسيع الفعاليات الانتاجية وتحسين الجهاز وزيادة كفاءته والمجموعة الثالثة تشمل علماء البحث والاستقصاء فى تلك الميادين وتتناول أعمالهم البحوث التطبيقية التي تهدف الى استثمار موارد طبيعية جديدة وتكوين أجهزة جديدة للانتاج

لقد أطلقت فى السنين الأخيرة على ذوي التخصص من كل من المجموعات الثلاث كلمة العلماء **Scientists** وشملت هذه التسمية المشتغلين فى تلك الحقول العلمية والفنية على مختلف مراتبهم ما خلا ذوي الأعمال الرتيبة فى تشغيل الجهاز الانتاجي من الذين تشملهم المجموعة الأولى وفى اللغة العربية لا تنطبق كلمة العلماء ـ على ما هو متداول ـ على معنى **Scientists** ولذلك سببان : أولهما أن هيئات من العلماء الطبيعيين لم تظهر بعد فى مجتمعنا لتتخذ مكانها بين هيئات ذوي المهن والتخصص كما هي الحال فى المجتمعات المتقدمة وثانيهما أن كلمة العالم لها مدلولها المخصص فى مجالات أخرى من المجتمع على ان المجمع العلمي العراقي التفت الى هذا الأمر فأقر بعد أن تبينت الحاجة الى ذلك استعمال كلمة العالم لـ **Scientist** فأطلق على سبيل التخصيص تسمية على هيئات ناشئة فى المجتمعات العربية تقابل التسمية المخصصة للهيئات المماثلة فى المجتمعات الأخرى .

* * *

يتجه الانتاج العصري نحو زيادة البحث والاستقصاء فبعد ان كان العلماء والفنيون من المجموعة الأولى التي سبقت الاشارة اليها وهم الذين يعملون فى جهاز الانتاج نفسه يكونون الأغلبية الكبيرة فى حقول الانتاج وخاصة الصناعة منها ارتفع عدد علماء البحث من المجموعة الثالثة وصار البحث والاستقصاء المجهود الأول الذي تبذل فى سبيله موارد الصناعة وارتفعت نسبة المشتغلين فى حقول البحث ارتفاعاً كبيراً فقد ظهر من احصاء لمئة وست وستين مؤسسة

من المؤسسات الصناعية الرئيسية فى بريطانية سنة ١٩٤٨ ان عدد العلماء الكيميائيين الذين يشتغلون فى البحوث فيها بلغ ألفاً وتسعمئة وواحداً وستين كيميائيا وكان عدد الذين يشتغلون فى حقول الانماء من تلك الصناعات ستمئة وعشرين كيميائيا اما عدد الذين يشتغلون فى جهاز الانتاج بكافة فروعه فكان ألفا وستمئة وواحداً وسبعين كيميائيا ويتبين من هذا الاحصاء ان عدد الكيميائيين الذين يشتغلون فى البحوث يربو على عدد الكيميائيين الذين يعملون فى جهاز الانتاج بكافة فروعه وتلك ظاهرة جديدة ما كانت قبل سنوات خلت

* * *

وهناك مجموعة رابعة من العلماء تتناول أعمالهم البحوث الأساسية Fundamental Research التي تهدف الى كشف القواعد العلمية الطبيعية والرياضية يعملون فى معاهد البحث العلمي ومختبراته من حكومية وجامعية وأهلية وتكون نتائج بحوثهم أهمية لا ينحصر استثمارها بوطن أو هيئة الا فى ظروف معينة ولفترات محدودة كما تكون لخير الانسانية ورقي الجنس البشري الا اذا استخدمت فى بحوث تطبيقية فى زمن الحرب أو استمداداً لها لانتاج وسائل الحرب وأجهزتها

* * *

قلنا ان الانتاج فى المجتمعات المتقدمة انتاج عصري يقوم على أسس من العلوم الطبيعية والرياضية وعلى تطبيقات تكنلوجية نشأت منها . والمؤهلات العلمية والفنية لذلك الانتاج بمقاييسها الصحيحة تتكون بالتخصص والتفرغ وبالمرانة الطويلة واكتساب الخبرة ان الخبرة الفنية التي ينطوي عليها تشغيل وادامة جهاز الانتاج تنمو كل يوم فى المجتمع المتقدم ففنون الانتاج فى تجدد مستمر ونتائج البحوث العلمية تجد طريقها بسرعة الى أساليب الانتاج وقد كان تقدم البلد الصناعي يقاس بسعة الانتاج ومستواه الفني وهو الآن يقاس بسرعة التقدم الفني وبتجدد أسس الانتاج وسرعة ومدى استثمار ما يسفر عنه البحث العلمي فى ذلك الانتاج

ان ذلك معناه بالنسبة لبلاد كبلادنا تكوين هيئات من العلماء والفنيين على أوسع نطاق وإنماء خبرتهم فى شؤون الانتاج وأجهزته وتوسيع مجالات اختصاصهم وتنويعها لكيما تتناول

حقول الانتاج الجديدة التي يجري ادخالها فى بلادنا ومعناه كذلك رفع المستوى العلمي والفني بينهم بصورة دائمة ووفق مناهج وخطط تهدف الى تهيئة علماء للبحث والاستقصاء من بين النابغين منهم وذوي المؤهلات

من المألوف فى بلادنا اذا ما أثير موضوع كالذي نبحث فيه أن يفكر باستقدام الخبراء الأجانب لا مراء اننا تلامذة على المجتمعات المتقدمة فى هذا الحقل وسوف نبقى كذلك الى أمد طويل . ان للخبراء الأجانب محلهم فى هذا المجال اذا أحسن انتقاؤهم على اننا اذا أردنا أن تكون الخبرة الفنية وما تعطيه من تكوين وقابلية ـ أن تكون تلك الخبرة من صميم كيان مجتمعنا تنمو فيه وتتوالد مؤهلاتها وصفاتها وتؤتى ثمارها على شكل هيئات نامية يبقى فى البلاد ما يتكون منها لتقام عليه صروح أعلى ومقاييس أسمى فى العلم والخبرة فلا بد من أن تكون تلك الخبرة فى أبناء البلاد وان لم تكن كذلك فلا تمكث فى الأرض

وهناك نواح في موضوع الخبرة والتخصص ـ لا يتسع مجال هذا البحث للدخول فيها ـ توجب ان يكونا عند ابناء البلاد وقد اكتفيت بعرض الموضوع من حيث المبدأ كيف السبيل الى اعداد هيئات من العلماء والفنيين من ابناء البلاد لا شك ان هناك خطوات معروفة أوردها بايجاز فى هذه المرحلة من بحثنا فهناك دراسة الأسس العلمية والهندسية ثم المرانة في المعامل والمختبرات ومعاهد البحث ثم التتبع المستمر فى مجال معين من مجالات التخصص العلمي والعمل الفني ويكون ذلك المجال محدوداً فى بعض الحالات ولا يكون فى حدود ضيقة فى حالات أخرى ثم الاتصال الدائم بمصادر التقدم العلمي والفني في ذلك المجال المعين هذا من ناحية الفرد أما من ناحية المجتمع فيجب ان تتوافر مقاييس معنوية صحيحة كتلك التي تقاس بها المنزلة العلمية والخبرة الفنية فى المجتمعات المتقدمة وان تتوافر مقاييس مادية صحيحة تتفق ومكانة مهنة العلم ومهنة الفن بين المهن فى المجتمعات المتقدمة وهناك فوق كل شيء تكوين الخلق المسلكي القويم عند العلماء والفنيين وهو أمر يشترك فيه الفرد والمجتمع فهناك صفات أساسية يتصف بها العالم ورجل الفن ولا يكون عالماً أو رجل فن إلا اذا تحلى بها فكل من العالم ورجل الفن ذو فكر باحث منقص يحس احساساً شديداً بجهله فى كافة فروع المعرفة وفى فرع

اختصاصه على وجه أخص ، يجد المعرفة من اثمن الاشياء فيقدم أغلى التضحية فى سبيل البحث عنها ، يؤمن بذلك البحث ايماناً مطلقاً لا يمت الى النتائج بصلة واذا أمضى طوال حياته في بحث لم يسفر عن كسب أو منفعة ظل مؤمناً بأن حياته ما كانت هباء يقيس الامور بمقياس من عنده فى تقدير ما أنجز ولا يقيس بتقدير واستحسان من حوله

اننا فى بلادنا مبتدئون فى مضمار اعداد العلماء والفنيين على النحو الذي بيناه ، ولا تقتصر الحال على ناحية دون أخرى ففي الناحية الاولى وهي ناحية الموضوع العلمي ووسائل المرانة والتدريب ومعاهد البحوث ومختبراتها لم نزل في أول مراحل التكوين نعمل ضمن حدود ضيقة والناحية الثانية هي ان الفرد من ابناء بلادنا لا تمـده نشأته لأن يكون مادة خاماً صالحة للعمل فى هذا الحقل والناحية الثالثة هي أن مجتمعنا يسود فيه ما لا يعين على تأدية المهام التي تتصل بالعمل فى هذا الحقل ولا على السير حثيثاً نحو أهداف معروفة واضحة فى هذا المضمار والناحية الرابعة هي أن الخلق العلمي لا يجد بيئة ينمو فيها ومجالا يتكون فيه فى معزل عن المحيط

ان العوامل الاربعة المبينة آنفاً لا تظهر للمتتبع عواملَ مستقلةً يستبين اثرُ كل منها واضحاً فى بلاد مبتدئة ذلك انها تتفاعل على صور كثيرة فلا يكون من السهل تحليل الوضع الى عوامله الأولية فى كل حال من الاحوال أو ظاهرة من الظواهر لذا لا نجد سبيلا الى أن نتناول كلا من تلك العوامل الاربعة على انفراد وليس فى ذلك فائدة على كل حال وسوف نكتفي بايراد بعض المشاكل مما يتخلف عن تلك العوامل ويرجع اليها ، وهي المشاكل التي تعترض سبيل العمل فى اعداد هيئات من العلماء والفنيين في بلاد مبتدئة اعدادا يتفق مع مقاييسه الصحيحة فى البلاد المتقدمة فيؤهلهم للقيام بالمهام التي يقوم بها أقرانهم فى تلك البلاد

ان أولى تلك المشاكل هي مشكلة الزمن فالتخصص العلمي والخبرة الفنية لا يبلغان درجة يكون فيها كل من المتخصص والخبير قادراً على قبول المسؤولية فى الاعمال الفنية وعلى أن ينتج انتاجاً صحيحاً فى البحث العلمي إلا بعد سنين طويلة من التدريب والمرانة والجد والمثابرة . ان التخرج فى المواضيع العلمية والفنية والحصول على الشهادة الدراسية هما بمثابة نهاية الابتداء ليس غير وبلوغ العامل فى حقلي التخصص العلمي والخبرة الفنية مرتبة فيها يقوم على العمل فى

الانتاج وفي المعاهد والمختبرات سنين طويلة

ومن المشاكل الاولى ما يكون عادة فى بلاد مبتدئة من خطأ فى تقدير سعة العمل وما يقوم عليه من وسائل إذ تكون الجهود ضئيلة فتأتي النتائج على قدر تلك الجهود ان العمل فى هذا الحقل يتطلب وسائل كثيرة ويكون على نطاق واسع ان مدة التدريب والتخصص طويلة وفروع العمل كثيرة ويجري العمل فى البلاد المتقدمة فى مؤسسات تتوافر فيها الأجهزة والمعدات والمكتبات والوسائل الآخرى ويتوقف سير تلك المؤسسات على مدى ما يتيسر لها من وسائل فى أوقاتها وليس من السهل فى بلاد مبتدئة في هذا المضار لم تتبين فائدة العمل فيه تنفيذ خطط صحيحة له وتبيان سعة ما ينطوي عليه

واذا لم تكن مناهج اعداد العلماء والفنيين على نطاق واسع فى كل من ناحية الوسائل المادية وناحية قبول الاعداد الكافية من طالبي التخصص والتدريب ـ فان النتائج تكون ضئيلة . ذلك لأن عدد الذين يحالفهم النجاح فى هـذا الحقل يقل كثيراً عن عدد المقبولين للعمل فيه ويكون من نتيجة ذلك انطواء سني التدريب الطويلة من غير أن تظفر البلاد بالعدد الكافي من العلماء والفنيين ومن هنا تتبين أهمية تقدير سعة العمل عند الابتداء فيه

ومما يتصل اتصالا وثيقاً بعامل الزمن وسعة العمل اللذين ذكرناهما آنفاً جدة هذا المسلك بين المهن والمسالك المعروفة فى بلاد مبتدئة فالبلاد المبتدئة حديثة العهد بالانتاج العصري لم تنشأ فيها هيئات من العلماء والخبراء الفنيين لذا لا تبدو أهمية مواضيع التخصص فى العلوم الطبيعية كما لا يتضح المستقبل الذي ينتظر المتخصصين بها وتكون نتيجة ذلك انصراف الطلاب المتقدمين فى صفوفهم الى التخصص فى مواضيع ومهن أخرى تبدو أنها تؤمن للطالب مستقبلا ومكانة مرضيين

* * *

ومن المشاكل الأولى التي تعترض سبيل العمل فى اعداد العلماء والفنيين فى بلاد مبتدئة عوامل فردية واجتماعية لها الأثر الكبير فى سير العمل وفيما تؤدى اليه من نتائج

ليس فى تقاليد الفرد فى بلاد مبتدئة وفى نشأته وفى مجرى حياته ـ ليس فيها الكثير مما

يعين على حسن الأداء عند المتدرب والمشتغل فى هذا الحقل ولا ما يعين على اتباع انظمة العمل الصحيحة وخططه لدى المؤسسة المسؤولة

أن الجو الذي يسود المؤسسات العلمية والفنية جو علمي لا يختلف فى شيء عن طبيعة الموضوع العلمي والفني الذي يجري العمل فيه وكل ما قد يخالط هذا الجو من اعتبارات أو يفرض فيه هو افساد لذلك الجو لا أكثر ولا أقل

ان اعداد المرء نفسه لأن يكون عالما أو فنيا أو خبيرا يكون بالجد والمثابرة على العمل والجلد فى الدراسة والمرانة والتتبع ثم بالامعان بالاستقامة والعلمية والعمل الصامت ثم بالخضوع لنظام العمل الذي تفرضه طبيعة العمل نفسه ويكون فيه للدقة والامانة والصدق واتباع السياق (Procedure) المقام الأول

ان أساليب العمل العلمي والفني تقتضي نكراناً للذات وطاعة فى تأدية العمل وقبولا للأعمال المتكررة فى البحث والتجربة وقد تتكرر الى حدود الاجهاد الجسمي والعصبي وتقتضي احتمالا لشدة العمل والتقصي الممل كل هذه تعتبر جزءاً من حياة كل من العالم والفني والخبير فى نشأته وتدريبه ثم فى عمله بعد بلوغه مرتبته

ان السير قدماً فى هذا الحقل نحو هدف قد لا يستبين واضحاً فى مراحل السير الأولى ـ لا يتحقق حتى يكون فى محيطنا ما يعين على الحد من أثر العوامل الفردية والاجتماعية التي اشرنا اليها

ومن المشاكل التي يبدو أثرها ظاهراً للعيان أنظمة الخدمة وظروف العمل فى بلاد مبتدئة فهما تنطويان بمجموعها على أمور لا تشجع الفرد على الاتجاه اتجاهاً علمياً بحتاً ولا تدفع به الى التتبع فى حقول المعرفة والتخصص ثم الى الاعراض عما سواها فأنظمة الخدمة فى المؤسسات العامة لا تفرق كثيراً بين مختلف العناصر ان الترفيع يناله الجميع ومجال التقدير والمكافأة ضيق فيما سوى ذلك وتقف فى سبيله حواجزُ من الأنظمة يتعذر اجتيازها فى أغلب الأحوال . واسلوب انتقاء واختيار العناصر الصالحة على أسس معروفة فى هذا الحقل يصعب تطبيقه وتحول دون تعزيز أثره النافع حوائل كثيرة أما الخدمة فى غير المؤسسات العامة كمؤسسات الصناعة مثلاً ففيها

بعض ما يشجع على السير في اتجاه فني بحت فى ناحية واحدة فقط هي الناحية المادية وفيما عدا ذلك فان ظروف العمل فى تلك المؤسسات هي الأخرى ليست سبيلاً معبداً يسير فيه رجل العلم أو الفن سيراً حثيثاً نحو بلوغ أهدافه العلمية والفنية

وهناك فى الأخير مشكلة مادية ان مما يعين كلا من العالم والمتخصص والخبير على السير فى عمله العلمي تجرده عن ضرورة الجري وراء الكسب والمنفعة ولا يكون ذلك الا بتأمين عيش معتدل له فى يومه وغده ولا سبيل إلى ذلك في مجتمع مبتديء

* * *

فى وسط من هذه المشاكل تبدو مهمة إعداد هيئات من العلماء والخبراء إعداداً يتفق ومقاييسه المعروفة ـ مهمةً شاقة ويجب القول إن مهمة كهذه تتصل بوضع البلاد العام في نقاط عديدة فلا يتوقف إنجازها على قرار يتخذ أو معهد يفتتح أو بعثة توفد أو خطة توضع أو غير ذلك من تدابيرَ سليمةٍ بل يكون إنجازها بتفاعل كافة تلك التدابير تفاعلاً بطيئاً يتدرج فى مراحل زمنية ويستثمر حاصل التفاعل الواحد فى تكوين تفاعل آخرَ على نطاق أوسع والى سوية أعلى وذلك طبقاً لمبدأ وتصميم معينين ثابتين ان العلم فى محيط ما ينتج العلم والخبرة الفنية تنتج الخبرة الفنية في اسلوب نام يتسع فيه نطاق العلم والخبرة في محيط نموه ويرتفعان من درجة الى درجة ويتكامل الخلق المسلكي ويسمو

* * *

نعود الآن الى بحث السبل التي يمكن اتباعها فى بلاد مبتدئة في السعي الى تكوين الهيئات العلمية والفنية التي تحدثنا فيها

لاشك ان أول السبل إلى ذلك الدراسة الجامعية فى العلوم الطبيعية ولا نريد هنا من الدراسة الجامعية وسيلة لتخريج الطلاب فى تلك العلوم فى الدرجة الأولى بل نريد منها لغرض بحثنا هذا وسيلة لخلق اتجاه علمي صحيح وبيئة تتكون فيها لدى الطالب الرغبة فى الاشتغال العلمي والصفة الخلقية التي تلازم الاشتغال العلمي ان الجهاز الجامعي الذي يحقق ذلك يتكون من هيئات من الأساتذة يبلغون بعد سني التدريس والتتبع الطويلة مرتبة العلماء لهم مختبراتهم في

تلك العلوم يقومون فيها بالبحث كجزء من مهامهم الجامعية فيكون فى جو عملهم الجامعي ما يعطى الطلاب الذين يتخرجون على أيديهم قدراً من العلمية والصفات الخلقية اللازمة لها وشيئاً من التدريب انه الجو الذي يسود الدوائر العلمية من الجامعات العريقة فى البلاد المتقدمة ولا يخفى أن بلوغ هيئات التدريس الجامعي هذا المستوى من الناحية الواحدة وتزود الدوائر العلمية فى الجامعات بالمختبرات وبوسائل البحث العلمي من الناحية الثانية لايتم فى بدء تأسيس جامعة بل يستغرق زمناً غير قصير ومتى تم تكون الدراسة الجامعية فى العلوم الطبيعية سبيلاً إلى إعطاء الطالب الدروس الاولى فى البحث العلمي والى توجيهه الى اتخاذ الاشتغال العلمي مسلكاً له والعمل فى ميدان الخبرة الفنية

ومن السبل التي تؤدي الى اعداد العلماء والخبراء إقامة المعاهد والمؤسسات العلمية والفنية على أوسع نطاق ففي معاهد ومؤسسات كهذه يجد المتخرجون في الدراسات العلمية وسائل التدريب والتتبع ومجالاً لإنماء تخصصهم وتكوين خبرتهم في فنون الانتاج ومجالاً لدخولهم في أعمال البحث والاستقصاء العلميين كما يجدون فيها صلتهم بمصادر التقدم العلمي والفني من البلاد المتقدمة من الناحية الواحدة وصلتهم بمؤسسات الإنتاج فى بلادهم من الناحية الثانية فالبحوث العلمية البحتة التي تقوم بها عادة تلك المعاهد والمؤسسات البحوث التطبيقية التي تتناول حقول الانتاج العصري وكذلك الخدمات الفنية التي تقدمها تلك المؤسسات فى نطاق مناهجها وانظمها ـ هي السبيل إلى إنماء تخصصهم وخبرتهم

وهناك المجال الثالث من المجالات التي تتكون فيها هيئات العلماء والخبراء الفنيين وهو جهاز الانتاج نفسه فالمعامل والمزارع والمناجم مختبرات تكتسب فيها المرانة وينمى فيها التخصص العلمي وخاصة فى البلاد المتقدمة حيث يكون الإنتاج فى تطور مستمر تتجدد أساليبه بالبحث العلمي فى مختبرات تابعة لمؤسسات الانتاج أو بتطبيق نتائج البحوث التي تنشرها معاهده ومؤسساته .

ان جهاز الانتاج العصري عندنا ناشئ محدود فى سعته وبلادنا ما زالت فى دور الابتداء ولا يتعدى الانتاج فيها بضع صناعات تأسست فى السنين الأخيرة ومع ذلك فان هذا الجهاز الصغير يصلح لأن يكون مجالاً للتدريب أولاً ولانماء الخبرة والتخصص ثانياً

ولكي يكون الجهاز كذلك وجب ان يسير على خطط مبنية على التجدد والتقدم لا على الاكتفاء بحال مرضي من الناحية المادية وإذا سار على مثل هذه الخطط كان ميداناً فسيحاً لليد العلمية تكتسب المرانة فيه فى المراحل الأولى من تكونها ثم ترتفع فى سلم تخصصها وخبرتها فى مراحل أخرى وتكون بعدها قادرة على أن تعطيَ الجهاز نفسه أحدث أساليب الانتاج وفنونه وتستثمرَ خبرتها النامية فى رفع مستواه وفي البحث والاستقصاء فى مشاكله الفنية ـ ان ذلك شأن مؤسسات الانتاج فى البلاد المتقدمة وهو الى ذلك لايتعارض البتةَ وما يكون من اعتبارات فى إدارة الأعمال في تلك المؤسسات بل انه يزيد في قوة الانتاج ويعزز كفاءة الجهاز

ان جهاز الانتاج فى بلادنا اذا أخذ بهذا المبدأ يكون قد ساعد على تكوين ما يعرف فى البلاد المتقدمة بالاحتياطي من العلم والخبرة وهو من أثمن ما تملك تلك المجتمعاتُ المتقدمة ومن أنفع ما يملك الانتاج نفسه بنطاقه العام

ان الأجهزة الثلاثة وهي جهاز الدراسة الجامعية وجهاز البحوث العلمية والصناعية وجهاز الانتاج تكون بمجموعها مدرسة نعد فيها هيئات من العلماء والخبراء الفنيين

ان أجهزة كالتي أوضحنا عملها ليست وحدها كل ما يراد فى سبيل اعداد العلماء والفنيين فللموضوع نواح عامة بينا فيما تقدم من فقرات علاقتها بنشوء العلماء والفنيين ونجمل هنا بعض تلك النواحي فمن أبرزها أن يعمل العلماء والفنيون في معزل عن كل ما يكون فى بيئتهم مما يؤثر فى الجو العلمي الذي يعملون فيه وان يكون في ظروف العمل والخدمة ما يقيهم من ذلك وان تتبعَ في الحكم على عملهم وخلقهم المسلكي مبادىء تحول دون امتداد أثر العوامل الفردية والاجتماعية التي بيناها الى القواعد المسلكية التي تقوم عليها مناهج اعدادهم وتدريبهم وأنظمة العمل في محيطهم العلمي

ومن أهم تلك النواحي العامة أن تتوافر في البيئة مقاييس معنوية صحيحة كالتي تترك العلماء والفنيين في البلاد المتقدمة منزلتهم في مجتمعاتها وان تتوافر مقاييس مادية صحيحة كالتي يقاس بها التفرغ للعلم والخبرة الفنية بين المهن الحرة في تلك المجتمعات

وهناك مؤسسات عامة كالجمعيات العلمية ترعاها الهيئات الوطنية يجد فيها العلماء والباحثون

في المجتمعات المتقدمة بيئة لهم ومكانة يتبوأونها وهي تعزز بمجموعها كيانهم وتحلهم محلاً يعينهم على تحقيق رسالتهم

يجدر بي أن أؤكد قبل أن أنهي هذا البحث ان النواحي العامة من اعداد العلماء والفنيين في بلاد مبتدئة كبلادنا ـ ان هذه النواحي لا تقل أهمية في اعداد العلماء والفنيين عن الأجهزة التي يتم فيها ذلك الاعداد بل يمكن القول انها تفوقها أهمية وان سوية العالم ورجل الفن اللذين تنتهي اليهما تلك الجهود تتوقف الى مدى أبعد على توافر المقاييس العامة الصالحة منها على مناهج العمل في الدراسة الجامعية ومعاهد البحوث وجهاز الانتاج هذا إذا أردنا أن نقيس الأمور بمقياس البلاد المتقدمة ولا مناص لنا من ذلك

ان الذين يبلغون المراتب العليا من هذا المسلك هم ذوو المواهب والسجايا وهم في القلة وإذا بلغوا خلقاً مسلكياً سامياً فكانت سجيتهم عازلاً لهم عن عوامل البيئة كانوا في مصاف العلماء والباحثين وهؤلاء قلة في كل مجتمع

ان العوامل المساعدة في بلاد مبتدئة قليلة والعواملَ التي تحول دون السير على النحو الذي أسلفنا كثيرةٌ وبين هذه وتلك يسعى الفرد ما وسعه السعي

شيث نعمان

بعض مشاهداتي وانطباعاتي
عن الولايات المتحدة الامريكية[1]

بناء على الاتفاق بين وزارة المعارف والجهة الأمريكية وموافقة مجلس الوزراء ، تقرر سفري الى الولايات المتحدة الأمريكية ، للوقوف على أحوال الطلبة العراقيين ، فان فيها زهاء ٨٠٠ طالب يدرسون أنواع العلوم والفنون في أقطار تلك المملكة ، زهاء نصفهم يدرس على نفقة الحكومة العراقية ، والباقون يدرسون على نفقتهم الخاصة ؛ كذلك للتعرّف على الجامعات والكليات والمدارس المهنية والمعاهد العلمية على اختلاف مراحلها ومقاصدها وفي أثناء تجوالي في تلك البلاد الواسعة الأرجاء ، لفتت نظري أمورٌ كثيرةٌ سأتطرق لبعضها في هذا الحديث على أن ما أودُّ أن أبينه سلفاً هو أن طبيعة مهاجي والغاية التي توخيها من زيارتي ، جعلت مشاهداتي مقتصرة على أحسن ما في تلك البلاد من مؤسسات ، ونشأت انطباعاتي عنها من محادثتي مع أرقى الطبقات المثقفة من رؤساء جامعات وعمداء كليات ومديري معارف وأساتذة ومديري مدارس وطلبة ، أي أن اطلاعي كان منحصراً في النواحي العلمية والفنية ، تلك النواحي التي قامت عليها حضارةُ أمريكة وثقافتها ، وجعلتها مَراد طلاب العلم من أربع جهات المعمورة (وإذا كانت للحياة الأمريكية ناحية مرحة ، فان الفرصة كانت ضيقة أمامي لمعرفتها ، والقليل الذي شاهدته منها عرضاً لا يسوّغ حديثي عنها حديث المجرب الخبير)

تحركت من بغداد صباح اليوم الـ ٢٨ من نيسان ١٩٥٣ الى لندن ، فبلغتها مساء اليوم نفسه ، وبقيت فيها أربعة أيام زرت خلالها « باترسي بوليتكنك » ، وهي كلية اختصت بتدريس فروع الهندسة الصناعية يؤمها ٩٠٠ طالب نهاري و ١٨٠٠ طالب مسائي ويدرس الطالب النهاري ثلاثين ساعة في الأسبوع ، عشرةٌ منها دروس نظرية ، وعشرون للتدريب على « المكائن »

---

[1] محاضرة ألقيت في دار المجمع

وإنجاز التجارب فى المختبرات ، وعميدُها ـ ويدعى الدكتور وسب ـ رجل جمّ النشاط والذكاء ، وكان أهمّ ما قاله لي إن طلاب الشرق الأوسط قلما يميلون الى النواحي العملية التطبيقية من العلم ، ولا يعجبهم أن يمرنوا أيديهم على العمل ؛ ونصح ألا يرسل أحد لدرس أيّ فرع كان من فروع الهندسة الصناعية ما لم يتدرب أولاً فى أحد المعامل ، كمعمل السكك الحديد فى بغداد أو معامل شركة النفط أو أيّ معمل آخر مدةً تتراوح من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر ، فذلك مما يجعله أكثر استعداداً لمجابهة الدراسة الفنية فى انكلترة وأقوى على فهمها ، ويشعره بلذة العمل وشرفه وأثره في انتاج الثروة ورفع المستوى الاقتصادي للبلاد ، وان قراءة الكتب وحفظ النظريات والقوانين العلمية لا تكفي وحدها لتكوين الإنسان العامل المنتج اذا لم يقرنها بإعمال الفكر وإحكام التطبيق العملي

وفى مساء اليوم الثاني من مايس سافرت فى طائرة أمريكية مع خمسة وستين راكباً الى مدينة نيويورك ، فبلغناها سحر اليوم التالي وهذه الطائرة كالطائرة السابقة قطعة رائعة من الفن الهندسي وحسن الذوق وكمال التنظيم وقبل حركتها رحب بنا الربّان ، وقال : ستدلكم المضيفة على كيفية استعمال قميص النجاة دفعاً لكل الاحتمالات فقلت فى نفسي : إنه والله لفأل سيء أن نفتتح سفرتنا عبر الأطلنطيك بمثل هذا ونهضت المضيّفة ، فأفهمتنا كيفية استعمال القميص ، واعتذرت بأن القانون هو الذي يحتم ذلك ، وأكدت لنا أننا لن نضطر الى قطع الأطلنطيك سباحة الى أمريكة ! ولما حومت الطائرة فوق مدينة « نيويورك » ، كانت الغيوم تحتنا كأنها جبال من القطن المنفوش ، لا ثغرة فيها ولكن الطائرة اخترقتها ، ونزلت فى المكان المعد لها وكأنها تهبط على أجنحة الملائكة وكان المطار يعج بمئات الطائرات ما بين واقف وسائر وطائر ، فلا تكاد تمر دقيقة من الزمن دون أن تحط فيه طائرة أو تغادره أخرى وأول ما يلفت نظر القادم من مظاهر الحضارة الأمريكية ، فخامة المباني وسموقها ، وكثرة السيارات وجنونها ، والقوة الصناعية الهائلة التي يظهر طابعها فى كل شيء وفى كل مكان

بقيت فى « نيويورك » ثلاثة أيام ، زرت فيها البيت الأممي فى جامعة « كولومبيا » ، وقد انتثر فى أبهائه الطلاب والطالبات ، يتحدثون ويمرحون وزرت بناية هيأة الأمم ، ومنظرها

من الخارج أشبه بعلبة كبريت ضخمة ، وقانا الله شرها وشرارها اذا التهب الأفكار فيها وكانت احدى الصور المنقوشة على أحد جدران القاعة العامة موضع حديث بيني وبين الأصدقاء الذين تكرموا بدعوتي اليها ، ذلك أنها كانت من النوع « السريالي » ، ويلوح لي أن « السريالزم » فن من التصوير لايجيده الا مجانين الرسامين أو عباقرتهم ، وقد أحسنوا صنعاً بتصوير هذه اللوحة على جدار القاعة العامة التي يتمثل فيها جنون السياسة العالمية وللمشاهد لمثل هذه الصور أن يفسرها كما يروق خياله ، فقال أحدهم : إنها تمثل كُريات الدم فى جسم الانسان التى تنبري للدفاع اذا ما دخلت جرثومة فى الجسم ، وهو تفسير كما ترون يناسب المقام وكان تفسيري لها أنها ترمز الى « الأميبا » ذلك الحيوان المجهري المؤلف من خليّة واحدة ، الذي يقال إن الحياة بدأت به على سطح الأرض وقد رسمت هنا لتتذكر الانسان العظيم بحقارة أصله ، فلا تتطاول أمة على أخرى ولا فرد على آخر ، ولنقول للجبابرة : إن أسلحتكم ستفنيكم وتفني البشرية معكم ، فتعود الأرض كما كانت فى أول الخليقة خالية خاوية لتبدأ عليها الحياة بـ « الأميبا » ، ويقول علم « الجيولجيا » : إن الحيوانات التى سادت الأرض ، لضخامتها وقوتها فى عصور ما قبل التاريخ ، انقرضت بسبب هذه الضخامة والقوة بالذات ، فهل يعمل العقل البشري على إفناء الجنس البشري ؟ ذلك أمر سيكشفه المستقبل !

استغرقت رحلتي أربعة أشهر ، قطعت خلالها ما يزيد على عشرة آلاف ميل ، وزرت الكثير من الجامعات والمدارس المهنية والثانوية والابتدائية وبعض المكتبات العامة والجامعية وعدداً من المباني التذكارية ومعملين مهمين وهما معمل فورد للسيارات فى « ديترويت » ومعمل « سجائر جسترفيلد » فى « نورث كارولاينا » ولقد حاولت أن أكدس أكثر ما يمكن من مشاهدات فى هذا الزمن اليسير على أن ما رأيته قليل جداً بالقياس الى ما هو موجود ، فالولايات المتحدة تكاد تكون وحدها قارة عظيمة ، وليس فى وسع إنسان ما أن يشاهد حتى أهم ما فيها فى مثل هذا الزمن القصير ، وقد تكونت في نفسي انطباعات كثيرة يصعب عليّ أن أترجم عنها جميعاً بسبب ضيق الوقت ، على أن ما لايدرك كله لا يترك بعضه

في الوسع تسمية الشعب الأمريكي بأنه « كوكتيل » شعوب ، ذلك أنه مؤلف من

جميع أمم الأرض تقريباً ، وتتمثل فيه جميع الأشكال والألوان من الأسود الفاحم الى الأبيض الشفاف . ومع أن هذه الشعوب ليست ممثلة بما يتناسب وتعدادها خارج أمريكة ، الا أنها ممثلة بعددٍ ما ، قلّ أو كثر ، كما أن فيها أقواماً هم سكانها الأصليون ويدعون الهنود الحُمْر ، وهذه الأقوام تمازج بالتدريج وتتفاعل ليحصل منها شعب واحد منسجم متماسك ومع أن الجنسَ الأسودَ لا يزال فى عزلة أوشبه عزلة ، إلا أن القوانين الجديدة التي بدأت تشرعها بعض الولايات تحارب النعرات العرقية وتساوي بين البيض والسود وأعتقد أن ذلك سيسري مع الزمن الى بقية الولايات ، وربما حدث ذلك ببطء شديد ؛ لأن الانسان ـ حتى فى الولايات المتحدة ـ بطيء التطور فيما يتعلق بعقائده وعاداته الموروثة واذا كان من السهل على الفرد أو المجموع أن يتقبل مبتدعات الحضارة المادية ، لِما يرى فيها من فوائد محسوسة ، فهو عنيد فيما يتعلق بتحرير فكره من الآراء التي اصطلحت عليها الأجيال الماضية وان ثبت له بطلانها وكم قاست البشرية ولا تزال تقاسي من ويلات بسبب هذا العناد الفكري . على أن التميز العنصري بين البيض والسود فى أمريكة أمر مصيره الى الزوال عاجلاً أو آجلاً

ومع أن الأمريكيين لاينحدرون من أصل واحد ، إلا أنهم يعملون يداً واحدة فيما يتعلق بمصالح بلادهم والدفاع عنها ، بخلاف بعض الشعوب التي ربط بين أفرادها وأقطارها روابط أساسية لغوية ودينية وتأريخية واقتصادية ، ومع ذلك تجدها متفرقة أيادي سبأ أما الأمريكي ، فمهما كان لونه أو أصله ، فهو يعتز باستقلاله ويتباهى بجنسيته الأمريكية أو بكونه مواطناً أمريكياً وإنك لتجد العلم الأمريكي معلقاً على أبواب الفنادق وفى أماكن كثيرةٍ بمناسبة وبلا مناسبة ، كما تجد فى « واشنطن » مثلاً شارعاً يسمى « شارع الاستقلال » ، وآخر « شارع الدستور » ، ذلك عدا المباني الفخمة والنصب التذكارية الشاهقة والتماثيل العظيمة الرائعة لتخليد أبطال الحرية والاستقلال ، أولئك الذين أسسوا هذه الدولة وبنوا مجدها وصانوا وحدتها وكتب التاريخ تؤكد دائماً على سيرهم الملهمة وأفعالهم المجيدة

يعجب الأمريكي أن يذكرك دائماً بأنك فى بلد حر ، وهو يكرر عليك قوله « This is a free country » والحقيقة أن الحريات كافةً تمارس فى هذا البلد الا فيما

يتعلق بالمبدأ الشيوعي وانني أرى أن الولايات المتحدة لو فتحت الأبواب على مصراعيها أمام هذا المبدأ ، فهو لا يمكن أن يخطو خطوة واحدة موفقة الى داخلها ، ذلك أن الحالة السائدة فيها الآن لا تشابه بوجه من الوجوه حالة روسية القيصرية ، أو حالة الصين قبيل نشوب الثورة الشيوعية فيها فالشيوعية إنما تجد تربة خصبة في بلاد الفقر والجوع والاستغلال حيث تنمو وتترعرع ولكنها لا يمكن أن تنتشر في بلد يعيش عامله وفلاحه عيشة السادة المرفهين فبيت العامل والفلاح في المناطق التي زرتها ، منار بالكهرباء ومجهز بالماء النقي الحار والبارد مع تلفزيون أو راديو أو كليهما وسيارة تنتظره على الباب أو في « الكراج » وثلاجة ، ويملك بعضهم بالاضافة الى ذلك آلةً لغسل الملابس وأخرى لغسل الآنية ، وجلهم ان لم يكن كلهم مؤمن حياته وحياة أفراد أسرته ضد الطوارىء والمرض والبطالة والموت وغيرها ، والأجور وافرة ، ولو لا ذلك لما استطاعوا أن ينعموا بهذه العيشة المرفهة ، فمن مصلحة هؤلاء الناس الاحتفاظ بالوضع الراهن ولم نسمع أن بلداً آخر ضمن لأكثرية سكانه عيشة أفضل من هذه وأرفه أضف إلى ذلك أن القوم يكرهون « الدكتاتورية » وكل نوع من الحكم ينطوي على « الدكتاتورية » ، وهم لا يتسامحون بهذا الشأن في داخل بلادهم أبداً

رب سائل يقول : اذا كان الأمر كما ذكرت ، فلماذا إذن حرمت الشيوعية هناك ؟ ولماذا تكافح بعنف وشدة ؟ والجواب أن ذلك ليس مبنياً على احتمال اقبال الناس عليها ، بل حذراً مما يمكن أن يقوم به معتنقو المذهب الشيوعي على قلتهم من أعمال تدميرية عند وقوع حرب بين الجبهتين الشرقية والغربية وهو نفس المبدأ الذي سارت عليه روسية تجاه ألمانية النازية قبيل الحرب العالمية الأخيرة ، ولا تزال تسير عليه الآن تجاه الدول غير الشيوعية وبالرغم من هذا الانقسام العالمي الى معسكرين ، وجدت رجال التربية الأمريكيين يحاولون محاولة جدية أن يربوا أبناءهم لا على المواطنة الأمريكية ، بل على المواطنة العالمية كما صرّح لي بعضهم بذلك ففي الكثير من الكليات ـ حتى الهندسية والزراعية منها ـ يصرّون على تدريس تأريخ الحضارة لبيان ما قام به كل شعب من أعمال مشرفة في بنيانها ، كما يدرسون موضوعات اجتماعية أخرى لمعرفة العلاقات الإنسانية ، فهم على ما يلوح لي يستهدفون وحدة عالمية على وفق أسس جديدة .

ولديهم رجال منتشرون الآن فى جميع جهات العالم يدرسون وينقبون ، واذا ما عادوا ألفوا الكتب وألقوا المحاضرات عن مشاهداتهم وقد حضرت فى « أستن تكساس » نادياً « للروتاري » ، وكان المتحدث فيه قد زار الباكستان ، فاستعرض أوضاعها ومشكلاتها الداخلية والخارجية استعراض خبير

يمتاز الأمريكي بروحه المرحة ، وحبه للنكتة وقد يظهر لك ساذجاً يصدق كل ما تقوله والحقيقة أنه ثاقب الفكر بعيد النظر ، على أنه أميل الى تصديق ما يجهله اذا كان ضمن نطاق المعقول وهو رجل عملي ، يقبل على العمل ، ويمارسه بشوق ورغبة ، ويتباهى بصنع يديه رأيت سيداً أمريكياً ، وهو مهندس كهربائي ناجح ويعد ثرياً بالمقياس الأمريكي لا بمقياسنا فقط ، هذا الرجل وزوجه وأخو زوجه وهو مهندس معماري اشتغلوا وحدهم بإنشاء دار واسعة فى الريف ، ولم يشركوا معهم في العمل الذي استغرق إنشاؤه ثلاث سنوات أحداً وأترك لخيالكم ما يتقوله الناس فى بلادنا لو أن أحد « البيكات » أو « الأفندية » اشتغل هو وزوجه وأحد ذوي قرابته بانشاء دار له ، وقد يكون هذا « الأفندي » أو « البيك » فقيراً بالقياس الى هـذا الأمريكي الذي ذكرته كذلك رأيت أستاذاً جليل القدر عالي المكانة ، قد استحضر فى بيته ما يخطر بالبال وما لا يخطر من أدوات النجارة ليشتغل بها فى أوقات فراغه أو فى أيام عطلته ، وقد بدأ عمله بتسقيف غرفة النجارة نفسها ، وقال : إن هذه يدخرها لأيام تقاعده وفي البيوت التي دعيت اليها لم أجد خادماً أو طباخاً ، بل كانت جميع أعمال المنزل تقوم بها ربة البيت ، ويساعدها الزوج والأولاد وقـد وجدت القوم والحق يقال يعتنون بضيوفهم عناية فائقة (مما يدل على شيمة الـكرم عندهم ، أو عند من دعاني لضيافته على الأقل)

أما فى ميدان الاقتصاد ، فالأمريكي حرّ فى ممارسة أيّ عمل يشاء ضمن القانون ، وله أن يربح أرباحاً طائلة لا حدود لها ، على أن دخله اذا زاد على حد معين يبدأ بدفع ضريبة متصاعدة عنه تتجاوز فى بعض الأحوال ال ٩٠ ٪ من الدخل ، وهي ضريبة ثقيلة ، ولـكن قلما يستطيع الإفلات منها أحـــد ففي الوقت الذي يشجعون فيه الإبداع الذاتي والإقدام على العمل الحر والربح الطائل ، تراهم يعملون على المحافظة على التوازن الاقتصادي ، فيأخذون ممن

عندهم ليرفهوا عمن ليس عندهم بواسطة المشروعات العامة والمؤسسات المجانية ، والمال الذي يتبرع به كبار المتمولين لمشروعات خيرية يعفى من ضريبة الدخل المذكورة وقد ساق هذا المبدأ عدداً كبيراً من أصحاب الدخل العظيم أن يساهموا بمشروعات خيرية ضخمة يعود نفعها الى الناس عامة بمبالغ خيالية

في معظم الجامعات أبنية فخمة تحمل أسماء الذين تبرعوا بانشائها من أموالهم الخاصة ، ويصح مثل هذا القول عن المستشفيات والملاجىء ومراكز البحث العلمي ، بل إن قسماً من الحدائق العامة و « الباركات » تبرع بها ملاكوها خدمة لمدينتهم وترفيهاً عنها والولايات المتحدة الأمريكية ، بلاد صناعية لا نظير لها في العالم ولأضرب لكم مثالين من مشاهداتي : دخلت معمل « سجائر جستر فيلد » ، وهو من المعامل الحديثة ، فوجدت العامل فيه يتفرج أكثر مما يعمل ، ذلك أن العمل إنما تقوم به « المكائن » ، وهو يشرف عليها يشتغل في هذا المعمل ١٫٨٠٠ عامل ، فـ « ماكينة » تلف « السجائر » وتقصها وتتدفق هذه منها كما يتدفق الماء من حنفية دون انقطاع ، ثم تنتقل هذه « السجائر » بصورة « أوتوماتيكية » الى « ماكينة » أخرى تعبئها ، كل ٢٠ سجارة في علبة ، وتلصق عليها ورقة المكس ، ثم تقوم « مكائن » أخرى بوضعها في صناديق أكبر ، ثم تخرج من المعمل على شريط سيار ينقلها رأساً الى سيارات النقل ويكفي دليلاً على ضخامة إنتاج هذا المعمل أنه يدفع في كل يوم ما معدله مليون دولار مكساً للحكومة عن « السجائر » التي ينتجها

أما المعمل الثاني ، فهو معمل « فُورْدْ » في مدينة « ديترويت » ولفورد معامل في أماكن أخرى ولا شك أن معظمكم قد قرأ وصف هذا المعمل في مجلة أو كتاب ، ولكن الخبر ليس كالعيان ، إذ فيه من الآلات ما يدهش العقل فهذه المطرقة التي تفتت الصخر الحديدي يبلغ وزنها عشرين طناً ، وتلك « الماكينة » تقصّ الحديد كما يقص الطفل قطعة من الورق ، وثانية تغير هيأته وشكله كأنه قطعة من العجين وليس من الحديد ويُخرج هذا المعمل في كل يوم ٦٣٥ سيارة ، يبدأ بها من المعدن الخام حتى تدرج على عجلات أربع ويتبين لكم مدى « التصنيع » العظيم الذي بلغته هذه البلاد اذا علمتم أنها تشغل ٢٠/٠ من سطح الكرة الأرضية

وتؤلف ٧٪ من مجموع سكان الدنيا ، ولكنها تستعمل ٥٠ ٪ من مجموع المواد الأولية المستخرجة في العالم ومما يساعد على تقوية الصناعة وزيادة الانتاج ، العمل على تشجيع الابداع والاختراع وتحسين الأشياء ، فهم حكومة وشعباً يساهمون في بذل الأموال الطائلة للبحوث الصناعية والعلمية ، ولا تخلو جامعة محترمة أو شركة كبرى من مؤسسات تابعة لها متفرغة للبحث العلمي ، ذلك بالإضافة الى ما تجريه بعض الدوائر الحكومية المختصة من بحوث سرية وعلنية •

تذهب الى بعض المخازن فتجد الأبواب تفتح أمامك دون أن تمسها يد ، كأن الجن قد فتحها ، وقد تكون في غرفة فترى آلة طابعة تشتغل وتطبع دون أن يراقبها إنسان وهذه الآلة تسمى « التيلتايب » ، وهي تطبع الكلمات التي يطبعها شخص ما على آلة طابعة أخرى قد تبعد عنها مئات أو ألوفاً من الأميال ، وهي أحياناً تثقب شريطاً اذا وضعته في آلة « اللاينوتايب » صبت حروفه « أوتوماتيكياً » ورتبها بحيث تكون جاهزة للطبع

إن اختراع « التلفزيون » أثر في الاقبال على « السما » ولكن شركات « السما » لم تقف مكتوفة الأيدي ، فقد اخترعوا حديثاً نوعاً جديداً من « السما » سموه « السنراما » ، والمتفرج لا يشعر أن شريط الصور يمر من أمامه ، بل يشعر كأنه هو المتحرك ، وتتغير المناظر أمامه بسبب حركته هو كما يشعر راكب السيارة أو الطيارة أو السفينة وهذا الاختراع لايزال في أولى مراحله ، فكيف به اذا تكامل ؟ والحقيقة أنك حيثما سرت وأنى نظرت ، وجدت علائم التجدد والابداع والتحسين ، فناطحات السحاب ابداع في فن البناء ، والطرق التي لا تتقاطع على مستوى واحد ابداع في فن انشاء الطرق وتنظيم السير ولك أن تقول مثل ذلك عن الأثاث البيتية والأقمشة والملابس وغيرها

ومن أعجب ما شاهدته ، كيفية نقل الكتب في مكتبة الكونكرس تتألف هذه المكتبة من بنايتين عظيمتين تضمان ما يزيد على ١٢ مليون كتاب ، وتصل بين البنايتين أنابيب معدنية ضخمة تمتد في أقبية تحت الأرض ، وتنقل الكتب من بناء الى آخر ضمن هذه الأنابيب وبقوة ضغط الهواء فتصل كلمح البصر ، ولولا ذلك لاستحالت تلبية طلبات الألوف من القراء والواقع أن هذه الاختراعات والبحوث العلمية التطبيقية ، أدت الى ازدياد الرفاه وارتفاع مستوى

المعيشة ، فقد توصلوا مثلاً بنتيجة البحث العلمي أن يولدوا أبقاراً تحلب الواحدة منها معدل ١٠٠ رطل (باوند) يومياً ، وتغلّ في السنة زهاء ٦٠٠ رطل من الزبد ، كذلك توصلوا بطريقة التغذية الخاصة أن يجعلوا الثور يزن وهو في عمر سنتين ما يزنه اذا بلغ أربع سنوات من العمر بالتغذية الاعتيادية أما الدجاج ، فيجري تفريخه بالأفران الكهربائية وقد أخبرني أحد المشتغلين أنه ينتج في السنة ثلاثة أرباع مليون دجاجة ولا يسرح الفرخ قبل تلقيحه ضد أمراض الدجاج الوافدة ، ويُعلّق على جناح كل فرخ تأريخ ميلاده والنوع الذي ينتمي اليه

أما في ميدان الزراعة ، فحرث الأرض ، وزرع البذور ، والتسميدُ ، والسقيُ ، والحصادُ ، والتصفيةُ ، والطحنُ ، والخبزُ ، كل ذلك يجري بقوة « الماكينة » أما الرز ، فيزرع على مرحلة واحدة ، ويبذر بواسطة طائرة « الهليوكوبتر » ، وأماكن زرعه ليست موبوءة بـ « الملاريا » كمناطق زراعة الشلب في العراق وقد رجوت من أحد طلابنا الذين يدرسون الزراعة في كلية ليست بعيدة عن هذه المناطق أن يكتب أطروحته عن زراعة الشلب ، لعله اذا عاد يتمكنُ من خدمة بلاده بتغيير طريقة زرعه ، فينقذ الآلاف من الناس من الأوبئة والأمراض ومن الأعمال الشاقة المؤبدة

بمثل هذه التجارب وبمثل هذه الوسائل ، أمكنهم أن يوفروا للسكان الرفاه والغذاء الكامل ، وأن يقلصوا عدد الفلاحين ، فتزداد الأيدي العاملة في الحقول الصناعية

* * *

لا بد لي فى حديثي أن أتطرق الى أمور ثلاثة :

أولها ، تقصير العرب في الدعاية لأنفسهم

وثانيها ، نبذة عن نظام التعليم ، وأهمية التعليم الجامعي

وثالثها ، حالة الطلبة العراقيين هناك

ومع أن كلاً من هذه الأمور يتطلب بحد ذاته أكثر من حديث واحد ، فسأختصر الكلام ما وسعني ذلك

(١) إن البلاد العربية ونهضتها الحديثة وحقّها فى الحياة وكفاحها لنيل مكانتها الطبيعية

بين الأمم المستقلة ، مجهول لدى الغالبية العظمى من الأمريكيين ، حتى الطبقة المثقفة منهم والتقصير إنما يقع على عاتق العرب أنفسهم وأرى أن يتلافى ذلك بأن تقوم بعض الدول العربية أو الجامعة العربية بالوسائل الآتية :

(أ) أن توضع كتب باللغة الانكليزية عن البلاد العربية ، وأن تُهدى هذه الكتب الى مكتبات الجامعات والكليات والمؤسسات التي تعنى بالشرق الأوسط والمكتبات العامة والمتاحف ، فالكتب أخلد على الزمن من المقالات التي تكتب فى الجرائد اليومية ، كما أنها مرجع للباحثين والمؤلفين يثقون به أكثر من ثقتهم بالمقالات العابرة

إن معظم ما ألف من كتب باللغة الانكليزية عن البلاد العربية إنما كتب بأقلام أجنبية ، وما أندر ما كتب بأيد عربية ! والحقيقة أن ما ألفه الغربيون عن العرب من كتب فى العصور المتأخرة يزيد كثيراً عما كتبه العرب عن أنفسهم حتى بلغتهم ، وأكثر من ذلك أصبحت مؤلفاتهم مراجع المؤلفين العرب أنفسهم ! ولا حجة لنا الآن بعد أن ازدادت الطبقة المثقفة الواعية ، فمن الواجب أن نعرف أنفسنا للغرب بلغات الغرب ، إذ أن للغرب تأثيراً عظيماً على سياسة العالم شئنا أو أبينا ، فلديه القوى « الميكانيكية » ولديه السلاح ولديه العلم ولا يستطيع الايمان بعدالة قضايانا وكتابة المقالات النارية ونظمُ الشعر وحدها ايصالنا الى حقوقنا المشروعة ، بل علينا بالإضافة الى ايماننا ومقالاتنا وأشعارنا أن نعمل بصمت وهدوء لاقتباس هذه القوى « الميكانيكية » الهائلة والسلاح والعلم كما فعلت اليابان ، فاذ ذاك فقط يكون لنا وزن ثقيل فى السياسة العالمية وإننا حتى لو بلغنا هذه المرحلة ، فلا غنى لنا عن تعريف أنفسنا للعالم خارج بلادنا ، وألا نترك ذلك العالم يعمل وحده على فهمنا ووضع الكتب عنا ، فقد يسيء فهم الكثير مما نعتز به من عادات وتقاليد لها قيمها الانسانية ، ليس بالقياس الينا وحدنا ، بل بالقياس الى المجتمع البشري عامة ، وفى الوسع اذ ذاك أن نسير فى هذا العالم بشكل مشرف

(ب) أن توضع « أفلام » سينمائية ناطقة ملونة عن نهضة العرب وتأريخهم وخدماتهم الجليلة للحضارة وغير ذلك مما تقتضيه المصلحة ، وأن توزع هذه الأفلام على السفارات والمفوضيات كما يبعث بها الى الجامعات التي فيها طلاب من العرب ، لتعرض فى المناسبات التي تستدعي ذلك ،

وهذا العمل فضلاً عما فيه من دعاية حسنة ، يربط الطلبة ببلادهم ، ويوثق صلتهم بها

(٣) لا يوجد نظام موحد لمراحل التعليم فى الولايات المتحدة ، فلكل ولاية تنظيماتها الخاصة ، ولكل مدرسة طريقتها فى تنظيم مناهجها وإقرار الكتب التي ترغب فى تدريسها ، وتقوم الحكومة المركزية بجمع المعلومات التربويه وما يستجد من آراء وتجارب فى التعليم وأساليبه ، وبوزعها على الولايات جميعاً للاستفادة منها وبناهز عدد الطلبة فى مراحل التعليم كافة ٣١ مليوناً أما تكاليفه فتبلغ زهاء ٧٠٠٠ر٧ مليون دولار تتعاون على دفعها الحكومة المركزية وحكومات الولايات والادارات المحلية والأهلون مما يمنحونه من أجور وتبرعات أو أوقاف دائمة

ويعد حق الطفل في التعلم من الحقوق الطبيعية التي لا مناص منها ، ويجب أن تتظافر جميع القوى على تهيئة الوسائل الضامنة لتعليم جميع الأطفال بصرف النظر عن مكانة أسرهم الاقتصادية والاجتماعية ومدة التعليم الالزامي تتراوح من ثماني سنوات الى اثنتي عشرة سنة على حسب التشريع المعمول به فى كل ولاية ، وفى معظمها مدته تسع سنوات ، ومعدل كلفة الطالب السنوية فى هذه المرحلة تناهز ٢٠٠ دولار ، أي ما يزيد على ال ٧٠ ديناراً ، ولا يدخل فى هذا الحساب تكاليف المنشآت الثابتة كالمباني الدراسية والأقسام الداخلية والمكتبات والمختبرات وساحات الألعاب والأثاث يقابل ذلك فى العراق ما لا يزيد عن الخمسة عشر ديناراً ، ومثل هذا الرخص يؤدي الى النتائج الرخيصة التي نشكو منها ومدة الدراسة الابتدائية ست سنوات أو ثماني سنوات وفى الحالة الأولى تكون مدة الدراسة الثانوية ست سنوات تعطى على مرحلة واحدة ، وأحياناً تقسم الى مرحلتين طول كل منها ثلاث سنوات ، وفى الحالة الثانية تكون مدة الدراسة الثانوية أربع سنوات تعطى على مرحلة واحدة ، أي أن مجموع الدراستين الابتدائية والثانوية يبلغ اثني عشر عاماً

وقد لاحظت فى المدارس الابتدائية التي زرتها أنهم يقسمون فترة الصباح الى دورتين ، أمد كل منها ساعة ونصف ، وبعد الظهر دورة ثالثة مثلها ، والمعلمة لا تتقيد بتدريس موضوع واحد

خلال الدورة ، بل قد تدرس مجموعة من الموضوعات المترابطة ويتوخون فى التدريس الابتدائي مساعدة الطفل على النمو بجسم صحيح وعقل سليم وعواطف متزنة ، وتوجيهه ، ليكون قادراً على الاستفادة الفعالة من وسائل التعلم كالقراءة والكتابة والتفكير والتحليل ، وقادراً على حسن المعاشرة والطاقة على فهم مشكلاته الشخصية والاجتماعية ومعالجتها مع تنمية « أولاعه » الابداعية والتقدم به لفهم محيطه الطبيعي والاجتماعي ، وليفهم أخيراً معنى « الديمقراطيـة » كما يطبق في مختلف نواحي الحياة

أما الدراسة الثانوية ، فتستهدف بالاضافة الى ذلك معرفة الطرق العلمية ، وأهمية العلم فى الحياة ، والتدرب العملي ، والاستعداد للحصول على عمل فى المجتمع والاحتفاظ به ، مع حسن تقدير للقيم الخلقية وللجمال الطبيعي والفني ، وأن يهيأ ليكون عضواً نافعاً في الأسرة

وقد تدهشون اذا قلت لكم : إن مجموع الموضوعات النظرية والعملية التى تعطى فى الثانويات ، تبلغ ٢٧٤ موضوعاً مختلفاً ، يختار الطالب منها ما يروقه ومن البديهي أن هـــذه المجموعة لا تدرس فى مدرسة واحدة ، بل هي موزعة بين جميع المدارس الثانوية ، تدرس كل منها ما يناسب حاجات محيطها ، على أنه فى منهج كل طالب ما لا يتجاوز ٥٠ ٪ من الدروس الاجبارية ، على أن يختار الباقي بحسب قابلياته وبارشاد مدرسيه

والعناية بالتعليم المهني عظيمه ؛ لأن الحاجة اليه شديدة ، ولأنه يفتح أبواب العمل والكسب أمام الشباب وقد وجدت الانسجام وثيقاً بين المدرسة وحاجات المجتمع المحيط بها ، وفى المدارس الكبرى من هذا النوع من « المكائن » والعُدد ووسائل التدريب ما يبلغ ثمنه ملايين من الدولارات ، وبعض الشركات الصناعيـة الكبرى تهدي أحدث أنواع « المكائن » ليتدرب الطلاب عليها لتستخدمهم بعد ذلك عندها ، ولرجال الأعمال دخل كبير فى تنظيم مناهج هذه المدارس ، فهم إن لم يكونوا من ضمن الهيأة المشرفة فلا أقل من أن يزوروا المدرسـة ويعرّفوا المدير وهيأة التدريس والتدريب بنوع العامل الذي يريدونه ، وهم يفاوضون الطلبة الذين سيتخرجون للعمل عندهم ولا يعين للتدريس فى هذه المدارس إلا من تخرج فى مدرسة للفنون الصناعية بدرجة B. A. ثم مارس العمل بنجاح فى أحد المعامل مدةً لا تقل عن أربع سنوات

على أن الكثير من هؤلاء يفضلون البقاء في المعامل ، لما يدرّه عليهم ذلك من أجر وافر . ويشتغلون بالتدريس كعمل إضافي يتقاضون عليه أجراً آخر ففي زيارتي لإحدى المدارس، وجدت صفوف الكهرباء « والميكانيك » و « الألكترونكس » ، وهي التي تعلم « الراديو » و « الرادار » وأضرابها ، فارغة ، وقيل لي : إن الموظف المسؤول عن التدريس لا يحضر صباحاً ، لأنه يشتغل في أحد المعامل ، مما اضطرهم الى جعل الدروس مسائية بسبب ندرة المختصين القديرين في مثل هذه الفروع وشدة الاقبال عليهم وهذه المدارس تقبل الأعمال الخارجية وخاصةً ما يخرج عن المألوف منها فتشحيم السيارات مثلاً أمر سهل ، في وسع الطالب أن يتعلمه أنى شاء أما السيارة التي أصابها عطب كبير أو خلل في أجزائها الداخلية الحساسة ، فأمر لا يحدث كل يوم وهذا النوع من العمل هو الذي يفضلونه وما يزيد على نصف طلبة المدارس الثانوية ، يقبلون على دراسة المهن الصناعية والزراعية والتجارية والفنون المنزلية

وتبدأ مرحلة التعليم العالي بعد انهاء الطالب من دراسة اثنتي عشرة سنة في التعليمين الابتدائي والثانوي ، ويبلغ عدد المعاهد العالية في الولايات المتحدة زهاء ١٫٨٦٠ معهداً معترفاً به ، تضم زهاء ٣ ملايين طالب وطالبة ، والدراسة في معظمها مختلطة بين البنين والبنات ، ويصل عدد الطلاب في بعضها الى حدود ٥٠ ألف طالب ، ونسبة عدد الطلبة في المعاهد العالية الى مجموع السكان تقرب من ٢ ٪ أما في العراق فهي ١ في الألف ، أي أن عدد طلبة هذه المعاهد في العراق يجب أن يكون ٢٠ ضعفاً لتصبح نسبتهم ٢ ٪ كالنسبة في الولايات المتحدة

وتعامل المعاهد العالية بسخاء عظيم ، وان شكا بعضها من قلة المال فهذه « جامعة بيركلي » مثلاً ، تبلغ ميزانيتها ٥٢ مليون دولار لتسيير دفة الأعمال فقط ، مع ثمانية ملايين دولار أخرى لإنشاء بعض المباني ويبلغ عدد طلابها ٣٤ ألف طالب وعلى ذلك فان كلفة الطالب الواحد تتجاوز ١٥٠٠ دولار في السنة أي ما يزيد ٥٠٠ دينار ، ولا تدخل في هذا الحساب كلفة الأموال غير المنقولة التي شيدتها الجامعة أو تقوم بتشييدها

واليكم نموذجاً آخر : « جامعة ميريلاند » التي تبلغ ميزانيتها ٢٠ مليون و ٤٠ ألف دولار ، وعدد طلبتها اثنا عشر ألفاً بين مسائي ونهاري ، أي أن كلفة الطالب الواحد تتجاوز ١٫٧٠٠

دولار في السـنة ، وتبلغ مسـاحة أرضها وحقولها زهاء ١٫٧٠٠ فدان ، أي زهاء ثلاثة آلاف مشارة وكالة الزراعة في هذه الجامعة تشرف على الأعمال الزراعية في جميع ولاية « ميريلاند » ، أي أنها تقوم مقام وزارة الزراعة عندنا ، فهي المسؤولة عن تأسيس الحقول التجريبية وارشـاد الفلاحين وتنظيم شؤون الزراعة ، وهي ناجحة في مهمتها أكثر من نجاح بعض الدول التي لها وزارة زراعة .

وفي المراحل الأولى من التعليم الجامعي ، تختلف مناهج التدريس في الجامعات الانكليزية عن مثيلاتها في الجامعات الأمريكية ففي انكلترة يؤكدون في هذه المرحلة على المواد التي تقع ضمن الاختصاص الذي يرغب الطالب في دراسـته فاذا أراد الطالب أن يتخصص بأحد فروع الهندسة أو الزراعة أو الـكيمياء ، فان المادة الدراسـية تكون جميعاً ذات علاقة مباشرة بالاختصاص ، أي أنها جزء منه أو أنها ضرورية لفهمه أما في الولايات المتحدة ، فعلى الطالب في هذه المرحلة أن يدرس عدداً من الموضوعات الاجتماعية كتأريخ الحضارة أو الاقتصاد أو غيره أحياناً وإن لم يكن لهذا كله علاقة باختصاصه ، ويرون أن ذلك يوسع أفق الطالب الاجتماعي ، ويسهل اندماجه في المجتمع ، ويجعلُ منه مواطناً أوسـعَ معرفة بعلاقات البشر وأقدر على السلوك فيها

وتمتاز معاهد التعليم العالي في الولايات المتحدة وفي أوربة أيضـاً بعنايتها الخاصة بأمرين : الأول نشر المعارف الموثقة عن الأمور التي يحتاجها المحيط ، وبالتعاون مع ذوي الخبرة والرأي من أصحاب الأعمال فيه والآخر تأكيدها ــ في المراحـل الأخيرة من التعليم العـالي ــ على البحث العلمي ، والكشف عن حقائق جديدة مجهولة واستخدامها إن أمكن ، أو تثبيتها ليستفيد منها الباحثون الآخرون

وتتجلى روح الخدمة الصادقة والانسـانية العاملة الشريفة لدى هؤلاء العلماء والباحثين ، وكثير منهم ينزلون عن مصالحهم الخاصة وعن المنافع التي يمكن أن يجنوهـا لمصلحة المجموع وقد رأيت بعضهم يجلس الى ما بعدَ منتصف الليل وقيل لي إنهم يستمرون أحياناً الى الصبح ، يترقبونَ نتيجة تجربة يقومون بها

والحقيقة أن حضارة أمريكة العظيمة إنما تقوم على أكتاف هؤلاء وبعقولهم الجبارة وصبرهم وجلدهم على العمل فعالم واحد قد يؤدي للحضارة من الخدمات ما يعجز عنه ألوف من البشر ، واكتشاف مهم واحد قـد يقوم مقام الجيوش الجرارة ومن المؤسف امكان استغلال اكتشافات هـذه العقول النيرة في التطاحن السياسي للدمار بدلاً من أن تكون عاملاً مرفهاً للانسـانية بأسرها

لا يوجد نظام موحد للجامعات ، بل هي كلها حرّة في الخطة التي تضعها والمناهج التي تطبقها ، والكليات الحكومية وتسمى State colleges or uni أو Sand grant college or uni ، وتعنى كلها بالموضوعات والبحوث الهندسية والزراعية على اختلاف أنواعها من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، ولـكنها تؤكد كثيراً على الناحية الأخيرة ومعظمها تصل الدراسة فيه الى مرحلة « الدكتوراه »

وفى مرحلة ما بعد الـ B . A ، وتسمى graduate Study أو Post gra. study ، تختلف الجامعات قوة وضعفاً فى موضوع ما من الموضوعات أو فى دائرة من الدوائر العلمية بحسب قوة الأساتذة القائمين على التدريس فيها وضعفهم ، فجامعة « هرفرد » مثلاً اشهرت بدراسـة القانون ، ذلك لأنها تختار أحسن الأساتذة ولا تبخل فى سبيل ذلك بشيء ، وجامعات وكليات أخرى اشهرت بعنايتها بالزراعة أو الهندسة أو التجارة أو غيرهـا ، وقليل عـدد الجامعات التي اشهرت بمعظم هذه النواحي فى وقت واحد

وفى جميع الكليات والجامعات التي زرتها ، وجدت المختبرات غنيةً جداً بالآلات و « المكائن » والمواد ، وبعضها مصنوع فى الجامعة نفسها من قبل الطلاب ، ذلك عدا ما يأتي عن طريق التبرعات أو من الميزانية السخية .

(٣) ويسرني بهذه المناسبة أن أبين أن حالة الطلبة العراقيين هناك جيدة للغاية ، فالقوم هناك يعتنون بالغريب ، وفى كل جامعة زرتها وجدت أستاذاً متفرغاً لإرشاد الطلبة الأجانب ونصحهم وحل مشكلاتهم وتوجيههم الى ما فيه الخير لأنفسهم وبلادهم ومعظم الطلبـة ناجحون وقد تمـكن القسم الأعظم منهم أن يوفق نفسه للمحيط الجديد واذا تذكرنا أن عدد الطلبـة يناهز

الـ ٨٠٠ ، وجب ألا نستكثر وقوع بعض الحوادث الخارجة عن المألوف

ويمكن إرجاع مشكلات الطلبة الى أمرين :

الأول ـ أن معظم من أرسل من الطلبة حتى الآن ، كان من خريجي المدارس الثانوية ، لم يكمل بعد نضجه النفسي والعاطفي والطفرة بمثل هؤلاء من محيط بلادهم الى محيط آخر يختلف كل الاختلاف بطبائعه وعاداته وأساليب حياته ، يؤدي أحياناً الى ضرر مادي أو معنوي. فبعضهم مثلاً لا يعرف كيف يتصرف تصرفاً حكيماً برواتبه ، فيستدين ، ثم يماطل في الدين ، وبعضهم يقع فى مآزق عاطفية ويتمنى لو كان فى وسعه أن يعالجها على غير الأسلوب الذي تعالج به الأمور هناك وقد أخبرت أن اثنين حاولا الغش فى الامتحان ، ولكنهما بعد ذلك تابا وعملا صالحاً وروى لي أستاذ أن أحد الطلبة كان يبصق حيثما يروقه ، ولم يترك هذه العادة الا بعد أن رفض الطلبة الآخرون قبوله فى غرفتهم وقد تبين لي أنه من الضروري أن يعطى مثل هؤلاء الطلبة دروساً فى أساليب الحياة الصالحة قبل تسفيرهم ، أو أن يقتصر ارسال البعثات على خريجي المعاهد العالية

الآخر ـ جهل اللغة الانكليزية ، فمستوى دراسة هذه اللغة فى ثانوياتنا لا يكفي لمتابعة دروس جامعية مع طلاب لغتهم البيتيه هي اللغة الانكليزية ، فضلاً عن أن الطالب الأمريكي يدرس اثنتى عشرة سنة قبل التحاقه بالجامعة ، وطالبنا يدرس احدى عشرة سنة فقط ، وكل ذلك مما يجعل عملية الدرس وفهم المحاضرات شاقة قد ينجم عنها إرهاق فكري وخاصة فى المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية وهذا مما يدعو الى تدريس بعض موضوعات الدراسة الثانوية باللغة الإنكليزية بالاضافة الى تدريسها كافة ، وذلك فى أثناء الدورة التي أشرت اليها

ويتحلى الأساتذة بروح التعاون والمساعدة للطالب الأجنبي ، فالذي يتأخر أهله عن إرسال رواتبه فى الوقت المعين يقرضونه أحياناً شيئاً من المال لتدبير أمور معاشه ريثما تصل اليه رواتبه ومع أنه لا يسمح لأجنبي بالعمل فى المعامل الا بأذن خاص ، تجد عدداً من الطلبة الأجانب يشتغلون فى المعامل والمؤسسات الأخرى ، وقد نالوا ذلك بمعاونة أساتذتهم وفى الأحوال التي اطلعت عليها ، كانت الأجور كافية ليقوم الطالب بأود نفسه ودفع نفقات دراسته ، على أن

الطالب الذي يدرس على هذه الطريقة يحتاج الى وقت أطول لإنجاز تحصيله ولكنه على كل حال يكتسب خبرة ومراناً اذا كان العمل ينسجم وما يتخصص به ، أو على الأقل يجعله يدرك أن العمل هو الطريق الشريف للحصول على المال وطلابنا مع استثناءات قليلة يبذلون جهدهم للاستفادة من محيطهم العلمي والعملي ، وأتوقع منهم كل خير للبلاد عند عودتهم بشرط أن يتجنبوا الغرور والاعتقاد بأنهم أصبحوا أنصاف آلهة ، وعليهم أن يتذكروا دائماً بأنهم درسوا على نفقة هذه الأمة حتى من ذهب منهم على حسابه الخاص ، وأنهم تعلموا ليعودوا خداماً لقومهم وبلادهم ، لا سادة متحكمين ، وألاّ يستخفوا بآراء الفضلاء الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة النظامية ، فقد يوجد بين هؤلاء من يبزّهم في أصالة الرأي وسعة الخبرة وقوة الإيمان والقدرة على العمل النافع والاستجابة للتضحية . فليس كل الذين لا يحملون الشهادات العالية قوماً لا يفقهون ، وليس كل من حمل شهادة عالية صار من المنزهين الذين لا يخطئون ، بل ان مجرد الحصول على الشهادة فيه ضرر كبير اذا عقبه خمول فكري وكسل فى الانتاج العلمي والعملي ، إذ تصبح الشهادة إذ ذاك لا الكفاية والخلق اللتين هي السلاح الذي يشهره صاحبه بوجه المجتمع وعليهم أن يدركوا أن الشهادة مهما كانت درجتها إنما هي مفتاح للدخول فى معترك الحياة ، وأن تحصيل العلم واستخدامه لفائدة المجموع عملية تستمر طوال العمر ، ولكنها تبتدىء بإنجاز الدراسة فى المدرسة التي هيأته بعض الشيء لمجابهة الحياة وعليهم فضلاً عن ذلك أن يتحلوا بروح التعاون والعمل الجدّي المجدي الصامت ، فلا فائدة ترجى من كثرة الكلام اذا لم يصحبه عمل مثمر نافع وفى هذه البلاد يجب ألّا نكتفي بالشكوى من فساد الأحوال ومن حالة التأخر فى البلاد ، بل يجب أن نتعاون على إدخال الصناعة وانشاء المعامل وجعل الزراعة على أسس ميكانيكية فهذه هي التي ترفع مستوى البلاد المعاشي وترفه سكانها وانني أرجو لهم ولكم وللجميع التوفيق الالٓهي لخدمة هذا الوطن خدمة صادقة ، كل ضمن نطاق عمله ، وبقدر ما تجود به مواهبه ؟

محيي الدين يوسف

معجم المصطلحات العلمية (1)

المجمع والمصطلحات

قلت في المجلد الثاني الصادر فى عام ١٩٥٢ م من هذه المجلة : إن من أعمال المجمع بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها ، وتوجيه جهوده ونشاطه إلى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق ، فحاجة الناس إلى المصطلحات اليوم شديدة ، وطلابها كثير

وقد شرحت بإيجاز أعمال المجمع فى هذا الباب ، وأشرت الى اللجان التي ألفت لدراسة المصطلحات ، والى الدوائر التي أرسلت اليه ما لديها من مصطلحات علمية لوضع ما يقابلها في العربية ، والى الجلسات التيعقدها مجلس المجمع لدرس المصطلحات التي بلغت عدتها « ١٫٧٣٣ » مصطلحاً

وطريقة المجمع فى دراسة المصطلحات واقرارها أو وضعها ، هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه فى لغة الاختصاص ، كأن يستعرض حده وتعريفه عند المتخصصين أو فى الكتب الخاصة ويتعرف أصله ونشأته ، ثم يرجع الى رأي المتخصصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة له ، ثم يستعرض ما ورد فى الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له ، فإذا وقع على كلمة صالحة مؤدية للمعنى الاصطلاحي ، وآنس فيها الرشاقة والسلاسة ، عقد رأيه وبت فى الأمر على أن من عادة المجمع ألا يتخذ قراراً حاسماً فى مصطلحٍ ما ، إلا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه ، فلعل لها اجتهاداً فيه أصوب من اجتهاده وأقوم ، أو لعل لها كلمة أصح وأحكم ثم هو حريص كل الحرص على ألا ينفرد برأي ، ولا يقر قراراً قد يخرجه عن الإجماع والوحدة وصفاق العلماء من أبناء هذه الأمة ، لتكون هذه المصطلحات سبباً من أسباب جمع الشمل والتوحيد وهو لذلك يعمد الى محاضر المجمع اللغوي فى القاهرة ومجلته ، والى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، والى الكتب والمجلات التي تعنى بالمصطلحات ،

---

(١) أنظر المجلد الثاني (ص ٣١١ ـ ٣٢٧)

للوقوف على رأيها فى كل مصطلح قبل اتخاذ قرار ما ، لـكيلا تتعدد القرارات فتنتفي الفائدة من وضعها ولزيادة فى الاحتياط والأخذ بالتأني والتأني ، قرر : ألا يثبت مصطلحاً إلا بعد مرور ستة أشهر على نشره ليتسنى له دراسة الآراء التي تبدى فى شأنه ، وفى ضوئها يقرر ما يراه صالحاً للاستعمال

فقرارات المجمع اذن ، فى الزمن الحاضر ، قرارات رجيح ، ولن تكون نهائيـة إلا بعد مضي المدّة التي حددها للوقوف على ما يرد عليـه فى أثنائها وهو لذلك يرجو من المعنيين بالمصطلحات فى العراق وفى البلاد العربية ومن المستشرقين التعاون معه فى هذا الباب ، بارسال آرائهم فيما ينشره فى مجلته من مصطلحات وبارسال ما عندهم من علم عن مصطلحات جديدة غير منشورة يراد وضع حد لها ومقابل وهو على ما أعلم حريص كل الحرص على نشر كل ما يرد عليه من تعليق ورأي ونقد فى موضعه ومكانه فالعلم نتيجة تعاون واجتهاد وليس في الـكون عالم لايحتاج إلى علم غيره ، وفوق كل ذي علم عليم

* * *

وبعد ، فهذه قائمة جديدة بمصطلحات درسها المجمع وفرغ منهـــا ، منذ أقرها فى جلسته الثالثـة المنعقدة فى ٢٥/١٠/١٩٥٢ ، فما بعدها ، استخرجها من محاضر جلساته ، ورتبها على الأبجدية « اللاطينية » ، لا على تواريخ الإقرار ، ليكون من السهل الرجوع اليها

المصطلحات العلمية التي وضعها المجمع (1)

كحول مطلق	Absolute alcohol	فاعلية	Activity
امتصاص	Absorption	لاصوق	Adhesive
حامض	Acid	تهوية	Aeration
فعّال	Active	مدى الطُّفُوّ	Afflux
فحم فعّال	Active Charcoal	اتفاق	Agreement
إفعال	Activate	رقابة الجوّ	Air Control
فحم مفعل	Activated Charcoal	هوائيات	Airials

(١) تابع المنشور منها في المجلد الثاني من هذه المجلة

English	عربي
Airworthiness	الجدارة الجوّية
Air Lock	دِسام الهواء
Air Sealed	مختوم الهواء
Air Vent	مَصْرِفُ الهواء
Albuminoid	كالزلال
Alcoholysis	كحولة
To Alcoholyse	كَحُول
Alicyclic	سَلحَقيّة
Aligning of track	تقويم الخط
Alignment	اتجاه
Alignment of track	اتجاه الخط
Alignment of wheel	اتجاه العجلات
Aliphatic Compounds	مركبات سلسلية
Alkali	القلوي
Alkabinisation	الإقلاء
Alkaloid	كالقالي
Alluvial	غِرْيَنيّ
Alpha Iron	الحديد الألفي
Angle Dozer	مِقلَعَة مُتَذَبْذِبَة
Angle of friction	زاوية الاحتكاك
Angle of Repose	زاوية الاستقرار
Apron	مجثم ، أو إزار

أقر استعمال « المجثم » لهذا المصطلح في الطيران ، و « إزار » في مصطلحات الري

English	عربي
Approach Control	رقابة الدنوّ
Aqueduct	عبّارة

English	عربي
Arch	عقد
Archdam	سدّ مقوّس
Arid Lands	أرض جُرُز
Artesian Well	بئر أرتوازية
Atmospheric Pressure	ضغط جوّي
Automatic gate	رتاج متحرك
Auto Patrol Roller	مُدَرِّجة متحركة
Average Velocity	جِريَة
Back Water Curve	منحنى الارتداد
Baket	سطل
Bank	ضفة ، أو سدّة (بحسب مواقع الاستعمال)
Bank Dressing	تسوية السدّة
Barge	جَنيبة
Barrage	مَصنَعَة
Bascule Bridge	رفعة الجسر
Basin Irigation	الري الحوضي
Batch Mixer	خلاطة مكركرة
Bed	قعر
Bed Load	حميل القعر
Bifurcation	مقسم
Bin	جونة
Blow off	مِصْراف
Bull Dozer	مِقلَمَة
Caison	قَيْطُون
Cargo	حمل

سد الإنضاب Coffer dam

قصارة وحجيرة Compartment

(الأولى لاستعمالها في دوائر سكك الحديد والبواخر، والثانية لاستعمالها في دوائر الأشغال)

ميصال Conduits

خلاّطة دَيـومَة Continuaus Mixer

ميثاق Convention

سكّاني Coxswain

(أقر المجمع في جلسته الثامنة المنعقدة في ١٩٥٢/١٢/٣٠ استعمال السكّاني لهذا المصطلح ، ولـ « Succany » كذلك ، وذلك على نحو ما ذهب مديرية الملاحة العامة اليه)

ساحقة Crusher

قناطر Culverts

انحدار Downriver

غاطس Draft

حفّارة ناعورية Drag Line

سائق Driver

مجففة Drayer

ثقب Drilling

مدرجة ناقلة Elevating Grader

امتحان Examination

ممتحن Examiner

مدغمة Felder

مكملة Finisher

رغوة الإطفاء Fire Foan

الربان الأول 1st Master

ربان من الصنف الأول 1st Class Master

مَنار مُومِض Flasching Beacon

خطة الطيران Flight Plan

نور مفاض Floodlight

افاضة النور Floodlightting

تَـنَوّر Feroasting

مدرِّجة Grader

مِرْكَن Hanger

أنبار Hatch

حريم Herm

مثعب Hopper

إماهة Hydration

طائرة نفّاثة Jet Aircraft

صَيْهُود Low Water

ذَرْع Measurement

لحم Melding

خلاّطة Mixer

زورق آلي Motor Launch

أضواء الملاحة Navigation Lights

أضواء موانع Obstruction Lights

خلاطة مجدافية Paddle Type Mixer

ثقب Panching

لاّمة Pick up

حِنْو Pitch

معمل	Plant
مِسْلَفَة مهواة	Pneumatic roller
جسرية	Pontoon
ضغط	Pressure
دفّاعة	Propellor
خلاطة صاكّة	Pugmill Type Mixe
اطلاقة نارية ، أو إنارية	Pyrotechnical Light
مرشد لاسلكي	Radio Beacon
مِسْبار راداري	Radio Sonde
صِمام الرادیو	Radio Valve
حاجز	Railing
مِدَمَّة	Rake
كرسي الناظم	Regulator Abutment
حوامل منضمّة	Retractableundercarriage
باخرة نهرية	Riuer Stoamer
مِسْلَفة	Roller
منبشة	Scarifier
كاشطة	Scraper
غربال	Screen
ربّان ثانٍ	2nd Master
ربان من الدرجة الثانية	2nd Class Master
اشتيام	Serang
مِسْلَفة مظلّفة	Shup Foot Roller
مسند	Shoring
شؤبوب	Shower
محابس	Shutterings
مربع الإشارة	Signal Square
دثّاثة	Sprayer
فارشة	Spreader
سنّ	Sprocket
رشّاشة	Spurinkler
سكّاني	Succany
اوّاحة	Surface Heater
مسح أو كشف	Survey
مسّاح أو كاشف	Surveyer
زَيَفان	Taxing
اختبار	Test
أضواء الداخل	Threshold Lights
إعصار راعد	Thunderstorm
ساحبة	Tractor
معاهدة	Treaty
قلّابة	Tripper
حمالة الطائرة	Undercarriage
إصعاد	Upriver
صُمُم	Valves
هزّازة	Vibrater
مدى الرؤية	Visibility
الدليل الريحي	Wind Sleave

(وضع المجمع « الدليل الريحي » لهذا المصطلح ، ولمصطلح آخر هو : « Wind Sock ») .

جواد علي

مبحث في سلامة العربية

الجدال في الاستعمال

أيمُّا الصحيح أ « عيَّره بأمرٍ » أم « عيَّره إياه » ؟

جرى جدال في الزمن القديم والزمن الحديث في استعمال الفعل « عَيَّره تعييراً » على وزن « فَعَّلَهُ تفعيلاً » أيعدّى الى الاسم الثاني بنفسه « عيّره أمراً » أم بالباء « عَيَّره بالأمر » ؟ وقد رأيت في الجزء الثالث والثمانية من مجلة الشرق الأدنى (ص ٤) نقاشاً جرى حول استعمال الفعل المذكور ، وهذا موضع القصد منه

قال الشيخ جلال الدين الحنفي يخاطب أصحاب المجلة :

« لاحظت في العدد ١٠٦ من مجلة الشرق الأدنى على الصفحة ١٤ أنكم اعتبرتم التعبير بالعبارة التالية (عيّرته بالكذب) ركيكاً والمعروف من النصوص الفصيحة القديمة أنه تعبير شائع مألوف ، وما استشهدتموه من الشعر لا يعتبر حجة ؛ لأنَّ النصَّ على شيء ليس دليلاً على بطلان خلافه ، مع العلم أن الاستعمال البياني يجيز حذف حروف الجرّ عند دخولها على الجمل المسبوقة بأن ومن الشعر الذي أحتج به لجواز تعدي التعيير[1] بالباء ، قول الشاعر القديم :

يُعيّرني بالدَّين قومي وإنما ... تداينت في أشياء تكسبهم حمدا »

فقال محرّر المجلّة :

« النصّ على شيء ليس دليلاً على بطلان خلافه ، كما تفضل القارىء الكريم ، ولهذا لم نقل إن التعبير (عيّرته بالكذب) خطأ ، بل قلنا إنه ركيك ، وقولنا إنه ركيك يعني ضمناً أنه جائز جوازاً ضعيفاً ، ومع ذلك فبشأن البيت الذي يرويه القارىء الكريم جاء في كتاب « درّة الغواص في أوهام الخواص » لابن الحريريّ « ولم يسمع في كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية (عيّرته) بالباء ، فأما من روى بيت المقنع الكندي :

يعيّرني بالدين قومي ، وإنما ... تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

---

(١) في الأصل المطبوع في المجلة « لجواز تعديه التعنير بالباء » ، وفيه تصحيف مطبعي ظاهر .

فهو تحريف من الراوي فى الرواية ، والرواية الصحيحة « يعاتبني فى الدين قومي » اه

قلت : من أقدم مَن نبَّهَ على تعدية « عـيّره » الى مفعوله الثاني بنفسه ، الجوهري فى صحاحه ، وهو من أهل القرن الرابع للهجرة ، قال : « وعـيّره كذا من التعيير ، والعامة تقول : عـيّره بكذا ، قال النابغة :

وعَـيّرتني بنو ذبيـان رهبته   وهل عليَّ بأن أخشاك من عار ؟ !

وأورد الجوهري فى « حظل » من صحاحه قول الشاعر :

تعـيّرني الحِـظلان[1] أمُّ مغلّس   فقلت لهـا : لمْ تقذفيني بدائيا[2]

وذكر فى « حلّ » قول الراعي :

وعـيّرني الإبلَ الحلالَ ، ولم يكن   ليجعلهـا لأبن الخبيثة خالقُـهْ

ونقل المبّرد فى كامله قول هدبة بن خشرم فى عصر معاوية بن أبي سفيان :

عمـدتُ لأمر لا يعـيّرُ والدي   خزايته ولا يسبُّ به قبري[3]

ونقل ابن أبي الحديد فى شرح نهج البلاغة (٣٠٥/١) قول بعض الخوارج :

تعـيّرني بالحرب عرسي ، وما درت   بأني لهـا فى كل ما أمرت ضدُّ

وقال ابن قتيبة فى « باب ما لا يُعدى والعامة تعدّيه ، وما يعدى بحرف والعامة لا تعديه » :

« وتقول عـيّرتني كذا ، ولا يقال عـيّرتني بكذا قال النابغة :

وعـيّرتني بنو ذبيان رهبته   وهل عليَّ بأن أخشاك من عار ؟ !

وقال المتلمس :

تعـيّرني أمّي رجال ، ولَنْ ترى   أخا كرم إلا بأن يتكرّما

وقالت ليلى الأخيليّـة :

أعـيّرتني داءً بأمّك مثله   وأيُّ حَصان لا يُقال لها « هلا » ؟[4]

---

(١) الحظلان (بكسر الحاء) : الاسم من الحظل ، وهو المنع من التصرف والحركة ، والميل الى التقتير على الأهل في النفقة .

(٢) في أمالي الشريف المرتضى « ٦٧/٣ »

تعيرني الحظلان أم محلم   فقلت لها : لم تقذفيني بدائيا

(٣) الـكامل « ٢٩٧/٣ » طبعة المطبعة الأزهرية

(٤) أدب الـكاتب « ص ٣١٠ــ٣١١ » من طبعة المطبعة السلفية بمصر

ونقل ابن أبي الحديد أيضاً في شرحه (٢/١٠) قول حسان بن ثابت :

ومن بعد ذاك المال أنصاف دورنا   وكنا أناساً لا نعيّر بالبخل

قال ابن الخشاب في رسالته التي انتقد بها مقامات الحريري مستشهداً على مخالفة العلماء لما يقررونه في كتبهم أحياناً : « هذا ابن قتيبة ينهى في أدب الكاتب عن قولك : عيّرته بكذا وقال : صوابه : عيّرته كذا ، بلا باء ، وقال في خطبة الكتاب : « وكانت قريش تعيّر بأكل السخينة » ، وكذا ابن دريد نهى عن هذا الاستعمال فاستعمله في كتابه »[١]

وقال الحريري في الدرّة : « ويدخلون الباء على مفعول عيَّر ، فيقولون عيّرته بالكذب ولم يسمع في كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية عيّرته [بالباء] ، وقول الكندي :

تعيّرني بالدين قومي وانما   تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

تحريف من الراوي ، والرواية الصحيحة : يعاتبني بالدين قومي فالوجه كما قال أبو ذؤيب :

وعيّرها الواشون أني أحبّها   وتلك شكاة ظاهر عنك عارُها

قال مؤلف كشف الطرّة بعد ايراده ذلك والزيادة في إيضاحه : « وتعقب ذلك ابن برّي فقال : قد جاء تعدية عيّر بالباء في كلام الفصحاء ، كقول عديّ بن زيد :

أيُّها الشامت المعيِّر بالدهـ   ـر أأنت المبرّأ الموفور[٢] ؟

وقال أيضاً :

أيُّها الشامت المعيّر بالشيـ   ـب أطلت بالشباب افتخارا

وقال الصلتان لجرير :

أعيّرتنا بالبخل إن كان مالنا   لودَّ أبوك الكلب لو كان ذا بخل

وبيت أبي ذؤيب ، لا شاهد فيه على تعدية « عيّر » بنفسه ، لاطراد حذف حرف الجرّ مع « أنْ وأنَّ » ، فينبغي الاستشهاد بقول حُمَيْدِ بن ثور :

أعيّرتنا ألبانَها ولحومَها ؟   وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

---

(١) استدراكات ابن الخشاب على مقامات الحريري وجواب ابن بري ، « ص ٤١ » بمطبعة الشركة الطبعية بالآستانة .

(٢) أورد هذا البيت أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة عدي من كتابه الأغاني « ٢/١٣٨ » من طبعة دار الكتب المصرية

مع أبيات أخر ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد ، واذا اتسع الخاتم سقط وذكر الإمام المرزوقي أنّ كلا الأمرين جائزان .

وفي شرح البخاري : « عيّرته نسبته الى العار وعبته ، يقال عيّرته كذا وبكذا » [1]

وقال الفيومي في المصباح المنير : « وعيّرته كذا ، وعيّرته به : قبحته عليه ونسبته اليه ، يتعدى بنفسه وبالباء »

قال المرزوقي في شرح الحماسة : « والمختار أن يتعدى بنفسه ، قال الشاعر :

أعيّرتنا ألبانها ولحومها ؟ وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

يقول : عيّرتنا كثرة الابل واللبن ، وليس ذلك للتجارة ، بل للضيوف ، وذلك عار لا يستحيا منه »

ونقل الأصفهاني في الأغاني « ١٠٢/١ » من طبعة دار الكتب المصرية قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها الكاشح المعيّر بالصر م ، تزحزحْ ، فما لها الهجرانُ

وهذه الشواهد التي نقلناها والنصوص اللغوية التي أثبتناها كافية في إظهار « عيّره » متعدياً الى مفعوليه بحرف الجر وبنفسه معا في الشعر ، فأين شواهد النثر ؟ إن الذين ادّعوا أن الفصيح أو المختار أو الصحيح أن يتعدى « عيّر » بنفسه لا بحرف الجر « الباء » لم يأتوا إلا بشواهد شعرية ، وقد زدنا نحن فيها ، ولكن ليت شعري أكان النابغة يستطيع أن يقول « وعيّرتني بنو ذبيان رهبته » ؟ لا ، لم يكن يستطيع ، لأن البيت يكون به مكسوراً . وكذلك القولُ في جميع الشواهد الشعرية الأخرى ، فان ادخال الباء يكسرها فلا يطرد وزنها ، فكيف إذن يقال إنّ الفصيح أن يتعدّى بنفسه ، مع أن الشاهد لا يمكن أن يأتي فيه التعدي بالباء حفاظاً على الوزن ؟

وما قيل في أبيات التعدي بالفعل وحده يُقَال في بيتي التعدي بالباء ، أفكان عدي يستطيع أن يقول « المعيّر الدهر » و « المعيّر الشيب » ؟ لا ، لم يكن يستطيع ذلك ، فلعله كان مضطراً الى إدخال الباء من أجل صحة الوزن ، فينبغي الاستشهاد في مثل هذه العبارة بالنثر دون الشعر

---

(١) كشف الطرة عن الغرة على الدرة ، للسيد العلامة شهاب الدين محمود الآلوسي « ١٢٤ ـ ٦ »

أولاً ، فاذا توفرت شواهد النثر أمكن تأييدها بالشعر ، إلا أننا لم نر من استشهد بشاهد نثري

قال الحريري : « لم يسمع في كلام بليغ تعدية عيرته بالباء » . وليته أتى بكلام بليغ تعدى فيه بنفسه ، وكيف يقال هذا وقد جاء في نهج البلاغة من الكلام الذي لا يشك في نسبته الى الامام علي بن أبي طالب قوله : « ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن أعراضكم ... إن كنّا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر والهراوة (فيعيّر بها وعقبه من بعده) »[1] ؟ ألا ترى أنه عدي « يعيّر » بالباء ، لا بنفسه على خلاف ما ادّعى القوم ؟

وقال الواقدي في أخبار غزاة بدر عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه ، قال : « إنْ كنا لنسمع لإبليس يومئذ خواراً ودعاء بالثبور والويل ، وتصوّر في صورة سراقة بن جشم حتى هرب فاقتحم البحر ورفع يديه ماداً لها يقول : يا رب ما وعدتني ولقد كانت قريش بعد ذلك (تعيّر سراقة بما صنع يومئذ) فيقول : والله ما صنعت شيئاً »[2] فهذا رافع الصحابي قد عدي « عيّر » الى مفعوله الثاني بالباء كما فعل الامام علي بن أبي طالب أو ليس هذا دليلاً على أنّ النثر لم يعترف بما أسند الى الشعر من كونه ذا التعبير المختار ؟

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى الأخباري المشهور في أخبار ما قبل حرب الجمل : « فقال ابن الزبير : أتعيّر الزبير بالجبن ؟ والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك قال ابن عباس : والله إني لا أعلم إلا أنه فرّ وما كرّ وحارب فما صبر ... »[3] وهذا عبد الله بن الزبير يعدي « تعيّر » مضارع « عيّرتَ » بالباء ، ولا يعرف غير ذلك

ونقل أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل تعاتب الخليفة عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وقد جاء في قول عثمان : « وأما صبرك يوم أحد وفراري ، فلقد كان ذلك ، فأنزل الله تعالى العفو عني في كتابه ، فعيّرتني بذنب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم

---

(١) شرح نهج البلاغة « ٣/٤١٧ ــ ٨ » ومن الكلام المنسوب اليه الوارد في نهج البلاغة أيضاً « ٢/٤١٢ » : « فكيف بالغائب الذي غاب أخاه (وعيره ببلواه) ؟ أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ؟ » وجميع هذه الشواهد وما بعدها منقولة من « معجمي المستدرك »

(٢) شرح نهج البلاغة « ٣/٣٤٤ » (٣) الشرح المذكور « ٣/٥٠٢ »

يغفر [١] » وهذا شاهد قوي أيضاً من كلام الخليفة عثمان بن عفان ، لا يحتاج الى فضل بيان

وروى نصر بن مزاحم المنقري في أخبـار صفين ، قال في فرار عمرو بن العاص : « فقال عبد الرحمن (بن حسان) يعـيره بفراره من عليّ يوم صفين » [٢]

ونقل ابن أبي الحديـد مما يروى عن الزبير بن بكار « لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر ، أكرمت قريش معن بن عديّ وعويم بن ساعدة ، وكان لهما فضل قديم في الإسلام ، فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما فلمـا حضرا ، أقبلت الأنصار عليهما ، فعـيّروهما بانطلاقهما الى المهاجرين ، وأكبروا فعلهما في ذلك » [٣]

وهجا عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي عبد الله بن الزبير بأبيات ، منها قوله :

فما لي حين أقطع ذات عرق [٤] الى اُبن الـكاهلية [٥] من مَعـاد

ولما بلغ الشعر ابن الزبير ، قال : « علم أنّـها شرّ أمهاتي ، فعـيرني بها ، وهي خير عمّاته » [٦]

ولم يقل « فعـيّرني إيّاها » على ما ادّعى أهل المعرفة بالفصيح والمختـار والصحيح هـذا وإنّ المتولين لتصحيح الأغاني ، لم يعلقوا شيئاً على قوله « فعـيّرني » سهواً أو قصداً ، لأنهم لم يروا فيه حاجة الى ذلك .

ونقل عن ابن الـكلبي في ترجمة أبي قطيفة عمرو بن الوليـد بن عقبة بن أبي معيط أنه قال يفتخر بنسبه :

فمـدّدْ مثلهـن أبا ذباب ليعلم ما تقول ذوو العقول

فمـا الزرقاء لي أمّاً فأخزى ولا لي في الأزارق من سبيل

قال : « يعني بأبي الذباب عبد الملك ، والزرقاء إحدى أمهاته من كندة وكان يعـيّرُ بها » [٧]

والقارىء يرى من تتابع هذه الشواهد أنّ « عـيّره أمراً » غير معروف في كلام العرب المنثور ،

(١) الشرح المقدم ذكره « ١/٦٦ »

(٢) الشرح المذكور « ١/١٩٤ » (٣) الشرح المقدم « ٢/١٠ »

(٤) ذات عرق : منهل أهل العراق في الحج وهي الحد بين نجد وتهامة « معجم البلدان »

(٥) الـكاهلية : زهراء بنت خثراء من بني كاهل بن أسد . وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى

(٦) الأغاني « ١/١٦ » من طبعة دار الـكتب المصرية

(٧) الأغاني « ١/٣٤ »

وأن الذي ادّعى صحته أُستنبطه من الشعر فأخطأ ، وهذه العبارة مرّت من بين أيدي المصححين للأغاني بلا تعليق أيضاً

ثم نقل أبو الفرج مما يتصل روايته بأبي عبد الله السيبي وأبي الحسن المدائني أنّ الحزين قال شعراً في سواد ثنيتي عمر ، وهذا نص قولهما : « فقال الحزين الكناني يعيّره بذلك ، وكان عدوّه ، وقد بلغه خبره » [(١)]

وجاء في موضع آخر من الأغاني ما هذا نصه : « أخبرنا الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني ، قال : كان عمر بن يزيد الأسديّ مبخّلاً ، ووجده أبوه مع أمةٍ له فكان يعيّر بذلك » [(٢)] وورد في أخبار بني عامر وبني عبس وتعييرهم بعضهم بعضاً بانتهاب النساء وأخذهن ، قال في رواية عن الأعرابي : « فقال عروة بن الورد يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية » وها هنا انتبه مصححو الأغاني ، فقالوا : « أنكر صاحب القاموس[(٣)] استعمال عيّر متعدياً بالباء ، وقال : وعيّره الأمر ، ولا تقل : بالأمر وقال صاحب اللسان : والعامة تقول : عيّره بكذا ولكن المرزوقي في شرح الحماسة صرّح بأنه يتعدى بالباء قال : والمختار تعديته بنفسه أنظر شرح القاموس للسيد مرتضى » اهـ

ولا شك في أنّ صاحب القاموس قلّد غيره من دون استقراء للكلام العربي ففيه القول الفصل في مثل هـــذه القضية اللغوية التعبيرية ، أما السيد مرتضى فالظاهر لنا أنه أخذ ما في المصباح المنير ، وأما صاحب اللسان فهو ناقل وقد نقل ما في صحاح الجوهري فليس القول قوله إذن

ونقل صاحب الأغاني في أخبار بشار بن بُرد أنه كان يُعاب عليه شعره الذي قاله في حداثته ، فقرأ بعض من يريد أذاه شعراً من ذلك الشعر ، « فغضب وصاح : من الذي يقرّعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيّرنا بها ؟ » [(٤)] فهذا بشار من فصحاء الشعراء لم يلتزم استعمال

(١) المرجع المذكور « ص ٢٣١ » (٢) الأغاني أيضاً « ٢/٤١٤ »

(٣) نقلنا آنفاً أن ابن قتيبة من أهل القرن الثالث للهجرة أنكر ذلك ، وبينه وبين صاحب القاموس زهاء خمسة قرون ونصف

(٤) الأغاني « ٣/١٨٠ »

« عـيّره الشيء » ، ولعـلّه كان ينكرُه في النثر لأنه من لغة الشعر

ونقل الشريف المرتضى فى أماليه ، قال : « وروى ابن شبة عن أبي عبيدة ، قال: كان حماد عجرد يعـيّر بشاراً بالقبح ، لأنه كان عظيم الجسد مجدوراً طويلاً جاحظ العينين قد تغشاها لحم أحمر »[١] فابن شبة وهو من قدماء الأخباريين لم يستعمل « يعـيّر بشاراً القبح » ، فان سلّمنا أنه التزم نص المروي كان ذلك أدل وأدعى الى القبول لتقدم زمانه .

وقال أبو هلال العسكري فى الكلام على المثل « طمح مرقة » أو « طاع مرقة » بعد سطور : « فعـيّرت فزارة بأكل الجردان ، فقال الكميت بن ثعلبة ... »[٢] ولم يقل « فعـيّرت أكل الجردان »

وجاء في الأغاني فى أخبار عمرو بن كلثوم أنه لما حضرته الوفاة جمع بنيه فقال : « يا بنيّ ، قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائي ، ولابد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما عـيّرتُ أحداً بشيء إلا عـيّرتُ بمثله ، إن كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً ... »[٣] فها هنا يقال المثل « قطعت جهيزة قول كل خطيب » ، وليس لأحد أن يقول : فى الكلام تصحيف أو تحريف ، وقد جاء على القرار من غير اضطرار ولا استكراه ، وأيّده التكرار

وقال أبو حيان التوحيدي وهو من فصحاء الكتاب ناقلاً لكلام يوناني مترجم ، « قال أوميروس : لا ينبغي لك أن تؤثر علم شيء ، إذا عـيّرت به غضبت ، فانك إذا فعلت هذا ، كنت أنت القاذف لنفسك »[٤] وهذا المبرد ممن عاش قبله بأكثر من مئة سنة يقول فى أخبار خالد ابن عبد الله القسريّ حين خرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلاً فعطعطوا به[٥]: « فقال خالد : أطعموني ماء ، وهو على المنبر ، فعـيّر بذلك »[٦]

ولم يكن هذا تصحيفاً ، فقد كرّر الأديب الكبير التعبير في خبر آخر أضرب فيه معبد بن

(١) أمالي المرتضى « ١/٩٣ »
(٢) جمهرة الأمثال « ص ١٣٥ » من طبعة الهند
(٣) الأغاني « ١١/٥٩ » (٤) الامتاع والمؤانسة « ٢/٣٤ »
(٥) عطعطوا به : أجلبوا عليه وتابعوا أصواتهم فى الحرب ، والمصدر العطعطة
(٦) الكامل « ١/٢٥ » من طبعة المطبعة الأزهرية

زرارة عن الطعام والشراب حتى مات ، قال : « فقال جرير يعيّر الفرزدق وقومه بذلك »[١]

وهكذا نجد « عيّره بكذا » مطرد الاستعمال ، على كلّ حال ، منذ عصر عمرو بن كلثوم حتى عصر الكتاب المتأخرين كالذي نرى من قول ابن أبي الحديد « وأما قوله — ع — للأشعث : حائك بن حائك ، فان أهل اليمن يعيّرون بالحياكة ، وليس هذا مما يخصّ الأشعث »[٢] وكما نقل عن الزبير بن بكار الزبيري في خبر من قوله « فعيّرهم خالد بن يزيد به »[٣]. ولا نجد « عيّره إياه » إلا في الشعر ، وفي دعوى ابن قتيبة في كتابه « أدب الكاتب » ، مع مخالفته في المقدمة لما أراد وما دعا إلى استعماله وقد أثبتت الشواهد أن العرب والكتاب لم يكونوا يستعملون في نثرهم إلا « عيّره به » حتى لقد فسّر بعضهم « عيّره كذا » بعيّره بكذا ، إشارة منه الى أنه هو الأصل ، وأن الذي ورد في الشعر فرع عليه ، فقد نقل الشريف المرتضى البيت الذي قدمنا ذكره آنفاً ، وهو :

تعيرني الحِظلان أمُّ محلّمٍ ... فقلت لها : لم تقذفيني بدائيا[٤]

مع بيتين آخرين وقال : « الحِظلان : الممسكون البخلاء ، والحظل الامساك ، وأم محلّم امرأته ، ومعنى قوله (تعيّرني الحظلان أي بالحظلان) ... »[٥] ، وبهذا علم أن الأصل عند الشريف المرتضى هو التعدّي بالباء ، وأن حذف الباء من بابة الشعر وأسلوبه ، وهو الرأي الذي نرتضيه ونسكن إليه ، فقد دلّ عليه السماع قبل القياس

« عيره به » من حيث القواعد العامة

قدمنا من شواهد السماع المنثورة ما أثبتنا به أنّ « عيّره به » هو الأصل في كلام العرب ، وأنّ « عيّره إياه » من لغة الشعر ، وأن الفصحاء لم يستعملوه في كتاباتهم ولا في خطبهم ، مع

---

(١) الكامل « ٢/٦٩ » (٢) شرح نهج البلاغة « ١/٩٩ »

(٣) المرجع المذكور « ص ١١١ »

(٤) وكنا قد نقلنا رواية المرتضى في احدى الحواشي السابقة

(٥) أمالي المرتضى « ٤/٦٨ » وبين التفسيرين بعض الخلاف قال الجوهري : « ويقال رجل حظل وحظال للمقتر الذي يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، والاسم الحظلان بكسر الحاء . قال الشاعر : تعيرني الحظلان ... » والمفهوم من كلام المرتضى أن الحظلان جمع

ما ادّعاه له جماعة من اللغويين من كونه التعبير المختار أو الفصيح أو الصحيح ، ولكننا مع وضوح الحجة واستبانة المحجة ، لا نكتفي في هذا العصر بالسماع والرواية ، وإنما ينبغي لنا أن نعرض كل ما يتناوله الجدال في اللغة على قواعــــدها العامة ، فما يوافقها نسجل بصحته سماعاً وقياساً ، وما لم يوافقها نحسبه مما خرج عن منطق القواعد التي أبلغتناها الدراسة حتى عصرنا ، وعلى هذا المذهب نقول :

قد نقلنا قول بعضهم إنّ « عـيّره » معناه « نسبه الى العار » ، فالتفعيل هذا مشتق لنسبة المفعول الى ما اشتق منه الفعل ، وإلصاقه به مثل « كفره تـكفيراً » من الـكفر ، و « بخّله تبخيلاً » من البخل ، و « فسّـقه تفسيقاً » من الفسق ، و « فجّره تفجيراً » من الفجور ، و « بدّعه تبديعاً » من البدعة ، و « زنـاه تزنية » من الزنا ، و « جبّـنه تجبيناً » من الجبن ، وهو وزن خاص بالعيوب والمساوئ دون المحاسن وقد اشتركت المحاسن والمساوئ في « أفعله يفعله إفعالاً » أي وجده على صفة ما اشتق منه الفعل كأحمده أي وجده محموداً ، وأعظمه وجده عظيماً ، وأبخله ألفاه بخيلاً ، وأكفره وجده كافراً

وبعد إيقاننا أن « عـيّره » هو من هذا الضرب الذي أشرنا اليه أولاً ، علمنا أنه من الأفعال التي تنصب مفعولاً واحداً بأنفسها ولا تنصب مفعولين ، وتتعدى الى مفعولها الثاني بحرف الجر إن اقتضى الأمر ولما كان حرف الجر الغالب الاستعمال مع هذا الوزن « الباء » التي للاستعانة ، أو السبب ، قلنـا « فسّـقه بفعله هذا تفسيقاً ، وبدّعه بقوله تبديعاً ، وكفّـره بشعره تـكفيراً ، وفجره بعمله تفجيراً ، وجبّـنه بنكوصه تجبيناً ، وعـيّره بكذبه تعييراً » فالباب مطرد ، والأمثلة متســــقة

هذا ، ومما ينبغي أن نذكره هنا في القواعد العامة أن أخذ الفعل مفعولين ونصبه اياهما بنفسه ، هو نظري لاعمليّ ؛ لأنه لا يجوز في منطق اللغة أن يقع الفعل على مفعولين حقيقيين فيشتركا في تأثير الفاعل فيهما مع اختلاف حقائقهما ، وإنما يتوصل إلى هذا بالعطف تقول « أكلت الخبز والادام » ، أو بالضمير نحو « أكلتهما » و « كلّمت القومَ ومن حولهم » و « كلّـمتهم » ، ولم يجز هـذا وأمثاله إلا لتوحد التأثير وتفرده وكونه غير متعدّد . أما الأفعال التي تنصب مفعولين بأنفسها ،

فليس لفاعلها تأثير متفرد متوحد يقع عليها معاً بالتساوي والاشتراك ، تقول « أطعمتُه جبناً ، وسقيته ماء ، وأعطيته درهماً ، وحرمته حقاً » فالأصل في هذه الأمثال « أطعمتُ له الجبن » فالاطعام واقع على الجبن ، و « سقيت له الماء » فالسَّقي واقع على الماء ، و « أعطيته الى درهم » أي أوصلته اليه و « حرمته من حقه » أي أقصيته عنه

وبهذا الايضاح يعلم أن نصب المفعولين بنفس الفعل ما هو إلا أمر لفظيّ ، فينبغي أن نعرضَ « عيّر » على الأوزان التي تنصب مفعولين بأنفسها ، فهل هو منها ؟ فنقول : لاشك في أن الأفعال التي تنصب مفعولين على النحو الذي أشرنا اليه ، تكون إمّا ثلاثية فهي سماعيّة وليس « عيّر » منها ، وإما غير ثلاثية وهي المحتوية على أكثر من ثلاثة أحرف والغالب عليها القياس ، وذلك أن الفعل الثلاثي المتعدي بنفسه الى مفعوله يتعدى بنفسه الى مفعوليه إذا أدخلنا عليه همزة التعدية مثل « تبعه وأتبعه غيره » ، و« رآه وأراه غيره » ، و « وطئه وأوطأه إياه » ، و « زاره وأزاره إياه » ، و « ناله وأناله إياه » ، أو نقلناه الى وزن « الاستفعال » للطلب نحو « استغفر الله ذنبه ، واستدفعه الشرّ ، واستفهمه الأمر ، واستعلمه إياه ، واستشرحه الحادثة ، واستسقاه ماء ، واستطعمه طعاماً » وما إلى ذلك ، وبذلك لا نجد « فعّله تفعيلاً » في هذا الضرب من الأفعال ولا في ذاك ، وقد يجوز أن نجد في العربية ثلاثياً متعدياً إلى مفعول واحد ، فاذا نقلناه الى « فَعّله تفعيلاً » تعدّى الى مفعولين بنفسه ، مثل « بلغه وبلّغه مراده تبليغاً » ، و « علم الشيء وعلّمه الشيْ » ، ولكنه غير قياسيّ ، فهذا من الأفعال التي ناب فيها « فَعّل » عن « أفْعَل » سواء أتعدى الى مفعولين أم لم يتعد ، مثل « أطاره وطيّره » و « أبلغه وبلّغه » ثم إنّ « عيّر » ليس له ثلاثي يخالف معناه في التعدية ، وذلك أنّ « عاره » مثل « عيّره » لا فرق بينهما إلا في كثرة الاستعمال وعلى هذا لا يجوز أن يعدّى « عيره » إلى مفعوله الثاني بنفسه إلا في الشعر على طريقة الحذف والايصال ، مثل « جناه كمأة ، ووزنه بُراً ، وأهداه هدية » وهذا من الاتساع في التعبير ، ويكثر في الشعر ، ولا يُعاب في النثر، ومنه قول النابغة : « وعيّرتني بنو ذبيان رهبته » وسائر ما ورد من أمثال هذا الشاهد

والآن قد ظهر للفهم المتأمل أنَّ المسائل اللغوية التي اعتورها الجدال والقيل والقال ، لا تحلُّ على النحو الذي يتصوره هؤلاء الأفاضل من قال فلان وقال فلان ، مما لم يثبت فى الاستعمال ، ولا يقف بالاستدلال ، فاللغة اليوم يجب أن تجري على الأساليب العلمية والقواعد العامة المضبوطة المحكمة ، وتؤيد بشواهد كثيرة من كلام العرب ، النثر بالنثر والشعر بالشعر ، فتتحقق الفائدة للمستفيد ، ولا يقول القارئ مستقلاً ومستهيناً : « وأين تقعان مما أريد ؟ »

مصطفى جواد

الكلمات العربية الشائعة
في اللغة الانكليزية

يتوقف سمو كل لغة على مدى استعدادها في عملية الأخذ والعطاء وقد أصبحت اللغة الانكليزية في مقدمة اللغات الحية ، لأنها أخذت وأعطت ، أخذت أكثر مما أعطت بكثير واستعداد اللغة من معين لغة أخرى ، لايضيرها ، ولا يدل على فقرها أو ضعفها ، بل يدل على قوتها وقابليتها الاستيعابية ، وهو مظهر تقدم لها ، لامظهر تأخر

لقد كان مصير لغة العرب سيؤول الى الموت المحتوم كغيرها من اللغات السامية المندثرة لو أنها توقفت برهة عن الأخذ والعطاء لقد أخذت في أزهر أيامها ، وأبهى عهود سؤدد أبنائها غير مترفعة ، وأعطت في أشد أيامها وأحلك فترات تأريخها غير محتقرة ، وظلت أنفاسها حارة تلفح وجوه لغات مستعمري بلادها من الفرس والتتر والمغول والأتراك ، في الفترة الزاهرة من السيادة العلمية العربية على العالم — وهي فترة أطرف ما فيها وأدعاه الى التأمل أن السيادة السياسية لم تكن تصاحبها على الدوام — انتشرت المصطلحات الفنية والعلمية العربية في سائر أنحاء العالم المتمدن وبوصول الملاحين العرب الى شواطئ اليابان وخليج بسكاي شمال أسبانية ، غزيت جميع البلاد على الطريق بالسلع العربية والعادات العربية وبفتح كنوز العلم الاسلامي في أسبانية المسلمة في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي [1] ، لم تبق لغة أوربية واحدة (وكانت كلها في طريق التكوين) لم يصبها شيء من اللسان العربي المبين ، حتى اللغة اللاتينية وهي الأم الكبرى لها ، فقد صارت وعاء لنقل المفردات العربية الى بناتها لغات أوربة الناشئة منها

(١) في سنة ١١٣٠ م أسست في طليطلة دار للترجمة ، أسسها رئيس أساقفة المدينة (ريموند) من مترجميها بطرس الفونسي ، وأندريا الياكوس ، كالونيموس بن كالونيموس الخ ترجمت من العربية الى الأسبانية ثم اللاتينية أمهات كتب الطب والفلسفة والكيمياء والرياضة والفلك ؛ وصار يؤم هذه الدار الجامعة ألوف من التلاميذ واللاهوتيين من كل أقطار أوربة ، وقد وصل الى تلك المدينة ، ودرس فيها عدة علماء من الانكليز ، أمثال : روجر بيكون ، وأدلارد الباثي وغيرهما ممن نقلوا علوم العرب الى جامعة أكسفرد

كالإيطالية والبروفنسية والأسبانية والفرنسية ، وهي اللغة التي كانت تفخر بأنها اللغة التي تؤثر ولا تتأثر

كان من الطبيعي أن تنفذ مفردات اللغة العربية الى لغة الانكليز ، وبدأ ذلك فى أوائل القرن الثالث عشر لما كانت تلك اللغة تكافح فى سبيل الحياة ، وتكاد تخرج من خليط متنافر من اللهجات السكسونية والكلتية واللاتينية ولغة ويلز وايقوسيا الخ ... على أنه يصعب جداً تحديد مدى تأثرها بالعربية ، وبحديد الطرق التي تم بها هذا إنما الأمر الوحيد الثابت لنا ، هو أن المفردات التي أخذتها عن لغة العرب ما لبثت أن هضمها وعثلتها ، فأصبحت جزءاً منها لايتجزأ حتى ليكاد يتعذر على المنقب إحصاء تلك الكلمات إحصاء دقيقاً ، وتأثر خطوات انتقالها مها أوبي من الجلد والصبر والاحاطة اللغوية ولست أستطيع الادعاء فى هذا المجال بأكثر من أني جمعت ما جمعت في أثناء مطالعاتي فى أوقات متباعدة ، ولم أهم بتصنيف ما وقفت عليه الا حين وجدت عدداً لايسهان به ومع محاولتي الساذجة القيام بدراسة كل كلمة عربية وتتبع خطوات انتقالها الى اللغة الانكليزية — لا يسعني إلا الاعتراف بتطفلي فى كتابتي بحثاً يغلب عليه الاضطراب ، ويبتعد عن التمحيص العلمي التام لقد حققت ما حام الشك حول عربيته مسترشـــداً بآراء الباحثين والمستشرقين أحياناً ، مستنجداً بالذوق السليم أحياناً أخرى ، متحرياً الجـذور اللغوية ما وجدتني قادراً ، حتى اجتمع لديّ ثلاث مجموعات من الـكلمات : الأولى — وهي الكبرى — ما ثبت أصله العربي بالبرهان التأريخي ، وانتفى الجدال فيه . والثانية — وهي الأقل — ماعرّب فى مختلف عصور الاسلام ، وصار جزءاً من اللغة العربية لايتجزأ ، وحام الشكّ فى أنه لم يصل الى اللغة الانكليزية عن طريق العربية ، أسقطت منه ما أعوزني الدليل الى اثبات ذلك ، وأثبت ما تأكدت من وصوله عن طريق اللغة العربية . والمجموعة الثالثة ـ وهي كلمات لاتتجـاوز عدد الأنامل ـ جرؤت على إظهار رأيي فى أصلها العربي مستعيناً ببعض الأسانيد والأدلة من اللغات الأوربية الأخرى التي كانت واسطة لوصولها ، بعد أن أعيا المعجميين الانكليز معرفة أصلها واسنادها الى لغة من اللغات :

هنالك مصادفات غريبة خادعـة : فكلمة Chemise الانكليزية ، تقارب كل المقـاربة كلمة

(قيص) العربية ، وتتحد معها معنى لكنها ليست عربيـة الأصل ، خلافاً لكلمة Shallop العربية ، فان معناها لم يبتعد عن أصله بقدر ما ابتعد اللفظ (قارب) وعلى أية حال ، فقد أثبت رأيي في هذا العدد القليل من الكلمات واضعاً نصب عيني قول الشـاعر الفرنسي : « إن كأسي صغيرة ، لـكني أشرب منها »

لاينـكر أن اللغة العربية قد أخذت ما لا يحصى من مفردات اللغة اليونانيـة ، وخاصة المصطلحات العلمية من طبية وفلـكية وكيمياوية وفلسفية ، ومن الفارسية مصطلحات وأسماء نبات وحيوان ومعادن وأحجار لقد عرفت هاتان اللغتان منذ عصر الرشيد ، حين هجم المترجمون السريان على كتب الإغريق والفرس فنقلوها إلى العربية التي لم يكونوا يحسنونها ، لذلك وجدت في كتبهم مفردات إغريقية كثيرة جداً ، كانت مرادفاتها العربية تغني عن تعريبهـا لو درى المترجمون بها على كل حال فقد بقي جانب كبير من هذه المفردات في اللغة العربية ، ونقـل الى اللغات الأوربية كما هي حتى ليصعب علينا الحـكم الآن أكانت اللغة العربية طريق النقل الوحيدة أم أن تلك اللغات أخذتها عن اليونانية رأساً ؟ وجدت أني سـأخرج عن موضوعي لو ذكرت كل هذه الكلمات باعتبار أنهـا معربة ، لذلك استبعدت الكلمات اليونانيـة أمثال (أنوريزم = انوريزما : عند ابن سينا) ، و (أبروما : Abroma) ، و (اللوة : Aloe ، الألوة عنـد ابن البيطار) ، وأنالوطيقا ، وقاطيغورياس ، وسفسطة ، وفلسفة ، وغنوصية ، وبرنامج ، وأزدرخت ، وراهتنج ، وغيرها

ولقد حرصت أيضاً ألّا أدرج في ثبتي هذا ما دخل الإنكليزية من العربية متأخراً ، وظلّ محتفظاً بعربيتـه مبنى ومعنى « عَـلَماً » ، ولم يفـد المجتمع الانكليزي في شيء ، مثـال ذلك : فـلاح fellah ، هجرة hijira ، سـلطان sultan ، وزير vizir ، شيخ shaihk ، حريم harem ، وادي wadi ، جبّـة jubba ، قبيلة cabila ، خليفة caliph ، بربر berber ، قربة kirbeh ، منبر minber مؤذن muezzin ، منارة minaret ، قبقاب cobcab ، إبليس iblis ، حشيش hashish ، جريد jerid ، قاض cadi ، الخ .. فهذه الـكلمات ظلت تفسر نفسها من الناحية العربية فقط ، فهي بعيدة عن اللغة الانكليزية وان وجدت في معجماتها ،

لذلك كان عليّ أن أستبعدها وأسقطها من ثبتي

كذلك تجنبت المصطلحات العلمية الخاصة جداً ، ولا سيما أسماء الكواكب والأجرام الفلكية واكتفيت بأكثرها شيوعاً على ألسنة العامة ، لأنها معربة (١) ، إلا ما جاء من العربية مباشرة ، فقد أثبته والواقع أن الاختيار لا يمكن أن يعتمد على الذوق وحده ، لذلك تناولت ثلاثة معجمات انكليزية شهيرة ، وهي :

Adhams Dictionary (194́)
Oxford Concise Dictionary (1948)
Chambers's Twentieth Century Dictionary (1953)

فلم أثبت الـكلمة الّا إذا وجدتها فى معجمين على الأقل من هذه المعجمات الثلاثة ، ورتبت الكلمات بحسب حروف الأبجدية الانكليزية لتكون أسهل متناولاً ، وأعطيت معانيها المعجمية ، كما شرحت معنى كلمة الأصل العربية حيثما وجدت ضرورة لذلك ، باذلاً أقصى جهدي لإعطاء القاريء فكرة مبينة عن مراحل انتقال الـكلمة العربية حتى استقرارها فى اللغة الانكليزية

أعيد القول إني لست أكثر من متطفل ، واني لأحس بوجود ثغرات كثيرة فى ثبتي هذا قد يسهل على كثيرين أن ينفـذوا منها اليّ ، وإنه لخير لمن يريد انتقادي أن يحرص على تدارك ما فاتني فى هذا المجال ، وله مني الشكر والمنّة ولئن فاتني ذكر المصادر المتعددة جداً التي اعتمدتها ، لم يفتني التنويه بالثبت الجليل الذي وضعه المستشرق الأسباني الكبير « الأستاذ ميكيل آسين بالاسـيوس Professor Miguel Asin Palacios » فى مجلة « الأندلس » ، سـنة ١٩٤٤ م ، عن الكلمات الاسبانية ذات الأصل العربي فى المعجم الاسباني (٢) ، فكثيراً ما أنقذني من مزالق ، وجنبني عثرات

(١) راجع « المعجم الفلـكي » للفريق أمين فهـد المعلوف ، ط ١٩٣٧ م ، ففيه عشرات من الأسماء الفلـكية الخاصة المعربة .

(٢) — AL — ANDALUS revista de las escuelas de estudion arabes de Madrıdy granada. 1944 , Vol IX.

وعنوان البحث :

Enmiedas a las Etimologias Arabes del Diccionario de la lengua de la Real Academia E. spanola .

-١- ABULMOSK	نوع من نبات الخطمي السوري ، حبّه ذو رائحة عطرية ، كان يستعمل في شؤون الطب . حيوان المسك غزال المسك . يعرف بالاسم العلمي : (obelmoschus أو moschatus,) أسبانية : Abelmosco
	غَزَالُ المِسْكِ . « أبو المِسْك » « حَبُّ المِسْك »
-٢- ABUTILON	نبات من فصيلة الخبازى ، لا ساق له ، زهره يشبه أقماع الجرس ، وهو زاهي الألوان ، ينبت في المناطق الحارة
	« أبو طَيلُون » ـ عند أبي سينا : أوبوطيلون (الطُّبْل ـ في الشّعر حَبْل يُشدُّ به)
-٣- ACTON	سترة أو صدار قطني ، يخاط تحت الدرع ، ويلبسه المحاربون لوقاء جلدهم من احتكاك الصلب والزرد زرد مصنوع من الجلد ومصفح بالصلب أيّة درع كانت فرنسية : Auqueton (مُحَوَّرة من Hoqueton)[1]
	أسبانية : Alcoton (متأخرة Aigodon)
	« ألقُطْنّ » ، « المُقَطَّنة »
-٤- ACROMIAL	رأس الكتف (عظمة) عبارة عن امتداد شوكة اللوح الكتفي الى الوحشية يونانية : Acromion
(Acromegaly) (مرض نمو العظام)	« أخْرَم أَخْرُمى » (لسان العرب ١٥/٦١ المخصص ١٦٢)
-٥- ADDAX	غزال وحشي ، يكثر عادة في الجزيرة العربية وصحراء إفريقيـة لاتينية متأخرة[2] : Addax Nasomaculatus
	« أذْكَس » من الدَّاكس ، وهو الظبي القعيد (لسان العرب ٧/٣٨٩) .

(١) hoquet : هي الحشية القطنية لما تحت الدرع (معجم لاروس) ط ١٩٤٩

(٢) أي اللاتينية التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، وهي العامية من تلك اللغة .

الدَّوْكَس : هو الأسد

-٦- ADMIRAL

قائد أسطول عام (رتبة بحرية عسكرية سامية) (vice ad.., rear ad..
admiralty, admiralship, etc.)

لاتينية متأخرة : Amiralis ثم Admiralis . فرنسية : Amiral وغيرها

« أمُير الـ » (الماء - المؤمنين ...)

-٧- ALBACORE, ALBICORE

نوع ضخم من سمك التوني (tunny) ، أي سمكة من الجنس نفسه

برتغالية : Albicore , Albacor

« البِـكْر » (وهو ولد الناقة ، أو بكر البقرة تاج العروس ٣/٥٩) وغيره .

- ٨ - ALCOHOL
ate
ic
ism
ize
ist
ometer, etc.

سائل مُسْكِر ، ينتج من تخمير عصير العنب وغيره من المواد ، يوجد فى الخمر والجعة والأرواح وغيرها من السوائل المخمرة فرنسية : Alcool
اسبانية : Alcoholar (شائعة فى أغلب لغات أوربة)

« ألـكُحـل [١] » وهو مسحوق الإثمِد الدقيق ، يوضع على أهداب العين للتجميل

- ٩ - ALCOVE

تجويف معقود ينقر أو يحفر فى جدار الحجرة ، كثيراً ما يكون منفصلا عنها بستارة ، تجده فى كلّ بناء على الطراز الأسباني خصوصاً فسحة فى الغرفة للنوم تجويف فى جدار حديقة أو فى سورها بيت صيفي

فرنسية : Alcove[٢] اسبانية : Alcoba و Alcova و coba

« القُبَّة » وهي الغرفة الصغيرة [٣]

(١) يرد بعض اللغويين أصل كلمة الكحول alcohol الى « الغول » ، لا الى الكحل ، وأراهم بعيدين (غالته الخمر ، أي ذهبت بعقله)

(٢) ومعناها بالفرنسية (مخدع النوم) ، وهو يقارب مدلول (القبة) .

(٣) هذا هو اسمها الدارج عندنا .

ـ١٠ـ عدة التقطير المعروفة

ALEMBIC (كانت فى القرن الخامس عشر حتى الســــابع عشر تعرف عند الانكليز بالصيغتين الآتيتين : lembick, limbeck)

« الامبيق ، الانبيق » من الإغريقية : Abix [١]

ـ١١ـ نوع من الرياضيات العمومية حيث تُمثَّل الكميات والأعداد والأعمال الحسابية والنتائج (غالباً) برموز (شائعة بهذا الشكل فى أكثر اللغات الأوربية)

ALGEBRA
algebric
ical
ist
aist, etc.

« الجبر » من (جبر الكسر ، أي وصله)

ـ١٢ـ الأرقام العشرية العربيـة فرنســـية : Augorisme لاتينية متأخرة Algorismus اسبانية : Guarismo

ALGORISM,[٢]
ALGORITHM

« خُـوَارَزْم » (نسبة الى الخوارزمي الحاسب المشهور [٣])

ـ١٣ـ مسطرة متحركة على محور فى آلة ، لقياس الارتفاع والأطوال وللرصد نصف قطر متحرك أسبانية : Alidade وقبلها Alidada (معناها مسطرة النجار)

ALIDAD,
ALIDADE

« العِـضَادَة » أي القسم الأعلى من الذراع ـ العَضُد ـ

ـ١٤ـ مادة صبغية حمراء تســـتخرج من عروق نبات الفوّة (وهونبات أصفر اللون) فرنسية : Alizarine ألمانية : Alizarin

ALIZARIN

« العصارة » من عصير وعصر

ـ١٥ـ سلســة من المواد الكيمياوية ، تعرف علمياً باسم (القواعد Bases) ، ومنهـا : الصودا والبوتاس والأمونيا ، شديدة الذوبـان فى الماء ، منتجة

ALKALI,
ALKALIS

(١) من Ambikos ومعناها قدح

(٢) قد يخلط بينها وبين لفظة arithmos اليونانية ، في حين لا علاقة بينهما

(٣) محمد بن موسى (أبو جعفر) الخوارزمي ، معاصر المأمون ، وأحد فلكييه (ت بين ٨٣٥ و ٨٤٤ م)

Alkalescent
Alkaline
Alkalize
Alkaloid, etc.

محـلولات كاوية فرنسية : Alcali ألمانية : Alkalien أسـبانية : Alcale

« الـقِلْيُ ، والقَلي ، والقِـلْو » وهو رماد الـكلس بعد الحرق . (أنظر البستان ص ٢٠٠١ المحيط ٤/٣٨٠)

ـ ١٦ ـ
ALKANET

نبات مشهور ، يؤخذ من عرقه المادة الخضـابية الحمراء المعروفة بالحنـاء • اسبانية : Alcana

« الحِنّاء »

ـ ١٧ ـ
ALMAGEST

الـكتاب الفلـكي الـكبير المنسوب لبطليموس استعملت لفظته المعربة فيما بعد لغيره من الكتب الـكيمياوية والفلكية والتنجيمية معربة عن اليونانية « المَـجَـسْطي » Megisti أسبانية من العربية : Almaggestö

ـ ١٨ ـ
ALMIADI,
ALMADIE

رمث ، طوف زورق صغير

« ألمُسْـدِيَة » أي السريعة (من سَدَى ويقال أسـدت الناقـة اذا اتسع خطوها)

ـ ١٩ ـ
ALMANAC

سجل سنوي للأيام والأسـابيع والأشهر مع وقائها الفلـكية كحركات الشمس والقمر وإثبات أيام الأعياد وبعض النبوءات الفلـكية حوليّة لاتينية متأخرة : Almanac اسبانية : Almanaco

« المناخ »

ـ ٢٠ ـ
ALMOCANTAR
ALMUCANTAR

دائرة فى الـكرة السـماوية موازية للأفق دائرة الارتفاع مهما (Almocantar Staff وهي آلة ذات قوس قيمته ١٥° كانت تستعمل لرصد الشمس) . فرنسية : Almucantare أسبانية : Almicantarat

« المُقَنْطَرة » من قِنطارة (الـكشاف للتهاوي ـ كلـكتا ١٨٦٢ ١١٨٦/٢ : المقنطرة هي الدائرة الموازية لدائرة الأفق)

ـ ٢١ ـ
ALTINCAR

ملح البوارق الخام (يستخدم لصهر المعادن) اسبانية : Altincar
« التِنكار ، التِنْكر » معرب من الفارسية ـ تِنْكار (لا يمت بصلة الى الدخيل ـ التَنَك ، وهو الصفيح)

ـ ٢٢ ـ
AMBER

صمغ العنبر الكهربا الندّ (يوجد طافياً على البحر في البلاد الحارة ، ويقال إنها انعقادات حجرية من كبد الحوت) فرنسية : Ambre
« عَنْبَر » (البستان ٢/١٦٦٠)

ـ ٢٣ ـ
ANCHOR

المرساة ، الهلب
« أنجَر » معربة عن الفارسية (لَنْكر)
لاتينية متأخرة : Ancora فرنسية : Ancre (المحيط ٢/١٣٤ : مرساة السفينة ، خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رستْ ، رسب السفينة أنظر شفاء الغليل)

ـ ٢٤ ـ
ANIL
ity
ine

شجرة يؤخذ منها صبغ أزرق غامق ، اسمها العلمي (Indigofera Anil)
أسبانية : Anil
« النّيل النّيْلَج » (معربة عن السنسكريتية : نِيلا ، معناه الأزرق الغامق)

ـ ٢٥ ـ
ANILIN

مركب كيمياوي قاعدي ، مصدر لأكثر الأصباغ ، وهو زيتي القوام ، عادم اللون ، يؤخذ من النيل أو قطران الفحم
« النيل ، نيليّ »

ـ ٢٦ ـ
ANTIMONY

مركب كيمياوي ، اسمه (ثالث كلورور الانتيمون) لاتينية متأخرة : Antimonium
« إثْميد » وهو حجر الكحل ، ويكون أسود مائلا الى الحمرة [1]

(١) قال الشاعر : كيش الازار يجعل الليل إثمدا ويغدو علينا مشرقاً غير واجم

ـ ٢٧ ـ
1) ARABASQUE
2) ARABESQUE

على الأسلوب والزخرفة المستمدة من المغاربة والعرب بأشكال هندسية أو نقوش أزهـار ونباتات ، مكفتة أو محفورة أو مصبوغة ما يظهر فيه سلطان الفنّ العربي ايطالية : Arabesco . فرنسية : Arabesque
« عربّي » (كلّ ما ينسب الى العرب)

ـ ٢٨ ـ
ARSENAL

دار لاختزان السلاح ، أو انتاجه . مذخر حربي اسبانية : D'arsena ثم (فى القرن الثامن عشر Atarzana[1]) ثم Arsenal ايطالية : Arsenale (كتبت فى القرن الرابع عشر Arzena) فرنسية : Arsenal .

« دَارُ صِناعة »

(ربما أسقطت الـ . . (دا) لئلا يقع التوهم بينها وبين أداة الوصل الايطالية (da) إنّ أحرف (ale) أضيفت الى التصحيف الايطالي بوصفها أداة نسبة)

ـ ٢٩ ـ
ARSENIC

(وهي مرادف لـكلمة زرنيخ المربة ـ كبريتور الزرنيخ الأصفر)
« الزرنيخ » (معربة عن الفارسية : زرني أي ذهبي)
اسبانية : Azarnefe . فرنسية : Arsenic من اليونانية arsenikon , ومذكرها[2] arsenikos ، وهو الزِّرْنيخ الأصفر

ـ ٣٠ ـ
ARTICHOKE

نبات (باطن زهره صالح للأكل ، شوكيّ ، يكثر في بلاد المغرب) .
فرنسية : Artichaut ايطالية : Articiocco (من Alcarcioffo)
اسبانية : Alcarchofo (وأول شكل لها : Cariofo)
« أرضيّ شَـوْكِيّ » ، « خُرْشُوف » ، « حَرْشَف »

(١) ومنها أخذ المصريون تعبير (الترسانة) ونسي الأصل
(٢) المعادن عند الإغريق كالبشر إناث وذكور

(الخُرْشُوف : النبات المعروف بأرضي شوكي البستان ١/٦٦١[1])
(المخصص : الحَرشَف)

– ٣١ –
ASSAGA,
ASSEGAL

رمح رفيع من الخشب القوي يطلق خاصة على الرمح المقذوف من منجنيق فرنسية : Azagaye
« الزغيّة » بربرية الأصل (المحيط : الزاغية : الهلوك الزغاوة جنس من السودان ٤/٣٣٩)

– ٣٢ –
ASSASSIN
- ate
- ation

القتل غيلة الاغتيال السياسي (اسم فعل) فرنسية : Assassine Assassiner لاتينية متأخرة (صليبية) : ssassinus . اسبانية : Asesino (يرجع اقتباس هذه الكلمة الى زمن الحروب الصليبية حيث كان الاسماعيلية ينحدرون من جبال سورية بغارات مفاجئة على الجانبين المتحاربين
« حشّاشة « حشاشون » (أتباع حسن الصباح)

– ٣٣ –
ASTROLABE

أداة فلكية كانت تستعمل في السابق للتثبت من مواقع الأجرام السماوية
« أَسْطُرلاب » معربة عن اليونانية : Astrolabon .

– ٣٤ –
ATHANOR

موقد يستخدم في تسخين المواد الكيمياوية ، يحافظ على درجة حرارة واحدة دائمة
« التَّنُّور »

– ٣٥ –
ATTAR

روح مستخلص من زهر الورد ، دهني القوام ، ذكيّ الرائحة
« عِطر »

(١) ان (أرضي شوكي) ليس بتركيب عربي مأنوس ، وصحيحه (الشوك الأرضي) أو شوك الأرض.
شفاء الغليل : الحرشف هو الأنكنار قال الشاعر :
وحرشفة ان كنت ذا قدرة على قطاف الجنى المقبول منها فأنفذ

ـ ٣٦ ـ
AUBADE

أغنية الصباح تأليف موسيقي لوقت الفجر حفلة غنائية صباحية . فرنسية : Aubade . اسبانية : Albada (يظن صاحب معجم Adhams أنها من كلمة alba الاسبانية و aube الفرنسية ومعناها الفجر لكني أجدها قريبة جداً من كلمة « المبدأ أو البدء » العربية ، ولا سيما أن ثم قطعاً اسبانية ذات أسماء عربية تقرب من أشكالها وصفاتها التي اتسمت بها مثل المحرفة Almorefa الموحد Almohade السربند zarband الخ)

« البَـدْء »

ـ ٣٧ ـ
AVERAGE

كلمة كثيرة الشيوع فى اللغة الانكليزية معدل نسبة حصة تقريبية . كمية درجة تعيين أنصبة الخسائر بين أصحاب السفينة الغارقة أو المصابة حولتها بضرر لا يمكن تفاديه تعيين نسبة ضرر المؤمّنين عليها فرنسية : Avarie هولاندية : Avarij . Havarij . ألمانية : Havarie أسبانية : Avaria

« عَوَري » أو « عَوار » أو « عَوَريات » الخ . (عُوار السفينة) هو أيّ عطل أو عيب فيها (تدبر الكلمة في معجمات اللغة [1])

ـ ٣٨ ـ
AZIMUTH
ly
-al

قوس من السماء تمتد من السمت zeniht ، حتى الأفق حيث يقطعه من الجهة اليمنى فرنسية : Azimut أسبانية : Acimut .

« السَّمت » وهي الطريق أو الجهة

(١) العوار والعوار ، الخرق والشق في الثوب العيب يقال سلعة ذات عوار وعير ما بين المكيالين : قدرها ونظر ما فيها (الفيروزابادي خاصة)

ـ ٣٩ ـ
AZUTH

الاسم الكيمياوي للزئبق دواء بارسلسس[1] الشافي لكل مرض
اسبانية : Azague

« الزَّاوُوق » معربة عن الفارسية ، تصحيف : زيوَه ، وهو أسم الزئبق عندهم

ـ ٤٠ ـ
AZURE

شمار أو بيرق أو رنك أزرق اللون اللون الأزرق الفاتح (في لغة الشعر) السماء نفسها حين تكون صافية فرنسية : Azur لاتينية متأخرة : Azura

« لازَوَرْد » معربة عن الفارسية (وهو معدن ثمين ينشأ في إرمينية وفارس ، وأجوده الصافي الشفاف من الأزرق الضارب الى الخضرة)

ـ ٤١ ـ
BABOUCHE

نعال شرقية أخفاف تلبس داخل الدار (عند الأوربيين) اسبانية : Babucha

« بابوج ، بابوش » ، وهو معرب من الفارسية : (پا : قدم ، بوج : غطاء)

ـ ٤٢ ـ
BALAS

ياقوت ذو لون وردي فرنسية : Balais ايطاليـة : Balascio لاتينية متأخرة : Balais

« بَلَخِيّ » نسبة الى مدينة « بَلْخ » القريبة من سمرقند ، يأتي منها هذا المعدن

ـ ٤٣ ـ
BALDACHIN.
BALDAQUIN

(قبلا) نسيج حريري ثمين موشى ومطرز . (الآن) الغطاء الزخرف الذي يطرح على مظلة دينية ، أو يفرش فوق سرادق مضروب ، أو يلفّ على

(١) بارسلسس Paracelsus (١٤٩٣ ـ ١٥٤١) طبيب سويسري معروف

(٢) زوق الكلام أو الكتاب : جمله ونقشه وحلاه ، وتم التحلية بالذهب أن يخلط بالزاووق ويطلى ثم يحمى فيطير الزاووق ويبقى الذهب (المخصص) : الزاووق كل جوهر ذواب كالذهب ونحوه خالطته بالزاووق فهو ملغم ، وقد ألغمله فالتغم (١٢/٣٥)

أعمدتها ، أو يغطي الهيكل ، أو مفرش العرش فرنسية : Baldaquin .
اسبانية : Baldaquin من الايطالية وهي Baldacchino المأخوذة
من لفظة (Baldacco) الاسم الإيطالي لبغداد محل صنع هذا النسيج
ومصدره في الماضي
« بغداديّ »

— ٤٤ —
BALSAMINE,
BALSAMIN

نبات أبيض شبيه بالسذاب من فصيلة (impatiens noli-metangere)
« بَلسَان » أو « بَلسام » ، معرب عن اليونانية
أنظر (البستاني ص ١٨٤) وغيره من المعجمات العربية

— ٤٥ —
BARBICAN

تحكيمات المدينة الخارجية . سور ثانٍ للقلعة أو الحصن (على الأخصّ
البرج المزدوج فوق المدخل أو الجسر) فرنسية : Barbacan^e
(ومعناها مرمى من الحصن)
« باب ـ خانه » تركيب عربي فارسي (على الأرجح)

— ٤٦ —
BARGE, BARK,
BARQUE

سفينة عظيمة ذات ثلاث صوار (في اللغة الأوربية) أي سفينة تجارية
عظيمة أو رمث كبير فرنسية : Barque (في حدود القرن الخامس
عشر) إسبانية : Barca (كذلك بالايطالية)
« بارِجة »

— ٤٧ —
BARRACAN

نسيج محكم لا ينفذ منه الماء فرنسية : Barracan . اسبانية :
Parragan
« البَرَّكان البَرَّكاني » بِرْنكان بَرْنكانيّ (البَرْك :
صدر البعير ، ربّما كانت فارسية بَرْك أو بَرْكانه ، ومعناها الرقعة)
(البستاني ١٣٧) (المخصص ٤/٨٠)

— ٤٨ —
BASAN, BAZAN

جلد الغنم مدبوغاً بالبلوط فرنسية : Basane (من البروفنسية Bazana) اسبانية : Badana, Albadana .

« بِطَانة » بَطّن الشيء : كساه بطانة من الداخل

— ٤٩ —
BEDOUIN

عرب الصحراء أي قبائل رحل معشر الغجر (الكاولية)[١] الجوّالون فرنسية : Bedouin اسبانية : Bedouino

« بدويّ بدويون »

— ٥٠ —
BENZOIN

حبوب صلبة ، تستخرج من شجرة اسمها styrax benzoin ، يستعمل عثابة بخور ، وفي الصيدلية ايطالية : Benzoi فرنسية : Benzoin اسبانية : Benjui

« لُبَان جاوي » نسبة الى جاوة

— ٥١ —
BISCUIT

كعك رقيق يابس خبز مصنوع من الدقيق والماء والبيض فرنسية : Biscuit

« نَقْسَاط » شفاء الغليل : (خبز يابس معروف ذكره ابن البيطار في مفرداته)

(يرى بعض المعجميين الانكليز أنها لاتينية الأصل : من خبز bis مرتين coctus) .

— ٥٢ —
BORAX

ملح الصاغة (مسحوق أبيض ومتبلور حين يكون نقياً) فرنسية : Boras لاتينية متأخرة : Borax اسبانية : Baurac .

« بورَق » ربما كانت من الفارسية بورا

(١) ان اسم الكاولية الدارج بيننا لمعشر الغجر هو اصح اسم لهذه الأمة الرحالة ، فهو مأخوذ رأساً من الاسم الحقيقي لهم بلغتهم وهو Calli ، ومعناه بلغتهم الأسود (أنظر جورج بورو — الغجر في اسبانية)

ـ ٥٣ ـ
BOTARGE

زلاطة مشهورة تُعمَلَ من البطارخ المالح لسمك البوري أو التونة
فرنسية : Poutarque , Boutarque روفنسية : Boutargo
أسبانية : Botargo

« بَطَارِخ بَطارِخة » (بيض السمك)

ـ ٥٤ ـ
BURNOUS

معطف سابغ ذو قلنسوة يحمي الرأس من الشمس أو المطر (لباس النساء عادة) فرنسية : burnous اسبانية : Alburnos

« بُرْنُس »[١] (وهي قلنسوة طويلة ، كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام [٢])

ـ ٥٥ ـ
CABLE

(الآن) برقية رسالة برقية سلك لتوصيل القوة الكهربائية (قبلا) حبل غليظ ضخم سلك متين سلسلة متينـة لسحب السفينة أو ربط المهلب . أو لوصل السفينة بالميناء فرنسية : Cable. هولندية : Kable.
لاتينية متأخرة : Captulum اسبانية : Cable

« حَبْل » .

ـ ٥٦ ـ
CAKE

الخبز المستدير ، ويعمل عادة من الدقيق والسكر والحليب خبز الكعك
ألمانية : Kuchen .

« كَعْك » ، وهو معرب من الفارسـية (ذكره في مختار الصحاح ، وشفاء الغليل) أصله : كاك ، بالمعنى نفسه

ـ ٥٧ ـ
CALIBRE

مقياس لسعة قطر سبطانة أي سلاح ناري أو أيّ أنبوب عيار هيأة . مكانة (مجازا : مـكانة أيّ شخص فى مجتمعه) فرنسية : Calibre .
ايطالية : Calibro اسبانية : Calibo

« قَالِب قَالَب »

(١) كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعة كان ، أم جبة ، أم ممطرا (المخصص ٤/٨١) .
(٢) المجلة : تحتاج هذه الرواية الى سند تأريخي صحيح ، فان أهل صدر الإسلام إنما كانوا يضعون على رؤوسهم العمائم

ـ ٥٨ ـ CAMEL

« جمل » (الحيوان العربي المعروف)

(حادي جمال) جَمَّال Cameleer (قطار من الجمال) Camery

ـ ٥٩ ـ CAMELT

ثوب خفيف منسوج من عدة خيوط (بالأصل) قماش شرقي ثمين من خيوط الوبر والحرير فرنسية : Camelot

« خَمْل مخمَّل » (البستان : الخمل هو نسيج له خمل أي وبر ، وهو كالهدب في وجهه)

ـ ٦٠ ـ CAMPHOR

مادة بيضاء صلبة نصف شفافة ، تجنى من شجر الكافور ، وهو نبات من فصيلة السنا مكي ، واسمه العلمي cinnamomum camphora ، مضاد للتشنج ، ومسكن ، ومعرّق من مركباته (canfere و camphene) فرنسية : Camphre لاتينيـــة متأخرة : Camphora .

« كَافُور » ، وهو معرب

ـ ٦١ ـ CANE

عصا مجوفة قصب قوي تصنع منه عصي ورماح ضرب بالعصا (اسم وفعل) . فرنسية : Canne (ومعناها القصب ، كما أنها مرادفة لكلمة baton) يونانية : Kanna (ومعناها عصا أيضاً)

« قنا وقناة » (قنّ : ضرب بالعصا أو بالرمح القناة : كل عصا مستوية تجويف أسطواني محفور في أيّ جسم كان ـ استخرج الكلمة في أيّ معجم عربيّ أردته)

ـ ٦٢ ـ CARAFE

زجاجة قنينة بلورية (من جملة أواني المائدة) فرنسية : Carafe . ايطالية : Caraffe اسبانية : Garrafe

« غَرَفَ ، غَرّافَة » (المنجد : غرافة ومغرفة ص ٥٧٧ ما غرف من ماء)

- ٦٣ -
CARAT

ما يوزن به الحجر الـكريم ، ويساوي ثلاث قمحات وستة أعشار القمحة . عيار الذهب الخالص (وزنه ٢٤ قيراطاً) . ايطالية : Carato .
« قِيراط » وهو من المعرب (يوناني Keration)

- ٦٤ -
CARAVAN

قافلة شرقية مؤلفة من عدة تجار أو حجاج سافروا معاً ابتغاء الأمن والسلامـة عجلة مغطاة مركبة محملة بيت على عجلات (كأقفاص الحيوان) انكليزية (في حدود القرن السادس عشر) : Caraouan.
فرنسية: Caraouan. اسبانية : Caravana، منها : Caravanserai
وهو خان مربع ذو مدخل كبير تأوي اليه القوافل للإناخة والاستراحة فرنسية : Caravanserail (انّ لفظة serail هي من سرا ، أو سراي الفارسـية ، ومعناها بيت أو منزل اسبانية : Caravansar . صيغ انكليزية أخرى : Caravansery , Caravansera
« كَرَوان » تصحيف « قَـيْرَوان » ، وهي معربة عن الفارسية ، ومعناها جماعة من الخيل [1]

- ٦٥ -
CARAWAY

نبات ذو أزهار خيمية ، وثمر يوضع حبـه في الفطائر والـكعك لـكونه طيب الرائحة أسبانية : Carvi ، (بالأصل) Alcarava .
« كَرَوْياء » (فقـه اللغـة ص ٣١٨ [2]) (المحيط : كُرَوْيا ، كَرُويا : بَزْرٌ)

- ٦٦ -
CAROB

سنفة شبيهة بالقرن ، شـــجرها تنمو في الشرق الأدنى فرنسية :

(١) تعرف عندنا بالقرفة ، تأمل لفظتها الاسبانية فقد عادت الينا مشوهة كما عادت (الترسانة)
(٢) ربما كانت من كرى ، وكراء ، ومكاري ، ومـكار : أنظر هذه المادة في معجمات اللغة (أنظر المخصص ١١/٦٣)

Algarroba : أسبانية Caroube

« خروبه خَرُّوب خُرْنُوب » (المحيط ١/٦١)

- ٦٧ -
CARTHAMINE, CARTHAMUS

نبات من فصيلة الزعفران ، زهره مدر للبول أوقات الإصابة بالحصبة اسمه العلمي carthamus tinctorius لاتينية متأخرة : Carthamus أسبانية : Cartamo .

« قرْطُم ، قِرْطُم » ، وهو حب العُصفر (المخصص ١١/٦٢)

- ٦٨ -
CAVE

غرفة منقورة في جبل حفرة واسعة تحت الأرض ما بها الا منفذ واحد فرنسية : Cave ومعناها أيضاً قَبْو أو تجويف لاتينية متأخرة : Cava (وجدت في اللاتينية الغابرة) Cavus اسبانية : Alcave

« كَهْف » ، وهو من نطق القرآن العظيم

- ٦٩ -
1) CHECK! CHECK-MATE

الأولى : الوقف المفاجيء ضد الهجوم العسكري فترة ركود وقوف

الثانية : اعلان عن اقتراب الخطر من (الملك) في لعبة الشطرنج اعلان الخصوم بعضهم لبعض أن (الملك) معرض للقتل والاندحار (في سائر اللغات الأوربية) (لوح الشطرنج Chequer)

« شاه : Check » « مات : mate » (الشاه مات)

2) CHECK, CHEQUE

أمر كتابي الى صراف لدفع مبلغ معين من حساب الساحب لحامل الأمر أو لمن كتب الأمر له

« صَكّ »

المداول واللفظ عربيان « كان الصك في صدر الإسلام سند دين ، فالمرء

يكتب صكاً حين يشتري ضيعـــة أو عقاراً (البخاري ١/١٤ ، الاغاني وغيرهما) ، ثم دخل المعاملات التجارية فصار حوالة بجاريـة ماليـة تدفع بأمر تحريري (الوزراء ص ٧٧) ، (سفرنامه ط شيفر ص ٦٤)

ـ ٧٠ ـ
CIDAR

عصير التفاح الحلو المخمر فرنسية : Cidre

« سُكَّر » من العبرانية « شكر » ، وتعني شربة قوية وَشَكر (تقابل سَكِرَ) معناها شرب شرباً شديداً

ـ ٧١ ـ
CINNABAR

كبريتور الزئبق الأحمر المتبلور ، يطلى به الحديد ليسلم من الصـــدأ فرنسية : Cinabre

« زِنْجَفْر زُنْجُفْر » معربة فارسيتها (زِنجَرف)

ـ ٧٢ ـ
CIPHER

رمز رياضي (٠) أو (٥) لا قيمة له بنفسه ، لكنه يرفع مراتب الأعداد الى قوى العشرات بوضعه على الجهة اليمنى منه الـكتابة السرية (الشفرة) الـكتابة الرمزية . أي رقم عربي كان مفتاح الـكتابة السرية (Decipher). فكّ رموز الـكتابة السرية ، وهو اسم وفعل الاسبانية : Cero , Cifra

« صِفْر » ، وهو الفراغ واللاشيء ..

ـ ٧٣ ـ
COD

سمكة بحرية عظيمة يستخرج من كبدها زيت مقوّ يعرف عند العامة بدهن السمك ، واسمه التجاري (cod liver oil)

« القُدّ »

(للبحث صلة)

جرجيس فتح الله
المحامي

رسائل اسماعيلية قديمة نادرة

من الفرق التي نشأت فى العصور الإسلامية وأغربت فى آرائها وتوجيهها لأتباعهـــا فى الناحية السياسية والدينية ، هي الفرقة الاسماعيلية ، حتى كانت من أجسر الفرق فى التأويل ، وأبعدها فى تطبيق الفلسفة العددية والحرفية على الظواهر الشرعية الإسلامية وكان لها منطق خاص ، وحدود يقفون لديها وقفة الخاشع الخاضع ، ونظم يتكتمون بها تكتماً شديداً واعتنق هؤلاء الحـدود مبادىء عنيفة فى أسس الدين وتأليف الدولة وتأويل أحوال العالم ومظاهره ، وفسروا ذلك تفسيراً غريباً ، وكانوا حيال هذا التأويل والتفسير للشرع والحياة فرقاً متنوعة فمنهم من اعتبر الظاهر أساساً والتأويل مكملاً ومنهم من جعل الباطن أســـاساً ، وأنكر العمل بالظاهر ومنهم من وقف بين هذا وذاك ، فتارة يعمل بالظاهر ، وتارة يهمله بحسب ما يوحيه هؤلاء الحدود ولا يزال بعض هذه الفرق موجودة فمنهم المستعلية ، والمعروفون بالبُهْرَةِ ، وهم متمسكون بالظاهر لا يحيدون عنه أبداً بالرغم من امتلاء كتبهم بالباطن ومنهم النزارية والسليمانية ، وهم تارة يهملون ، وتارة يعملون بالظاهر ومنهم من عثرنا على مجموعات خطية لهم ، وهم لا يعرفون شيئاً من الظاهر ولا يقرونه أبداً ، وزادوا على أصحابهم عقيدة تأليه الخليفة الحاكم بأمر الله ، وأنه قائم الزمان الذي جعل الدين الباطني دين العالم أجمع ، وقد نسخت الشرائع بوجوده ، وما على البشر إلا الاقرار بالتوحيد لهذا الاآله المتجسد ، لذلك سموا أنفســـهم بالموحدين ، وغيرهم بالمشركين وقد أجمعت هذه الفرق على الأمر التالي ، وهو أن كل سبعة من أئمتهم الظاهرين أو المستورين يكون سابعهم ناطقاً ، أي يستطيع أن يبدل الشريعة أو يعدل بعض الأحكام ، فكان آدم ثم من بعده من الحجج والأئمة والأسس والأضداد حتى نوح الذي هو الناطق الثاني ، وهكذا حتى عصر الناطق محمد ، ثم يبدأ الدور بعد الوصي حتى محمد بن اسماعيل الناطق وكل ناطق له خصائصه ومميزاته التي تختلف عن الإمام الصاحب ، وتسير الأدوار على

ذلك حتى يأتي قائم الزمان أو القائم الذي يغير الشرائع ويوحـد الأديان ويمنع كل اختلاف ، ويدوم دوره خمسين ألف سنة ، ثم تنتهي الدنيا ، ويرجع الكل الى ربهم ، ويعيشون فى الأبدية الروحية من عذاب ونعيم وقد حاول بعض أتباع الاسماعيلية ودعاتهم أن يستعجلوا بظهور القائم المطلق عقب كل ثامن للسبعة المتقدمين عليه ، فظنه بعضهم الحاكم ، وظنه بعضهم المستنصر ، وهكذا ولقد كان الحاكم ذا شخصية غامضة مضطربة متناقضة ، أوحى الى بعض دعاته بهذه الفكرة الغريبة ، وأفرطوا فى خيالهم ، حتى أوهموا الحاكم نفسه فاقتنع واقتنعوا أنه قائم القيامة ، وأنه الإلـه الأعلى المتجسد ، وأنه الموحد للأديان والحاكم الذي سيسود البشر ، وأن له الأمر والشأن ، وأنه الواحد الأحد وعلة الكون ، فهدم الكنائس والبيع ، وقاوم أصحاب الفرق ، وقتل العلماء والوزراء والدعاة الذين عارضوه بذلك ، وسخط على الرعية التي ضحكت منه

ومن دعاته فى هذا الباب محمد بن اسماعيل البخاري ، وحمزة بن علي بن أحمد الزوزني ، وحسن ابن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم ، ومحمد بن وهب القرشي ، وعلي بن أحمـد السموقي ، وعبد الله اللواتي ، ومبارك بن علي ، وأبو منصور البرذعي ، وختكين

وكان هناك ثورات على الحاكم وخلافات وقعت بين الناس ، وكان المستضعفون منهم اذا مرّ الحاكم يسلمون على الواحد الأحد الرحمان الرحيم

وكان الحاكم بعد هذه الثورات تارة ينقاد الى هذه الأوهام والهواجس الشيطانية ، وتارة يعارض وينكر على بعض دعاته ، ويخفي بعضهم من العامة ، ويقتل بعضهم ، وينفي آخرين خارج مصر وكانت هذه الأوضاع باكورة تفسخ الدولة ، وذهاب هيبتها وطمع الأعداء بها ، ولا سيما الصليبيين الذين آلمهم هدم كنيسة القيامة فى القدس[1] ، ومنع النصارى من اقامـة شعائرهم الدينية ، ولم تسترح مصر حتى اختفى الحاكم وجه الله الأحد الصمد

قال فى مرآة الزمان : « قدم محمد بن اسماعيل الداعي الأعجمي مصر ، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ ، فاجتمع بالحاكم ، وساعده على ادعاء الربوبية ، وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم انتقلت الى علي بن أبي طالب ، وأن روح علي انتقلت الى والد الحاكم ، ثم منـه الى

(١) وقد هدم الحاكم هذه الكنيسة ، لأن في روايات الشيعة أن المهدي اذا خرج يهدم هذه الكنيسة

الحاكم فنفق ذلك على الحاكم ، وقرّبه ، وفوض الأمور اليه ، وبلغ به أعلى المراتب بحيث إن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ، ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده وأظهر هذا الداعي الكتاب الذي فعله ، وقرأه بجامع القاهرة ، فثار عليه الناس ، وقصدوا قتله ، فهرب منهم ، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية ، وبعث اليه في السر مالاً ، وأخرجه الى الشام ، فنشر الدعوة في الجبال فنزل في أعمال بانياس فقرأ الكتاب على أهله ، واستمالهم الى الحاكم ، وقرر فيهم ما ينافي ظواهر الشريعة الإسلامية »

وقال في النجوم الزاهرة (٤/١٨٣) : « ثم عنّ للحاكم أن يدعي الربوبية ، وقرّب رجلاً يعرف بالأخرم ساعده على ذلك ، وضمّ اليه طائفة ، وقصد يوماً قاضي القضاة ابن أبي العوام في الجامع ، وسلمه رقعة فيها فتوى صدرت باسم الحاكم الرحمان الرحيم ، فاستنكر القاضي ذلك ، ورفع صوته ، وثار الناس بالأخرم ، وقاتلوا أصحابه ، وهرب هو ، وشاع الحديث في دعوى الحاكم الربوبية ، وتقرب اليه جماعة من الجهال »

ولم يسكت الحاكم على مخاصمة الناس لهذه الدعوى ، فدبر جنده وعبيده نهب الفسطاط ، وقتل جملة من أهلها ، وإحراق المدينة ومبانيها ومحلاتها وتغافل الحاكم عن كل توسل اليه في كف جنده ، ولم يكفهم إلا بعد مدة وبعد تلاف أهل الفسطاط ومدينتهم

وقد أشار المؤلفون الإسماعيليون في كتبهم الى هـذه الظواهر الغريبة والى انتشار دعوى الألوهية ، وأنكروا أن يكون للحاكم علاقة بهذه الدعوة ، وزعموا أنه عارضها معارضة شديدة ، كما أنكرها ختكين الضعيف داعي الدعاة في القاهرة ، وهاجم هؤلاء الدعاة للتأليه مهاجمة عنيفة ، واستدعى من العراق حجة العراقيين حميد الدين الكرماني الى مصر ، وكان من أعاظم الدعاة وكبار الفلاسفة في المذهب الفاطمي وصاحب المؤلفات الشهيرة في المذهب الفاطمي ، ليجادل أصحاب هذه الدعوة المفرطة في الغلو فقدم مصر سنة ٤٠٨ هـ ، وناقشهم ، ورد عليهم ، وألف في الرد على أصحاب هذه الدعوى رسالته المسماة بـ (الواعظة) في تفنيد فكرة التأليه ، والدفاع عن الحاكم ، وأنه عبد خاضع لله وقد نشر هذه الرسالة الدكتور محمد كامل حسين في جزء مايو من مجلة كلية الآداب من سنة ١٩٥٢ م

ويقول الداعي ادريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هـ في كتابه (عيون الأخبار ، وفنون الآثار ، في ذكر المصطفى المختار) معرضاً بحميد الدين ورسالته (الواعظة) التي ألفها في الرد على الحسن الفرغاني الأخرم أحد دعاة مذهب تأليه الحاكم في عصره والتي تمت سنة ٤٠٨ هـ :
« وظهرت لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فضائل لم يسمع بمثلها ، فغلا فيه — صلى الله عليه — من غلا ، فجرد أمير المؤمنين السيف في الغالين ، ووفد الى الأبواب الزاكية الحاكمية باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب حجة العراقيين حميد الدين الكرماني ، وبه استبانت المشكلات ، وانفرجت المعضلات »

* * *

قدمت هذه المقدمة لموضوعي الذي قصدته ، فقد عثرت في أثناء تصفحي لكتب الأب أنستاس الكرملي ، فرأيت ست مجموعات خطية في المذهب المسمى في كتبهم بمذهب أهل التوحيد وخط هذه المجموعات قديم يكاد بعضها يصل الى القرن التاسع الهجري وحواليه . ويحوي هذه المجموعات زهاء ستين رسالة في هذا الباب وقد تكرر جملة من هذه الرسائل في المجموعات ، فأحببت أن أسجل بعض ما في هذه الرسائل من غرائب التأويل وغرائب الآراء ، ولا أدري ، وأنا أسجل هذه النصوص والآراء ، هل عندهم اليوم آراء كما جاء في هذه الرسائل لكبار الدعوة في عهد الحاكم أم لا ، اذ لا أشك في أن الكثير من الكتب القديمة لكل فرقة لا تمثل تلك الفرق تمثيلاً تاماً ، لأن الغالب من متأخري المصلحين من أصحاب الفرق أن يبعدوا المستحيل من الآراء عن فرقهم ، ويقربوها الى الحق والواقع وقس على ذلك ولكن ذلك لا يمنع أن نسجل ما رأيناه خدمة للتأريخ ، وشرحاً لكثير من الحوادث والآراء الغامضة فمن هذه المجموعات الغريبة :

(١) المجموعة الأولى المرقمة ٩٥٠ من كتب الكرملي تحت عنوان (كشف الحقائق) ، وتشمل ثلاث رسائل : الأولى (كشف الحقائق) في ٥٣ صفحة ، والثانية (رسالة التنزيه لجماعة المؤمنين) ، والثالثة (ميثاق النساء) وجميع المجموعة في ٩٥ صفحة بالقطع الصغير ، والخط الواضح الجميل ، ولكنها لم تخلُ من أغلاط كتابية ونحوية

والرسالة الأولى من وضع « هادي المستجيبين ، ومقاتل المشركين ، حمزة بن علي بن أحمد الزوزني » كما تسميه هذه الرسائل وكان معاصراً للحاكم ومن دعاته وقد حلّ في القاهرة سنة ٤٠٥ هـ ، فقربه الحاكم ، وكان يتصل به ويسارّه في جملة أمور ، وترك القاهرة بعد قتل الحاكم . وقد فسر حمزة في هذه الرسالة كثيراً من المصطلحات الاسماعيلية والرموز الدينية لديهم ولدى أتباعهم ، كالسابق والتالي والأساس والناطق والحجة والجد والخيال ، وبحث بحثاً مفصلاً فكرة التقمص الإلهي ، ومظاهر هذا التقمص في أدوار شتى ، مبتدئاً بالإرادة العامة موجدة الكائنات ، ثم العقل الأول الكلي ، ثم بقية الأدوار ، حتى دور الحاكم وتقمصه

ومما جاء في هـذه الرسالة : « وتعلمون أن مولانا الحاكم ـ سبحانه ـ لا يغيب عن العالم نوره وحجابه ، وأن جميع حدود دينه موجودون في كل عصر وزمان ودهر وأوان ، لمن طلب نجاة روحه ولم يعبد العدم ، ولم يسجد للأوثان والصنم »

ويتخلل الرسـالة كثير من الأبحاث على أسس الحروف وما رمز اليه بحسب اصطلاح الاسماعيلية ، كقوله في آخر الرسالة مشيراً الى قيام القائم المطلق والى واضع هـذه الرسـالة : « ... والهاء دليل على اسم الهادي ، ويعبدون مولانا الحاكم ـ سبحانه ـ ، وينادونه : يا آلـه الأولين والآخرين ، فعند ذلك يصير العالم بسيطاً روحاني ، والمذهب لاهوتي شعشماني ، وجميع من ذكرهم عبيد مولانا الحاكم جلّ ذكره ، وكتب في رمضان الثانية من سني هـادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين ، بسيف مولانا وحده وشدة سلطانه » ، وذلك في سنة ٤٠٩ للهجرة ويقصد بكلمة الحـدود التي ذكرت المأذونون والحجج والدعاة المطلقون ونحوهم ، وهو اصطلاح عندهم معروف . وقد جاءت تأويلات كثيرة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذه الرسالة ، كما شرح فكرة الأضداد لهؤلاء الحدود ، وأن لـكل حد ضداً ، أو لكل ناطق ضداً ، حتى الأئمة والحجج والدعاة ونظرية الضد قديمة في مذهب الغلاة حتى إن ابن أبي العزاقر غالىٰ فقدس الضد ، لأنه من لوازم الناطق والامام كما ذكر ذلك الطوسي في الغيبة

والرسالة الثانية في هذه المجموعة موسومة بـ (ميثاق النساء) ، وقد خاطب بها « هـادي المستجيبين » النساء ، وأولها : « ... توكلت على مولانا الحاكم ـ سبحانه وعز ـ عن حكومة

الأوهام سلطانه ، ولا معبود سواه لما نظرت معاشر الحدود الروحانيين بنوره التمام ، ونصبني لدعوته مولانا ـ جل ذكره ـ ... ، نظرت الى قوله لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهن ويجب على سائر المؤمنات ألا يشغلن قلوبهن بغير توحيد مولانا ـ جلّ ذكره ـ والطاعة لحدود دينه ... » وهنا يعدد كثيراً من واجبات الطاعة للحاكم القهار ، ثم يقول : « فاذا علمن ذلك ، وجب أن يعلمن أن مولانا ـ جلّ ذكره ـ قد أسقط عنهن السبع دعائم التكليفية الناموسية ، وفرض عليهن سبع خصال توحيدية دينية ، أولها وأعظمها « سدق اللسان » (والصدق فى كل كتب الاسماعيلية والدروز تكتب بالسين لا بالصاد ، ولم أهتد الى علة ذلك) وثانيها حفظ الإخوان ، وترك ما كنتم عليه وتعتقدونه من عبادة العدم والبهتان ، ثم البراءة من الأبالسة والطغيان ، ثم التوحيد لمولانا ـ جلّ ذكره ـ فى كل عصر وزمان ودهر وأوان ، ثم الرضا بفعله كيف ما كان ، ثم التسليم لأمره ويجب على الموحدين والموحدات حفظ هـذه السبع خصال والعمل بها وسترها عمن لم يكن من أهلها واجتناب الشك ، فاذا فعلن ذلك لحقن بالتالي ، ولهن ثواب الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين » (وكلمة التالي من الحدود ، ويعني بالعدم الاله المطلق غير المجسد فى مظهر من مظاهر النطقاء والأئمة)

والرسالة الثالثة من هذه المجموعة تحت عنوان (رسالة التنزيه لجماعة الموحدين) ، وهذه الرسالة عرضت على الحاكم ، فأمضى العمل بها كما هي العادة ولا تزال عند البُهْرَةِ والنِّزارية فى عرض كتبهم على داعي الدعاة وعلى ولي الأمر فى الهند .. ومما جاء فى هذه الرسالة التي شرحت أغلب المصطلحات والوظائف التي تجب على الحدود ، وفسرت الأساس والناطق والحد والكاسر وذا مصة والكلمة والجناحين والإمام والضد ، ويقصد فى كتب الدروز بالإمام الداعي المطلق وهو حمزة بن علي ، ويقصد بالكاسر المخاصم والمجادل مع غير الاسماعيلي ليشككه فى مذهبه :

« والسابق الحقيقي هو الإمام الاعظم ذو مصة الذي نصبه المولى ـ جلّ ذكره ـ هادياً لعبيده ... وهو يربي الدعاة بالمعرفه والحكمة ... وليس لأحد من الحدود أن يؤلف كتاباً ، ولا يقرأ على من استجاب الا بأمر من ندب لهدايتهم ونصب لإمامتهم فإن قرأ عليهم كتاباً بغير أمره ، فقد عصى القارئ والمستمعون جميعاً ... ومن أعظم الحجج ... على تنزيه مولانا

— جلّ ذكره — عن الناطق والأساس وأنها عبدان لمولانا ... وهما في وقتنا هذا مستخدمان لمولانا ... وهما عبد الرحيم بن الياس، وعباس بن شعيب .. »

ومن هذه الجمل نعرف أن الرسالة كتبت أيام الحاكم ، وأنه رفع عن الناطق والأساس ، وادعى أنه قائم الزمان المطلق وجاء في آخرها (ص ٦٦) : « رفعت الى الحضرة اللاهوتية وأطلقت ... وكتبت مسودها في جمادى الآخرة الثانية من سني مولانا ـ جلّ ذكره ـ ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين ... » وتصادف هذه السنة سنة ٤٠٨ للهجرة كما يعرف ذلك من بقية الرسائل في هذه المجموعات

وعبد الرحيم هذا هو ابن عم الحاكم ، وقد جعله ولي عهده سنة ٤٠٤ هـ ، وأفرد له مكاناً في القصر ، ودعا له في المنابر ، وضربت باسمه السكة ولكن هذه الدعوة لم تلاق تحبيذاً عند أصحاب حمزة لوجود ولده الظاهر حياً ، فادعوا أن عبد الرحيم ولي عهد المسلمين أما ولي عهد المؤمنين ، فهو الظاهر ثم عين عبد الرحيم حاكماً على دمشق سنة ٤٠٩ هـ ولما قتل الحاكم ، ولّي الظاهر ، واستقدم عبد الرحيم الى مصر بحيلة من أم الظاهر ، فحبس ، ثم طعن نفسه بالحبس سنة ٤١٤ هـ ، وأدخل عليه الظاهر قاضي القضاة والشهود ، فاعترف أمامهم بأنه فعل ذلك ، ثم مات ...

(٢) المجموعة الثانية تحت رقم (٩٥٧) والمجموعة رديئة الخط ، ومملوءة أغلاطاً نحوية وكتابية ، وأهم ما فيها الرسالة الأولى ، وتبحث عن الخمسة التي هي العقل الكلي والنفس والكلمة والسابق والتالي ، وعن الفوارق بين هذه الكلمات كما تبحث عن الفوارق في مراتب الدعوة وعن الحدود والمستجيبين ...

(٣) والمجموعة الثالثة تحت رقم (٩٦٤) وعنوان السجل ، وهو أول هذه المجموعة . وقد قرىء على المشاهد وعلى الخواص والعوام في غيبة مولانا الإمام الحاكم وهو سجل جدير بالمطالعة ، لما حوى من أفكار درزية واضحة ، وفكرة عن غيبة الحاكم وتأنيب الناس ، لحرمانهم رؤيته ، ولغيبته التي سببها ذنوبهم ، وأنه سيعود مرة أخرى في دور القائم والقيامة ويعدد السجل الأعمال التي قام بها الحاكم وخدماته للناس ، كل ذلك بأسلوب بليغ وبيان عذب بديع ولا

يخفى أن كلمة (السجل) فى مصطلحات الإسماعيلية هو الأمر الرسمي الصادر من الخليفة أو المأذون الذي ينوب عنه ، وبعبارة أخرى هو الإرادة الملكية أو المنشور الملكي

ومما جاء فى هذا السجل فى تعداد أعمال الحاكم : « وبنى الجوامع وشيدها ، وعمّر المساجد وزخرفها ، وأقام الحج والجهاد ، وفتح بيوت أمواله ، وخفر الحاج بعساكره ، وحفر الآبار ، وأمن السبل والأقطار ، وعمّر السقايات ، وأخرج على الكافة السدقات (الصدقات) ، وستر العورات ، وترك الظلامات ، ورفع عن خاصتكم وعامتكم الرسوم والواجبات التي جعلها الله عليكم من المفترضات ، وقسم الأرض على الكافة شبراً شبراً ، وداولها بين الناس ، وفتح أبواب دعوته ... فشيئتم العلم والحكمة ، وكفرتم الفضل والنعمة ، ونبذتم ذلك وراء ظهوركم ، فلم يجبركم ولي الله – عليه السلام – ، وغلق باب دعوته ، وأظهر لكم الحكمة ، وفتح لكم خارج قصره دار علم حوت من جميع علوم الدين وآدابه وفقه الكتاب ، وأمدكم بالأوراق والأرزاق والحبر والأقلام ... وقد كنتم قبل ذلك في طلب بعضه تجهدون ، فرفضتموه ، وقصرتم ، وعن جميعه أعرضتم إعراض الضالين ... فمن دلائل غضب الإمام غلق باب دعوته ، ورفع مجالس حكمته ، ونقل جميع دواوين أوليائه وعبيده من قصره ، ومنعه عن الكافة سلامه ، ومنعه لهم عن الجلوس على مصاطب سقائف قصره ، وامتناعه عن الصلاة بهم فى الأعياد وفي شهر رمضان ، ومنعه المؤذنين أن يسلموا عليه وقت الآذان ولا يذكروه ، ومنعه جميع الناس أن يقولوا مولانا ولا يقبلوا التراب ، وذلك مفترض له على جميع أهل طاعته ، وانهاؤه جميعهم عن الترجل له من ظهور الدواب ، ثم لباسه الصوف ، وركوبه الأتان ، ومنعه أولياءه وعبيده الركوب معه حسب العادة فى موكبه ، وامتناعه اقامة الحدود على أهل عصره .. فترك ولي الله أمير المؤمنين – سلام الله عليه – الخلق أجمعين سدى يخوضون ويلعبون ، كما ترك موسى قومه ... أيها الناس ، توبوا توبة نصوحاً ، وتوسلوا اليه بأوجه الوسائل بالصفح عنكم ، وأن يرحمكم بعودة وليه اليكم ، ويعطف بقلبه عليكم ... فالحذر الحذر أن يقفو أحد منكم لأمير المؤمنين – سلام عليه – أثراً ، ولا تكشفوا له خبراً فاذا أطلت عليكم الرحمة ، خرج ولي الله إمامكم باختياره راضياً عنكم ، ظاهراً فى أوساطكم ... وكتب مولى دولة أمير المؤمنين – سلام عليه – في شهر ذي القعدة سنة

احدى عشرة وأربع مئة للهجرة ... » ومن هذه القطعة التي نقلتها هنا عن هذه الرسالة الواسعة ، يظهر أن الحاكم سلك مسلك آبائه ، ولا سيما المعز ، في توزيع الأراضي على الفلاحين ، وتشجيعهم على زراعتها ، وتخفيف الضرائب المالية ، معتمدين على نظام الزكاة ، وما يعطيه المستجيبون لهم من نجوى ونحوها .. كما تدل على أن أتباع الحاكم اختلفوا فيما بينهم بعد قتله ، وادعى بعضهم ـ وهم أصحاب هذه الرسائل ـ غيبته وحياته ، وأنه سيعود بعد أن يتوب الناس من ذنوبهم وإساءتهم التي ارتكبوها مع الحاكم وعدم انقيادهم لآرائه وأعماله الاصلاحية

والرسالة الثانية في هذه المجموعة (السجل) المنهي فيه عن الخمر ، وقد صدر من الحاكم يأمر الناس بتجنب الخمور وقرىء هذا السجل على عامة الرعية وجاء في آخره : « وكتب في شهر ذي القعدة سنة أربع مئة »

ويلي ذلك رسالة في عشرين صفحة ، تتضمن سؤال جماعة من يهود ونصارى مصر من الحاكم عن علة مخالفته ما سلكه قبله من الخلفاء في معاملتهم بالحسنى واعتبارهم من أهل الكتاب والذمة ، وعن سبب مضايقتهم والخروج عما سلكه الأمويون والعباسيون ويتلخص جواب الحاكم لهم مشافهة عن أن النبي محمداً إنما قبل منهم الجزية وسامحهم أملاً في رجوعهم الى الحق والدين الصحيح ، وأن محمداً كان رسولاً ناطقاً ولما انقضى هذا الدور ، وجاء المهدي ، كان ذلك انذاراً لهم في الرجوع الى الاسلام ولما جاء الحاكم المبشر والمجدد للدعوة الإسلامية ، لم يقبل منهم ذلك ، ودل على أنهم معاندون لايقبلون الحق ولا رسالة محمد ولا المهدي ولا الحاكم...

هذا ملخص الرسالة ، ومنها نعرف سر شذوذ الحاكم وادعاءاته الغريبة وأفكاره المشوشة

ويلي ذلك رسالة تتضمن ما كتبه القرمطي الى الحاكم حين هاجم القاهرة ، وجواب الحاكم له ، أولها : « ... أما بعد ، فقد وصلنا بالترك الخراسانية ، والخيل العربية ، والسيوف الهندية وقد خف الركاب ، فتسلم البلد ، وتكون آمناً على النفس والمال والأهل والولد ... » وأجابه الحاكم ، ومن جوابه : « ... أما ما ذكرته من خفة ركابك ، فذلك من قلة عقلك ، وذلك لأمر محتوم ، في كتاب معلوم ، لأننا قد عرفنا في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، أن أرضنا هذه لأجسادكم أجداثاً ... وأنا حامد الله على ما منحني به من أخذكم على مضي ثماني ساعات من نهار

يوم الاثنين حين لا ينفع الظالمين معذرتهم ... »

ومهما كان ، فالرسالة دلت على تغلب أصحاب الحاكم على هؤلاء القرامطة الذين هاجموا القاهرة وليست هذه أول مرة يهاجم القرامطة الفاطميين ، سواء فى الشام أو مصر ، فقد انفصل هؤلاء عن الدعوة بالرغم من اسماعيليتهم الأولى ، ومبادئهم فى الثورة . نعم ، لقد انفصلوا عنهم منذ عهد المهدي ، وكانوا لاينقادون اليهم ، الا فى فترات قليلة ، حباً فى الاستقلال ، وشكاً فى عبيد الله ؛ لأنهم كانوا ينقادون الى الحسين بن أحمد الذي كان المستتر ولما تحولت الى المستودع ، شاغبوا ، ولم يخضعوا ، عدا قسم منهم في الأحساء فى فترة خاصة ...

ويلي ذلك رسالة بعنوان (ميثاق ولي الزمان) ، أولها : « .. توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الأزواج والعدد ، أقرّ فلان بن فلان اقراراً على نفسه ... أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها ، وأنه لايعرف غير طاعة مولانا الحاكم ـ جلّ ذكره ـ والطاعة هي العبادة ، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملك لمولانا الحاكم ـ جل ذكره ـ ، ومن رجع عن دين مولانا الحاكم ... كان بريأ من الباري المعبود ... وكتب ... عبد مولانا ـ جل ذكره ـ حمزة بن علي بن أحمد ... »

ويظهر لنا فى هذه الرسالة أن هؤلاء كانوا يأخذون البيعة على أتباعهم بهذه الصيغة المذكورة

ويلي ذلك الكتاب الواسع المسمى بـ (النقض الخفي) ، وقد رفع الى الحضرة اللاهوتية ، فأقره ، وأوله : « توكلت على مولانا البار العلام ، العليّ الأعلى حاكم الحكام ، .... كتابي اليكم معاشر الموحدين لمولانا ـ سبحانه وحده ـ المستجيبين لحقائق الجواهر الحقيقية ، الناظرين من نور الأنوار الشعشعانية ، المتبرين من علوم الحشوية ، العارفين بالأبالسة الغوية » ثم يأخذ فى شرح إسقاط الفروض والعبادات واحدة واحدة ، ويبدأ بقوله : « أما بعد ، فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة باسقاط الزكاة عنكم ، وإن الزكاة هي الشريعة بكمالها ، وقد بينت لهم فى هذه الرسالة نقض الشريعة دعامة دعامة ... فاسمعوا ، وأطيعوا ما أمركم به عبد مولانا ـ جلّ ذكره ـ وصفيه هادي المستجيبين ... حمزة بن عليّ ... فقد اقتربت الساعة وانشق القمر ... » .

وىرى في هذه الرسالة وغيرها من رسائل هذه النحلة أنهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد بكل جرأة ووقاحة

ويلي ذلك رسالة موسومة بـ (الرضى والتسليم الى كافة الموحدين والى جميع من شك فى مولانا ـ جل ذكره ـ وفى وليه قائم الزمان ، من عبد مولانا ـ سبحان قدرة مولانا وتعالى لاهوته ـ) ، ثم يسرد الرسالة بطولها ومما جاء فى أثنائها : « أما بعد معاشرَ المستجيبين ، فقد بلغني ما أصابكم من الضعف فى أديانكم ، والشك فى صاحب زمانكم ، عما رأيتم من استتار الحقيقة ، فظننتم فى مولانا ظن السوء وكنتم قوماً بوراً .. » إلى آخر الرسالة التي تشرح أغلب مصطلحات الاسماعيلية من كلمة الناطق والأساس والتالي وما إلى ذلك ومن هذه الرسالة نعرف أن الحاكم كان في نظر هؤلاء قائم الزمان ، وذلك ما لا يوافق عليه جميع فرق الاسماعيلية عدا هذه النحلة

ويلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (الرشد والهداية) ، وهي رسالة تشرح رأي هذه النحلة فى التسلسل الكوني منذ العقل الأول أولها : « ... الحمد لمولانا الحاكم بذاته ، المتفرد عن مبدعاته ، الذي أرشد بطاعته عباده الموحدين ... » ، وجاء فى أثنائها : « ... فاحذروا أيها الموحدون من غلبة الوسن ، وارتقبوا ظهور الحق فى كل عصر وزمن ، ... فأنتم مقرّ الأرض المباركة الزكية ، لقبولكم للعلوم الالٓهية والجواهر العقلية ، وارتباطكم بالحدود العلوية ، وإجابتكم الى الدعوة الهادية المهدية ، وعدولكم عن جميع طوائف أهل الشرك والعناد معنى الأرض السبخة الردية ... » ومن هذه الرسالة تعرف طريقة الحلول والانتقال فى كل عصر وزمن بحسب رأي هذه النحلة ، كما يعلم أن للحدود الجسمانية حدوداً علوية ، فالسابق الجسماني مثلاً له سابق علوي ، وهكذا وبهذا قال جميع الاسماعيلية وشرحوه مفصلاً فى كتبهم ...

ويلي ذلك قصيدة ، أولها : « قال الشيخ أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي الداعي المكني بصفوة المستجيبين الى دين مولانا » :

إلى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... الى الحاكم العالي على كل حاكم

الى الحاكم المنصور عوجوا [illegible] ... [illegible] التوحيد [illegible]

هو الحاكم الفرد الذي جلّ إسمه — وليس له شبه يقاس بحاكم
حكيم عليم قادر مالك الورى — يؤانس بالإسم المشاع بحاكم
عدا السابق السامي اليه وتاله — مع الجد والفتح الخيال اللازم
عبيد لمولانا خضوع لأمره — وكل فتى فى الدين عبد لآدم
هو الحاكم المولى بناسونه يرى — ولاهوته يأتي بكل العظائم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب — فوحد بعين العلم بين العوالم
سيطلق سيف الحق فيكم لجهلكم — ويحصدكم كالزرع من غير راحم
ويظهر سيف للتميمي مشهر — على جمعكم والفعل من غير آثم

ويلي ذلك رسالة فى التأويل وابطال الظواهر الشرعية وتفسير معانيها على وفق علم الحروف وقواعده ، واتصال الاسماعيلية بالحروف قديماً وقد رأيت رسالة لمنصور اليمن الداعي والحجة زمن المهدي تحت عنوان (الرشد والهداية) وقد طبعت بمصر ، وكلها تسير فى تفسير المقاصد الإسماعيلية على الحروف وأصولها عندهم

وإليك بعض ما جاء فى (رسالة التأويل) فى هذه المجموعة : « .. الحج قال : (لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قال أهل الظاهر : إن الحج هو المجيء الى مكة ، والوقوف بعرفات ، واقامة ... ، والحرم بمكة اثنا عشر ميلاً من كل جانب ... وقد شاهدنا فى هذا الحرم قتل الأنفس ونهب الأموال ... وجميع ما يعملون ضرب من ضروب ... ومولانا قد قطع الحج سنين كثيرة ، وقطع عن الكعبة كسوتها ، ليبين للعالم أن المراد غيرها ... وقال الشيوخ فى الباطن : إن الحرم هي الدعوة ، وللدعوة اثنتا عشرة حجة ، والبيت دليل على الناطق ، والحجر دليل على الأساس ، والطواف به سبعة هو الاقرار به فى سبعة أدوار ... الى آخر ما فى هذه الرسائل من هذيان وسفساف الأقوال . . . وطريقة الحروف التي فى هذه الرسالة هي طريقة حساب الجمل الصغير كقوله : « ان التوحيد اذا دققته فى حساب الجمل الصغير ، وجدته اثنين وثلاثين (ت) (٤) (و) (٦) (ح) (٨) (ي) (١٠) (د) (٤) الى آخره وفى آخر الرسالة : « ورفع هذا الكتاب الى الحضرة اللاهوتية فى شهر صفر سنة ثماني وأربع مئة من

الهجرة ، وهي أول سنين ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا ــ جل ذكره ــ حمزة بن أحمد »

ويلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (بدء التوحيد لدعوة الحق) : « كتابي اليكم معاشر الإخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم وأوصيكم عما أيدني به مولانا وأمرنا به من اسقاط ما يلزمكم اعتقاده من الأدوار الماضية الخامدة ، والشرائع الدارسة الجامدة ، وما منهم ناطق إلا وقد نسخ شريعة من كان قبله من المتقدمين ومحمد بن عبد الله الناطق السادس لما ظهر بالنطق ، نسخ الشرائع كلها ومولانا الحاكم قد نسخ شريعة محمد بالكمال ، ظاهراً للمؤمنين ذوي الأفضال ، وباطناً للموحدين أولي الألباب وقد بينت لكم فى الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم واعلموا أن مولانا ــ جل ذكره ــ قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية ، وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية ، أولها وأعظمها سدق اللسان ، وثانيها حفظ الاخوان ، وثالثها ترك ما كنتم عليه وتعتقدونه من عبادة العدم والبهتان ، ورابعها البراءة من الأبالسة والطغاة ، وخامسها التوحيد لمولانا ــ جل ذكره ــ فى كل عصر وزمان ودهر وأوان ، وسادسها الرضى بفعله كيف كان ، وسابعها التسليم لأمره فى السر والإعلان واعلموا أن جميع الأسماء التي فى القرآن تقع على السابق والتالي والجد والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجة والداعي ، فتلك عشر كاملة ، كلها الى عليّ بن أبي طالب وهو علي بن عبد مناف ، وهو أساس الناطق ونهايته المهدي بالله وهو سعيد بن أحمد . والمهدي نطق بلسانه ، وأقرّ فى عصره وزمانه ، أنه عبد مملوك لمولانا القائم العالم الحاكم ــ علينا سلامه ورحمته ــ وأنه كان آلة للدعوة ووعاء لها ، وكان فيه شيء مستودع ، فأخذه منه المولى الأعظم معاشر الموحدين لمولانا ــ جل ذكره ــ قد حان ظهور الحقائق ، ونسخ الشرائع والطرائق ، فاستعدّوا لقتل العلوج الضلال ... عملت هذه الرسالة فى شهر رمضان أول سنين قائم الزمان ، وهي سنة ثماني وأربع مئة للهجرة . »

ومن هذا التأريخ وما مر مثله كثيراً ، يعلم أن واضع هذه الرسائل حمزة بن أحمد بن علي أخذ يجعل ابتداء دعوته فى ألوهية الحاكم ابتداء تأريخ جديد على نظير تأريخ الهجرة ؛ لأن

الحاكم كان خليفة قبل وقت الدعوة الالٓهية وفى سنة ثمانٍ ، ظهرت هذه الدعوة ، فأرخ حمزة بها

ويلي هذه الرسالة رسالة (ميثاق النساء) ، وقد مرّ الكلام عليها فى المجموعة السابقة . ويلي ذلك (رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد ، الى كافة الموحدين المتبرين من التلحيد) ، وافتتحت هذه الرسالة بما يلي : « ... تأليف عبد مولانا ـ جلّ ذكره ـ هادي المستجيبين ... رفع نسخها الى الحضرة اللاهوتية بيده في شهر المحرم ، الثاني من سنيه المباركة نسخت عن خط قائم الزمان ، بغير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان توكلت على مولانا عالٍ كل الملل ، ومبدع القديم والأزل ، وناسخ الشرائع والملل ، سبحانه وتعالى عن مقالات السفل ! قد سمعتم معاشر الموحدين لمولانا العابدين له وحده دون غيره ، الطالبين رحمته ، ما تلوت عليكم من نسخ الشرائع ، وانفراد مولانا وتنزيهه عن البدائع » ، وهكذا تستمر هذه الرسالة عدة صفحات فى إثبات الربوبية والتوحيد والتأليه ووجوب العبادة للحاكم ومما جاء فيها : « فالحذر الحذر أن يقول واحد منكم بأن مولانا ـ جلّ ذكره ـ ابن العزيز ، أو أبو علي ، لأنه هو هو في كل عصر وزمان ، يظهر فى صورة بشرية ، وصفة مرئية ، كيف شاء حيث شاء وأجل داعٍ لمولانا في الظاهر (ختكين) وهو عبد ضعيف ، وأجل داعٍ فى الحقيقة الامام وهو مملوك مولانا .. »

ومن هذه العبارة الأخيرة يظهر لك أن حمزة أخذ يسمي نفسه الإمام ، كما تمرض نقداً لداعي الدعاة ختكين الضعيف الذي أشرنا اليه فى أول المقالة ، وأنه عارض كثيراً فى فكرة التأليه ، حتى أرسل الى العراق فى طلب حجة العراقيين حميد الدين الكرماني ، ليرد على أصحاب هذه الفكرة وقد وصل هذا الى القاهرة ، وأبطل برسائل عديدة هذه الفكرة ، وطبع الدكتور محمد كامل حسين من رسائله الرسالة (الواعظة) فى ابطال تأليه الحاكم ، كما يظهر من الرسالة التي كتبت فى شهر المحرم ، الثاني من سني حمزة أن الحاكم بعد غيبته سيرجع ويقتل الناس الذين أنكروا رجوعه فى مصر والشام وبغداد وبلخ ، ويوحد الأديان « وتبلغ الكلمة نهايتها والكتاب أجله ، وترتفع الشرائع بالكلية ، ويظهر المذهب الأزلي ، ويعبد مولانا ـ جلّ ذكره ـ بسائر اللغات ، ويعرفونه بسائر الأسماء والصفات »

ويلي ذلك رسالة كبيرة واسعة فى تأليه الحاكم ، والرد على المعارضين لفكرة التأليه وقد ذكر فى أثناء كلامه أسماء المعارضين ، أمثال : علي بن الحبال ، ونشتكين ، والبرذعي وقد كان هؤلاء الثلاثة من أصحاب حمزة ، ثم خرجوا عليه وعارضوه ، كما يذكر الحروب التي قام بها هؤلاء المعارضون ومما جاء فى هذه الرسالة : « وقد أرسلت الى القاضي عشرين رجلاً ، ومعهم رسالة رفعت نسخها الى الحضرة اللاهوتية ، فأبى القاضي واستكبر ، وكان من الكافرين واجتمعت على غلماني ورسلي الموحدين لمولانا ـ جل ذكره ـ زهاء مئتين من العسكرية والرعية ، وما منهم رجل ومعه السلاح ، فلم يقتل من أصحابي إلا ثلاثة نفر » ثم يأخذ فى تعداد الحروب حتى قال : « وقد اجتمعت عند مسجد ريدان سائر الأتراك بالجواشن والزرد والخوذ والتجافيف ، ومن جميع العساكر والرعية زائد عن عشرين ألف رجل ، وقد نصبوا على القتال بالنفط والنار ورماة النشاب والأحجار الى آخر المعركة التي يصفها وصفاً مسهباً ، ويكون النصر له ولأصحابه وكلمة القاضي التي وردت في هذه الرسالة يعني بها أحمد بن محمد بن أبي العوام الذي أنكر على أصحاب هذه النحلة فكرهم ، وجاهر بجامع القاهرة بمعارضتهم ، وثار الناس عليهم .

ويلي ذلك كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا ـ جل ذكره من الهزل وهي رسالة كبيرة كلها فى تأويل أعمال وأوضاع الحاكم ، وتعليل شذوذه وما يرويه العامة عنه ، وتفسير ذلك تفسيراً قد مليء هذراً ، كقوله : « وما ينكره العامة من تربية الشعر ولباس الصوف وركوب الحمار بسروج غير محلاة لا ذهب ولا فضة والثلاث خصال معنى واحد ، لأن الشعر دليل على ظواهر التنزيل ، والصوف دليل على ظواهر التأويل ، والحمير (التي يركبها الحاكم) دليل على النطقاء ، والسروج بلا ذهب ولا فضة دليل على بطلان الشريعتين : الناطق والأساس ، واستعمال حلي الحديد على السروج دليل على إظهار السيف على سائر أصحاب الشرائع ، والدخول الى السرداب والخروج الى البستان والصحراء دليل على ابتداء ظهور مولانا سبحانه بالوحدانية ثم إنه ـ علينا سلامه ورحمته ـ يدور حول البستان المعروف بالحجازي دليل على الكلمة الأزلية ، ثم انه يبلغ الى القصور وهما قصران خربان دليل على بطلان الشريعتين وخرابها ،

ونزوله عن الحمار وركوبه آخر محاذي باب مسجد ريدان دليل على تغيير الشريعة واثبات التوحيد وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن أحمد ومملوكه هادي المستجيبين وأما ما يروونه من وقوفه فى الصوفية واستماعه لأغانيهم والنظر الى رقصهم ، فهو دليل على ما استعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللهو وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع قدام مولانا ، فهو دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامة وأما الصراع ، فدليل على مفاتحة الدعاة بعضهم بعضاً .»

الى آخر الرسالة ، وهي طويلة جداً ، تشرح جميع أوضاع الحاكم وأوصافه ، لذلك تعد خير سند لدراسة هذا الخليفة الغريب الأطوار ومسجد ريدان هذا ، كان مأوى حمزة وأصحابه ، فكان الحاكم اذا وصل اليه خرج له حمزة بن علي ، وكلمه مدة على انفراد

ويلي ذلك رسالة بعنوان (السيرة المستقيمة) وتبدأ بظهور الحاكم فى العصور المتعاقبة منذ البدء ، ثم آدم وحواء ، ثم عصر الحاكم ومما جاء فى هذه الرسالة المهمة من الناحية التأريخية :

« فلما كملت حدود آدم ، وبث دعاته ، وكثر المؤمنون ، وتظاهر حارث بن رماح بضديته ، وصار البلد حزبين موحدين ومشركين ، أمرهم (شنطيل) بالتبري . فاذا التقى رجل من الموحدين بأخيه ، يقول : اهجر إبليس وحزبه ، فيقول : قد هجرته عند ذلك سميت مدينة صرنة هجراً وكان أهل الأحساء يسافرون اليها للبيع والشراء ، فدخل اليها رجل من علماء الأحساء يقال له (صرصر) فكاسره بعض الدعاة ، وأخذ عليه العهد من وقتـــه ، وأتى به الى (شنطيل) ، فأطلقه داعياً بالأحساء وأعمالها ، فخرج الرجل من وقته الى الأحساء ، وأخذ العهد على خلق كثير وقال لهم : اذا دخلتم هجراً ، فعبسوا وجوهكم ، وقرمطوا آنافكم على أهلها ، فان فيها رجلاً يقـال له حارث بن ترماح الأصبهاني ، وله أصحاب كثيرة ، وكلهم قد خالفوا أمر مولانا البـار العلام ، وجحدوا فضيلة الإمام ، فلا تخاطبوا أهلها بشيء من العلم إلا لمن يحضر معكم مجلس (شنطيل) الحكيم فقبلوا من الداعي (صرصر) ، وفعلوا ما أمرهم به من العبسة والقرمطة ، فلقبوهم بالقرامطة الى وقتنا هذا ، وصار ذلك اسماً فى بلاد الفرس وأرض خراسـان ، اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا « هذا قرمطي » ، ويسمون مذهب الاسماعيلية « القرامطة » بهذا السبب وكان أبو طاهر وأبو سعيد وغيرهما من القرامطة دعاة لمولانا البار ـ سبحانه ـ يعبدونه . » الى آخر

الرسالة ، وهي طويلة ، يذكر فيها جميع الثورات والحروب التي وقعت فى عهد الحاكم فى مصر وإفريقية والحجاز والرملة ، كثورة برجوان وابن عمار ملك المغاربة وملوك كتامة وأبي ركوة الوليد بن هشام الأموي ومفرج بن دغفل بن جراح واخوته وأولاده وبدر بن ربيعة

ومما قال فى أثناء وصف هذه الثورات :

« وكان أهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الذي نافق بمكة ، ومجيئه الى الرملة ، واجتماعه مع ابن جراح وأولاده ، وما بالحضرة أحد من العسكرية ولا من الرعية الا وهو يعتقد بأن حسين بن جعفر الحسني يجيء مع مفرج بن دغفل ، ويكبسون القاهرة وكان المولى — جل ذكره — يركب كل يوم وليلة ، ويخرج المتمة من القاهرة ، ويدخل صحراء الجبل .. ولم يرجع الحسني الى مكة حتى وقعت العداوة بينه وبين أبن الجراح ، وأراد ابن الجراح قتله ، ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل ، وملوك الأرض كافة قد عجزوا عن هذا » وهذه الواقعة التي قام بها حسين بن جعفر الحسني أمير الحرمين بمساعدة حسان بن مفرج الجراح ، ذكرها كثير من المؤرخين ، كما ذكروا ثورة القرامطة فى البحرين والأحساء ، وأن البلاد كلها سلمت لأبي طاهر وأبي سعيد ما عدا هجراً التي عجز عن فتحها القرامطة وتفسيره لكلمة القرامطة أصح تفسير لهذه الكلمة التي عجز عن معرفة معناها بالضبط ، فقوله « قرمطوا آنافكم » أي تكبروا عليهم ، وارفعوا آنافكم تجبراً ويؤيده قول الحمادي : « وأول من لقب بقرمط حمدان ابن الاشعث . وكان خروجه سنة ٢٦٤ هـ . أما أبو سعيد الجنابي ، فكان خروجه سنة ٢٨٦ هـ ، ولقب بقرمط لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى »

ويلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) ، وهي رسالة واسعة فى ستين صفحة كبيرة ، شرح فيها مذهب الاسماعيلية وبعض فرقها الخاصة شرحاً واسعاً ، وفسر التعابير المتداولة عندهم والآيات ، الى غير ذلك مما يطول الكلام فيه لو أردنا شرحه ، وسلك فى تفسيرها على وفق الحروف ، فأشبهت (رسالة الرشد والهداية) للحسين بن فرح بن حوشب المعروف بمنصور اليمن ، وقد طبعت هذه الرسالة فى مجلة الجمعية الاسماعيلية بالهند وعلى انفراد ؟

(للبحث صلة) عبد الحميد الدجيلي



باب الكتب

انباه الرواة على أنباه النحاة

تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي الوزير المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

نشرته دار الكتب المصرية ، الجزء الأول وعدة صفحاته ٣٨٣ + ٣٠ للمقدمة ، بتحقيق الأستاذ المحقق محمد أبي الفضل ابراهيم ، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م — ١٣٦٩ هـ.

كان هذا الكتاب من أمهات الكتب الحاوية لتراجم النحويين المكرّر ذكرها فيما أُلِّفَ بعدها من هذا الفن التأريخي ، ولطالما اشتقنا الى قراءته والاستفادة منه ، لما حواه من أخبار صحيحة وفوائد طريفة ، ولتأخر زمانه عن زمان معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وللفرق الواضح بين المؤلفين ، فان القفطي كان غزير الأدب والفضل ، قد احتوى على فنون من العلوم كالنحو واللغة والفقه والأصول وعلم القرآن والمنطق والهندسة والنجوم والكتابة التي هي أبين آلات الوزارة فى تلك الأزمان ، جمع ذلك الى سيرة حسنة وخلق كريم وديانة سليمة من كل طعن ، مع أن الزندقة أسرع الى دارسي علم الأوائل من النار الى يبيس العرفج ، ولم نأخذ عليه فى هذا الجزء الا أمراً طفيفاً مألوفاً ، هو نقله عدة تراجم من « ذيل تأريخ ابن الدبيثي » من غير إشارة إليه[1] ، مع أنه أشار اليه فى كتاب له آخر[2]

---

(١) هي ترجمة ابن الأشقر (ص ٨٧) وأحمد بن الزاهد المخزومي (ص ١٣٨) والوجيه (ص ١٨٩) واسماعيل بن الجواليقي (ص ٢١) وأخيه اسحاق (ص ٢٣٠) وأسعد العبرتي (ص ٢٣٥) واقبال ابن الغاسلة (ص ٢٣٦) والحسن الحويزي (ص ٢٧٥) راجع النقدة ٣١ للمقابلة ، والحسن المحولي (ص ٣١٥) وابن عبيدة الكرخي (ص ٣١٦) (راجع النقدة ٣٤ للمقابلة أيضاً) وحبشي بن محمد (راجع النقدة ٣١)

(٢) هو « المحمدون من الشعراء » المحفوظة نسخته بدار الكتب الوطنية بباريس ، ورقمه (٣٣٣٥) قال في الورقة ١ : « أقول : كتب الي محمد بن سعيد بن يحيي الدبيثي : أنشدنا ... » ، وكرر ذلك في عدة تراجم وفي التنبيه على الجزء تنبيه على الكل ، فلذلك يكون في « الانباه » كالمصرح بمن نقل عنه وبما نقل منه

وقد انتدب لإخراج هذا الكتاب الممتع النافع الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم من موظفي دار الكتب المصرية ، وطبعته هذه الدار في جملة ما طبعته من الكتب الأدبية والكتب التاريخية ، وقدم له الأستاذ مرسي قنديل مقدمة تصديرية جميلة ، فاستوجبا الثناء الحسن والشكر الأوفى ، فان القيام بطبع هذا الكتاب وأمثاله ، من الأعمال الأدبية الضخمة الفخمة . وأعني بالقيام حسن طبعه واتقانه من حيث تحقيق النص وضبط الشكل وتوضيح الأنساب والإحالة على مظان التراجم في الكتب الأخرى وإذا أيقنا أن هذا العمل الأدبي البارع هو عمل فردي انتدب له الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم المذكور ، ظهرت لنا وجاهة التغاضي عن التقصير ، واتضحت أسباب التجاوز عما فرّط فيه هذا الأديب المحقق المدقق ، مستفرغاً الطاقة ، وباذلاً المجهود ، بحيث أصبح في أوسع العذر . ولكننا إذ نستدرك عليه ما فاته ، لا نريد الكشف عن تقصيره ، بل افادة القراء والمؤرخين فما فاته في هذا الجزء :

(١) قولُ أبي الأسود الدؤلي كما جاء في « ص ٥ » من الكتاب : « فليُبغني كاتباً لقناً » جعل الفعل رباعياً مما مصدر « إفعال » ، وشرحه في الحاشية بقوله : « يقال : أبغني الشيء أي أعنّي على طلبه » ، مع أن الفعل الذي نطق به أبو الأسود ثلاثي هو « فليبغني » بفتح الباء الأولى ، أي فليطلب لي ، ومعناه « فليحضر لي » . قال الجوهري في الصحاح : « وبغيتك الشيء : طلبته لك ، ومن قول الشاعر : لبيغيه خيراً وليس بفاعل » وقال ابن فارس في المقاييس : « بغيت الشيء أبغيه اذا طلبته ، ويقال : بغيتك الشيء اذا طلبته لك » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وابغني ضالتي : أطلبها لي » فليس المُراد اذن الإعانة على طلب الشيء ، بل طلبه ، ومصداق ذلك قوله : « فأُتي بكاتب من عبد القيس » ، ولم يَقل « فدُلّ على كاتب ... » ، وهكذا ضبط « ابغني » الأستاذ المستشرق فريتس كرنكو في ترجمة أبي الأسود[1] ، وكان الأستاذ الناشر أخلق منه بذلك

(٢) وورود « لغزة » في (ص ٤١ س ٢٥) ، والصواب « لغدة » قال ياقوت الحموي : « الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ولكذة أيضاً الأصبهاني أبو علي » [2] وقال السيوطي :

(١) أخبار النحويين البصريين (ص ١٦) طبعة المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٣٦ م .

(٢) معجم الأدباء (٣/٨١) من طبعة مرغليوث .

« الحسن بن عبد الله أبو علي الأصبهاني المعروف بلكذة (بضم اللام وسكون الذال المعجمة) ويقالة لغدة بالغين » (١)

(٣) وتعيين رجل اسمه « أحمد بن أحمد » نقل سماعاً على الجزء الأول من كتاب « النبات » لأبي حنيفة الدينوري (ص ٤٢) ، وهذا مثال مورد اسمه : « نقله أحمد بن أحمد في جمادى الآخره سنة إحدى وعشرين وخمسمئة » فقال الأستاذ محمد أبو الفضل تعليقاً على أحمد هذا : « هو أحمد بن أحمد الوراق المعروف بابن أخي الشافعي قال ياقوت : هو رجل من أهل الأدب ، رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ، ورأيت خطه وليس بجيد المنظر ، لكنه متيقن الضبط ، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره »

وهذه مجازفة من الأستاذ محمد أبي الفضل في تعيين هذا الرجل ، وذلك لأمور ثلاثة : أولها أنّ الذي قال « نقله » لم ينص على نفسه بقوله « نقله أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي » كما كانت عادته والثاني أن الأستاذ أبا الفضل اقتطع شيئاً من قول ياقوت ، يظهر به زمان ابن أخي الشافعي(٢) ، وهو قوله : « لكني وجدت خطه في آخر كتاب ، وقد قال فيه : كتبه أحمد بن أحمد المعروف [بابن] أخي الشافعي وراق ابن عبدوس الجهشياريّ والجهشياريّ هذا قد ذكر في بابه(٣) . وقد جمع ديوان البحتري وغيره » والثالث أن المصحح الفاضل مع علمه بأن أحمد بن أحمد ابن أخي الشافعي كان وراقاً للجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس ، واطلاعه على ترجمة الجهشياري ، كما قال في (٢٤٢) ، تغاضى عن التأريخ المذكور في (ص ٤٢) وهو سنة ٥٢١ هـ التي ذكرناها في النقل آنفاً

---

(١) بغية الوعاة (ص ٢٢٢)

(٢) معجم الأدباء (١/ ٨١) طبعة مرغليوث وجاء في (ص ٢٤٢) من هـذا الجزء من الانباه ما مثاله : « وذكر أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي وراق الجهشياري ، وكان محققاً » فاسمه مقرون باسم الجهشياري في الغالب

(٣) لم أجده في معجم الأدباء ، وهذا دليل من عدة أدلة على أن الجزء السابع المطبوع هو مختصر من معجم الأدباء ، ولنا مبحث في هذا الموضوع سننشره بعون الله تعالى راجع مقدمة « تأريخ الوزراء والكتاب (ص « هـ ») طبعة مصطفى البابي

ومن المعلوم أنَّ أبا عبد الله الجهشياري توفي سنة ٣٣١ هـ[١] فلا يجوز احتمال أن يبقى وراق بعده حياً أكثر من خمسين سنة ، فهو اذن لم يدرك القرن الخامس ، ويصبح من المحال أن يؤرخ كتابته المذكورة بسنة ٥٢١ هـ والظاهر لنا أنَّ « أحمد بن أحمد المذكور » هو « أبو السعادات المتوكلي » قال البنداري : « أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله الهاشمي أبو السعادات المتوكلي ، كان يسكن التوثة ، إحدى المحال الغربية[٢] . شريف صالح دّين خيّر ، حافظ لكتاب الله كثير الدرس له ، سمع الكثير ، وعمّر حتى حدّث ونقل عنه . سمع أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب وأبا جعفر محمد بن أحمد بن عمر بن المسلمة المعدّل وغيرهما قال السمعاني : سمع منه جماعة من مشايخنا ورفقائنا ، وتوفي قبل دخولي بغداد ختم القرآن في الصّلاة ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة احدى وعشرين وخمسمئة ، ورجع من المسجد الى بيته ، ووقع من السطح فى التوثة ، ومات من ساعته ، ودفن بمقبرة باب الدير عند قبر معروف الكرخي رحمه الله ، وكان بلغ من العمر ثمانين سنة »[٣] فعلى هذا يكون قد نقل ذلك السّماع قبل وفاته بثلاثة أشهر وأيّام ، ولولا انحصار حدوث الكتابة بين جمادى الآخرة وشهر رمضان لكان للشك مجال

(٤) وتحريف البُسري ، ففي (ص ٤٣) : عن أبي القاسم علي بن أحمد السري » ، والذي حفظناه « البُسريّ » ، قال السمعاني فى « البُسري » من الأنساب : « وجماعة من أهل العراق نسبوا الى بيع [البُسر] وشرائه وفيهم كثرة وظني أن أبا القاسم علي بن أحمد ابن محمد بن البُسري البندار منهم ، وهو شيخ بغداد فى عصره ، سمع ... وروى عنه ... فى جماعة أكثر من ثلاثين نفساً ، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، وكانت ولادته فى حدود سنة ثمانين وثلاث مئة وقال الذهبي في « البُسري » من المشتبه (ص ٤٢) : « وأبو القاسم ابن البُسري صاحب المخلّص منسوب الى بيع البُسر وأما ابن نقطة ، فقال : « الصحيح

---

(١) الكامل في حوادث هذه السنة والنجوم الزاهرة (٣/٢٧٩)

(٢) يعني من بغداد ، وكانت قرب مقبرة الشيخ جنيد الحالية

(٣) تاريخ بغداد للفتح بن علي البنداري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس بخطه ٢١٥٢ ورقة ٢ » وله ترجمة في المنتظم (٧/١٠) والشذرات (٤/٦٤)

في هذه النسبة أنها الى البُسرية ، قرية على فرسخين من بغداد ، وابنه الحسين شيخ للسلفي[1]

(٥) وضبط « الحسن » في (ص ٤٢ ـ ٣) وذلك في « الشيخ يحيى بن الحسين بن أحمد بن البناء » ، والصحيح أنه « الحسن » لا الحسين ، قال زين الدين ابن رجب : « يحيى ابن الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البناء أبو عبد الله ابن الإمام أبي علي »[2] ، وقال ابن العماد في وفيات سنة ٥٣١ هـ : « وفيها أبو عبد الله يحيى بن الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي »

(٦) ومعنى « الهجم » في قوله (ص ٦٦) : « قبل هجم الكفار عليها » يعني المرة ، قال أبو الفضل في الحاشية : « كذا في الأصل والمسموع هجوم » قلنا : أراد الهجم بمعنى الهدم ، الا أنه ظنّه لا يصل الى معموله إلا بحرف الجرّ ، وكان حرياً أن يقول « قبل هجم الكفار لها أو إياها » ، ولعلّ بعض النسّاخ غير « لها » الى « عليها » قال أبو العباس المبرد في قول علقمة بن عبدة يصف الظليم :

صعل كأنّ جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجومُ

« والمهجوم : المهدوم »[3] وقال الجوهري في الصحاح : « وهجمتُ البيت هجماً : هدمته » وقال الزمخشري : « وهجم البيت : هُدِم ، من وبر كان أو مدر ، وريح هجوم : تهجم البيوت » وكانت نتيجة هجوم أولئك هجماً للمدينة .

(٧) واضطراب اسم المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأَزَجيّ[4] في (ص ٦٨) ، فقد جاء فيها : « أنشدنا أحمد بن المبارك بن عبد العزيز الأزجي » والصحيح « المبارك بن أحمد ابن عبد العزيز الأزجي » كما جاء ثانية في الصفحة عينها ، قال ابن الجوزي في وفيات سنة

---

(١) ولأبي القاسم ابن البسري ترجمة في المنتظم (٨/٣٣٣) ، ودول الاسلام (٢/٥) والشذرات (٣/٣٤٦) .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « نسخة خزانة الأوقاف العامة المصورة » (ص ١٢٨) ، و (١/٢٢٦) من طبعة المعهد الفرنسي بدمشق

(٣) الكامل في الأدب (٣/٤) طبعة المطبعة الأزهرية

(٤) الأزجي : منسوب الى باب الأزج ، محلة كبيرة بشرقي بغداد ، كانت في أرض محلة باب الشيخ عبد القادر ومحلة رأس الساقية الحاليتين وقد تصحف الأزجي على الناشر الى « الأرجي »

٥٤٩ هـ : « المبارك بن أحمد بن عبد العزيز ... الخزرجي الأنصاري أبو المعمر ... » [١]

وقال ابن تغري بردي نقلاً من اشارة الذهبي : « والحافظ أبو المعمّر المبارك بن أحمد الأنصاري الأزجي [٢] » ، وقال ابن العماد : « ... أبو المعمر الأنصاري المبارك بن أحمد الأزجي الحافظ ... » [٣]

(٨) وشيء من مظان ترجمة الباخرزي أبي الحسن علي بن الحسن مؤلف الدمية ، فانه أحال في ترجمته (ص ٧٢) على وفيات ابن خلكان حسب ، مع أن له ترجمة في « الباخرزي » من الأنساب ، ومعجم الأدباء [٤] ، وترجمه سبط ابن الجوزي وقال في وفيات سنة ٤٦٧ هـ : « أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي ، صنف دمية القصر في شعر أهل العصر ، والعماد الكاتب حذا حذوه وكان الباخرزي فريد عصره ، وله ديوان مشهور ... قتل الباخرزي على مجلس الشراب في هذه السنة ، وذهب دمه هدراً ـ سامحه الله [٥] ـ ... »

وقال الذهبي في وفيات السنة المذكورة : « علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الرئيس الأديب أبو الحسن الباخرزي الشاعر مصنف دمية القصر ، كان واحداً في فنه ، تفقه في مذهب الشافعي ، ولازم أبا محمد الجويني [٦] ... » ، وترجمه تاج الدين السبكي [٧] وابن تغري بردي [٨] وابن العماد [٩]

(٩) وتصحيف اسم « المزرفي » فقد ورد في (ص ٨٩) : « قرأ بالقراءات على أبي بكر المرزوقي » ، والصّواب « المزرفيّ » ، ذكر ياقوت في معجم البلدان : « أن المزرفي منسوب الى مزرفة بالفتح فسكون وراء مفتوحة وفاء قرية كبيرة فوق بغداد » وقال الذهبي في المشتبه (ص ٤٧٨) : « المزرفي أبو بكر محمد بن الحسين المقرىء مشهور ، حدث عنه أبو الفتح

---

(١) المنتظم (١٠ ص ١٦٠ س ١١)

(٢) النجوم الزاهرة (٣١٩/٥) (٣) الشذرات (١٥٤/٤)

(٤) ٥ / ص ١٢١ من طبعة مرغليوث

(٥) مرآة الزمان ، « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ ورقة ١٥٨ »

(٦) تاريخ الاسلام « نسخة المتحفة البريطانية ١٥٠٥٠ ورقة ١١١ »

(٧) طبقات الشافعية الكبرى (٢٩٨/٣) (٨) النجوم الزاهرة (٩٩/٥)

(٩) الشذرات (٣٢٧/٣) ، وفيه : أنه قتل بالأندلس ، وهو وهم مبين ، وانما قتل بمجلس أنس

المنذاني » وقد كان قال (ص ٣٥٧) : « وأبو بكر محمد بن الحسين المزرفي الفرضي ، مات سنة ٥٢٧ هـ » وقال ابن رجب في ترجمته : « والمزرفي نسبة الى المزرفة ، قرية بين بغداد وعكبرا ، ولم يكن منها ، انما انتقل أبوه اليها أيام الفتنة فأقام بها مدة فلما رجع الى بغداد قيل له المزرفي » [1] ولعل هذا القول منقول من تاريخ ابن الجوزي [2] وقال الذهبي : « محمد بن الحسين بن علي أبو بكر المزرفي ، ومزرفة قرية بين بغداد وعكبرا ، المقرىء الفرضي المعروف أيضاً بالحاجي ... » [3] وكانت نسبة « المزرفي » قد تصحفت على غير مصحح الإنباه ، كما جاء في تاريخ ابن تغري بردي ، فقد ذكر المصححون الفضلاء أنها وردت في الأصلين « الميورقي » ، فأصلحوها على المنتظم وعقد الجمان ومعجم البلدان [4] وتصحفت على شمس الدين الجزري وابن العماد الى « المزرقي » [5] ، ولا يزال موضع المزرفة معروفاً في العراق ، فما كان أحرى المصحح الفاضل بالاستفادة ممن سبقه في هذا الفن

(١٠) وتعيين حقائق الأعلام ، فقد جاء في (ص ٩٩) قول القفطي : « وكان ينزل بالحظيرة من نواحي دجيل » ، فعلق به المصلح : « دجيل : موضع على نهر دجيل » والصحيح أنّ دجيلاً هنا اسم لمواضع كثيرة ، منها الحظيرة ودور بني أوقر التي عرفت بدور الوزير وبشيلة وكنّر وحربى « الأخنونية » ورت وأوانا وراندس وروغا وبارتا وباحمشا وباطرنجا وباقدارا وباقطايا وبُصرى وعُورى وبلد وعقرقوف والعلث والجبابين والجد وجوزران والجوسق والجويث ودير باشهرا ودير الخوات ودير الجاثليق ودرتا وديرها ودير العلث وشاذ هرمز وصريفين والسيلحين وخصا والقبيصية والقفص وكركر والمزرفة ومسكن وواسط ونهر بيطر ونهر ناب ونهر بشير والمنارية ، فهذه من نواحي دجيل

(١١) وتصحيف « جياناباذ » فقد جاء في (ص ٩٤) « من القرية المدعوة كرسف

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٢١٦)

(٢) المنتظم (١٠/٣٣) قال أبو الفرج : « محمد بن الحسين بن علي ... أبو بكر ، ويعرف بالمزرفي ولم يكن من المزرفة ، وانما انتقل الى المزرفة أيام الفتنة ، فأقام بها مدة ، فلما رجع قيل له المزرفي ... »

(٣) معرفة القراء الكبار « نسخة دار الكتب الوطنية »

(٤) النجوم الزاهرة (٥/٢٠١)

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/١٣١) ، والشذرات (٤/٨١)

جياناتاذ » ، والذي نقله ياقوت الحموي « جياناباذ »[١] ، وقد رجم أبو جعفر الطوسي أبا الحسين بن فارس هذا ، ولم يُشر المصحح الى ذلك[٢] ، فلعله لم يطلع على هذا الكتاب

(١٢) وتحريف تأريخ ورود ياقوت لنيسابور ، فقد جاء في حاشية (ص ١٢٢) قوله : « قال ياقوت : وقفت بنيسابور عند أول ورودي اليها في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة » ، والصحيح « وست مئة » على ما هو معلوم مشهور

(١٣) وتصحيف « فناخسرو » الى « فناخس » ، فقد جاء في (ص ١٢٩) أن مؤلف طبقات علماء همذان هو « شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخس » ، وقال بعده : « وضع كتابه في تأريخ همذان ، وذيّله أبو شجاع محمد بن الحسين الهمذاني المتوفى سنة ٥٠٩ ـ كشف الظنون » ، ثم قال في (ص ٣٢٥) : « هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الحافظ أبو شجاع الديلمي ، مؤرخ همذان ومصنف كتاب الفردوس ، ولد سنة ٤٤٥ هـ ، وسمع محمد بن عثمان القوساني ويوسف بن محمد المستملي وأبا الفرج علي بن محمد الحريري وغيرهم ببلاد كثيرة ، كان يلقب أليكا (كذا : الكيا) مات سنة ٥٠٩ طبقات الشافعية (٤/٢٣٠)

فأما « فناخسرو » ، فقد ظهر تصحيفه في النقل الأول وأما ما نقله من كشف الظنون فلا يتجاوزه المحقق من غير تمحيص له لظهور الاضطراب عليه ، فان صاحب كشف الظنون بعد ذكره هنا أن أبا شجاع توفي سنة ٥٠٩ ، يقول في مادة تجارب : « تجارب الأمم وتعاقب الهمم : في التأريخ لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه ... وهو كتاب عظيم النفع ، ذيّله أبو شجاع محمد بن الحسين وزير المستظهر المتوفى سنة ثمان وثمانين وأربع مئة » ، فأيّ التأريخين هو الصحيح ؟ لا شك في أنّ الثاني هو الصحيح باجماع المؤرخين[٣] ، وأخطأ ابن الطقطقي في أن جعل تاريخ وفاته سنة « ٥١٣ »[٤] وهي سنة وفاة ابنه أبي منصور الحسين بن

(١) معجم الأدباء (٢/١٢) (٢) الفهرست (ص ٣٦) من طبعة النجف بالعراق

(٣) راجع « المنتظم » (٩/ ٩) ، والكامل في حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، والوفيات (٢/١٨٣) طبعة بلاد العجم ، وتأريخ الاسلام في ذيل تجارب الامم (ص ٢) ، وطبقات السبكي (٣/٥٧)

(٤) التأريخ الفخري (٢٢٠) من الطابعة المصرية الأولى

محمد الملقب بالربيب وزير المستظهر بالله[١] ، ثم إن أبا شجاع لم يَزِر المستظهر بالله ، وانما وزر ابنه الحسين المذكور له ، ويظهر مما قدمنا أن السنة ٥٠٩ هي سنة وفاة شيرويه ، لا وفاة أبي شجاع ، ويتضح أن أبا شجاع تقدم زمانه على زمان شيرويه ، فلا يصح أن يكون ألف ذيلاً لتأريخه كما جاء في الكشف ، فتأمل مؤدى التحقيق ومآله وثمرته وجماله

(١٤) وفاتته فصاحة ضبط « اليماني » ، فقد ضبطها في (ص ١٣١) « اليمانيّ » بتشديد الياء ، والفصيح تخفيف الياء . قال الجوهري في الصحاح : « اليمن بلاد للعرب ، والنسبة اليهم يمني ويمانٍ مخففة والألف عوض عن ياء النسب ، فلا يجتمعان . قال سيبويه : وبعضهم يقول « يمانيّ » بالتشديد ، قال أمية بن خلف :

يمانيّاً يظل يشدُّ كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

وقوم يمانية ويمانون كقولهم ثمانية وثمانون . وامرأة يمانية » فالنثر يستوجب تخفيف الياء من « اليماني » ، ويؤيده قول الفيومي في المصباح : « والنسبة اليه يمني على القياس ، ويمانٍ بالألف على غير قياس ، وعلى هذا ففي الياء مذهبان أحدهما وهو الأشهر تخفيفها ، واقتصر عليه كثيرون ، وبعضهم ينكر التثقيل ، ووجهه أنّ الألف دخلت قبل الياء لتكون عوضاً عن التثقيل ، فلا يثقل لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ، والثاني[٢] التثقيل ، لأن الألف زيدت بعد النسبة ، فيبقى التثقيل الدالُّ على النسبة تنبيهاً على جواز حذفها » فالتخفيف هو الراجح .

(١٥) وتصحيف « الراوي » الى الرازي في (ص ١٤٠) مع أن الخبر لم يحتو على رازيّ متقدم ، وأوله : « ودخل عليه رجل جاهل فقال له ... » ، وحينئذ يصح قوله « قال الراوي »

(١٦) وفاته أن يفهم النصّ الذي مثاله في (ص ١٤٣) : « وقال بعض الطاهرية يوماً لثعلب »[٣]. والظاهر أنه وصف « الطاهرية » بما وصفه اعتماداً على معجم البلدان لياقوت

---

(١) ذيل تأريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ ورقة ١٩٥ » ، والكامل من وفيات سنة ٥١٣ هـ.

(٢) الصواب « الآخر » لأنه يقابل « أحدهما » فأما الثاني فهو يلي الأول ، ويجوز أن يكون الثاني أحدهما فيفسد التعبير ويقع المؤلفون كثيراً في هذا الخطأ

(٣) قال في التعليق على هذه الجملة : « الطاهرية قرية من قرى بغداد ، وهي هنا للجماعة المنسوبين اليها ، والتاء فيها دلالة على الجمع وهي على التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة . » .

الحموي من غير اشارة الى ذلك ، وقد خطأه ابن عبد الحق البغدادي ، قال : « وأقول : الطاهرية مغيض من فضلات الماء من برّ دجيل ومن نهر عيسى ، صار نهراً عليه قناطر معقودة بالآجرّ بمدة أبواب ، ويرمي الى دجلة[1] » . فليست الطاهرية بقرية كما ظنّ ياقوت . وأما « الطاهرية » في كتاب « الإنباه » ، فهم المنسوبون الى طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء قائد المأمون . وقد نقلنا آنفاً أنه يقال « قوم عانية وقوم عانون » ، فكذلك « الطاهرية والطاهريون » والمالكية والمالكيون والحنفية والحنفيون والشافعية والشافعيون ويؤيدها ما ذكرنا ورود أسماء جماعة من آل طاهر في الترجمة كما في (ص ١٤٠ ، ١٤٥ ـ ١٤٦) .

(١٧) وفاته أن يحقق « الماذرائي » ، فقد جاء في (ص ١٥٠) : « اتفق أن ابناً لإبراهيم ابن أحمد الباذرائي » ، فقال المصحح في الحاشية : « البادرائي : منسوب الى بادران ، وهي قرية ناحية اصبهان » والصحيح أن نسبته « الماذرائي » كما في معجم الأدباء (٢/١٣٣) ، قال السمعاني في الأنساب : « الماذرائي ... هذه النسبة الى ماذرايا ، وظني أنها من أعمال البصرة .. » وفي المراصد : « ماذرايا : مثل الذي قبله ، إلا أن الياء هاهنا في موضع النون هناك قيل : قرية بالبصرة قال : والصحيح قرية فوق واسط من عمل فم الصلح مقابل نهر سابس ، وهي من طسّوج النهروان الأسفل »

(١٨) وفاته أن يحقق « القنطرة العتيقة » ، فقد جاء في (ص ١٥٥) : « وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية » ، فقال المصحح في الحاشية : « العتيقة : محلة ببغداد الى الجانب الغربي منها » وكون العتيقة من محال بغداد الغربية صحيح ، إلا أنه لايصح أن يكون شرحاً للقول المنقول آنفاً ، وذلك أن صحة هذا القول تستوجب أن يكون « العتيقة » صفة للقنطرة ، لامضافاً اليها ، قال كمال الدين ابن الأنباري : « وعندهم ما جاوز القنطرة العتيقة من الحربية »[2] والقنطرة العتيقة معروفة مشهورة في خطط بغداد دون « قنطرة العتيقة » بالإضافة ، فالقنطرة العتيقة من قناطر نهر الصَّراة في غربي بغداد ، قال الخطيب البغدادي في وصف الصَّراة : « ثم يمرّ الى

---

(١) مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع : « الطاهرية »

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ١٤٩) . طبعة علي يوسف .

القنطرة العتيقة ، ثم الى القنطرة الجديدة ثم يصبُّ فى دجلة » [(١)] وجاء مثله في مختصر مناقب بغداد (ص ١٨) ومعجم البلدان والمراصد [(٢)] ، ويرد ذكر هذه القنطرة فى كتب التاريخ والجغرافيـة كالمنتظم وتأريخ الطبري وبلدان ابن واضح ، وإنمـا وصفت بالعتيقـــة لوجود « الجديدة » ، ولم نجد من ذكر للعتيقة قنطرة ، وان جاز في رأينا أن تكون « القنطرة الجديدة » قنطرة للعتيقة بالنسبة الى موضعها وقربها منها ، ولعلنا لا نقول ذلك جزافاً لعلمنا أكثر من غيرنا بخطط بغداد

(١٩) الاستيفاء فى الشرح ، فقد جاء فى (ص ١٦٨) : « ثم أصعد الى بغـداد » ، فشرحه فى الحاشية بقوله : « أصعد الى بغداد : مضى اليها » ، وهو غير كاف ، وانما معناه « مضى اليها فى الماء » أي ركب مركباً مائياً اليها فهذا معنى الإصعاد عند أهل العراق القدماء

(٢٠) والحفاظ على الأصل فى قوله (ص ١٧٨ ـ س ١١) : « وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثلاثمائة لست خلون من صفر » ، والصحيح أن نفطويه توفي سنة ٣٢٣ هـ كما جاء فى السطر الأول من الصفحة المذكورة ، ويظهر أن « عشرين » سقطت وما التقطت فى « التصحيحات » فى آخر الكتاب

(٢١) واستبانة المعنى كالذي جاء فى (ص ١٩٧) : « وقد قيل إن ابن القطاع لما دخل مصر سئل عن الكتاب (يعني صحاح الجوهري) ، فقـال : ما وصل الينـا الى العرب » ، والصحيح « الى الغرب » ، يعني البلاد الغربية كالأندلس وما جاورها ، فالتفريط فى اعطاء النقطة موضعها ، أدّى الى الاستبهام

(٢٢) ومثله ما فى (ص ٢٠١) ، وهو : « استنسخه اياها تاج الدين بن حمدون كاتب السكة ببغداد » فقال المصحح : « السكة : الدنانير والدراهم المضروبة ، وفى الأصل « السلة » ، وهو تحريف » والتحقيق أن ما ذكره المصحح هو تحريف ، فالسلّة فى اصطلاح الكتّاب العراقيين فى ذلك العصر هي الجونة التي تجمع فيها جزازات الحساب أو الكتاب ، وقد ورد فى

(١) تاريخ بغداد (١/١١٢) (٢) في مادة « الصراة » منهما

ترجمة تاج الدين أبي سعد الحسن بن محمد ابن حمدون هذا الاسم مصحفاً الى « السكة »[١] على عكس ما فى الإنباه ، فما فى الأصل هو الصحيح ، وهـذه السلّة تضاف الى الديوان ، قال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ : « أبو محمد عبد الملك بن ورد كاتب سلّة الديوان ، خدم فى عدة خدم ، حمدت فيها سيرته ، وكان يرجع الى عقل وسلامة جانب »[٢] وجاء فى حوادث سنة ٦٠٤ هـ خبر ابن حمدون المذكور ، قال ابن الساعي : « وفي حادي عشر شعبان عزل أبو غالب هبة الله بن المبارك بن دقسي عما كان يتولاه من ديوان عرض الجيش المنصور ، ووكل به فى الديوان وبكاتب السلّة ، وهو الجمال بن موسى ، ثم أفرج عنهما ... »[٣]

وجاء فى كتاب الحوادث سنة ٦٥٦ هـ ما نصه : « وعز الدين بن أبي الحديد كاتب السلّة ، فلم تطل أيامه ، وتوفي ، فرتب عوضه ابن الجمل النصراني »[٤]. فالصواب ما جاء فى أصل الكتاب وأما كاتب السكة ، فيسمى « الضرّاب »

(٢٣) واستهام النصّ أيضاً عليه ، فقد جاء فى (ص ٢٠٢) : « وحاجتي لنقل كتبي خاصة الى أربع مئة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تحملي » ، والصواب « من تجملي » بالجيم ، أي أظهار جمال حالي ، وبحكم صيغته « تفعّل » يدل على التكلّف قال الجوهري في الصحاح : « والتجمل : تكلف الجميل » ، وكان قال : وقول أبي ذؤيب : « جمالك أيها القلب الجريح » ، يريد الزَمْ تجملك وحياءك ، ولا تجزع جزعاً قبيحاً »

(٢٤) ووهمه فى تعيين « جامع القصر » كما جاء فى (ص ٢١١) ، ففيها : « صلي عليه بجامع القصر » ، قال المصحح فى الحاشية : « هو المسجد الجامع ببغداد ، بناه أبو جعفر المنصور ملاصقاً لقصره المعروف بقصر الذهب تاريخ بغداد (١/١٠٧) قلنا : أما أنه مسجد جامع ، فصحيح وأما أنه جامع المنصور ، فخطأ مبين ؛ لأن جامع المنصور كان فى الجانب الغربي ، وجامع القصر فى الجانب الشرقي ، فليس من التحقيق أن يوحد جامع القصر بجامع

---

(١) معجم الأدباء (٣/٢٠٩) (٢) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (٩/٩٦)

(٣) المرجع المذكور (ص ٢٢٨ ــ ٩) ، وقال بعد ذلك « وفيه رتب تاج الدين أبو سعد ابن حمدون كاتب سلة الديوان العزيز عوض ابن موسى المتقدم ذكره »

(٤) الكتاب الذي استرجح أن يكون الحوادث الجامعة ولم يكن إياه (ص ٣٣٢ ــ ٣)

المنصور ، قال الخطيب البغدادي راوياً : « سنة تسع وخمسين ومئة فيها بنى المهدي المسجد الذي بالرصافة ، فلم تكن صلاة الجمعة تقامُ بمدينة السلام إلا فى مسجدي المدينة (١) والرصافة الى وقت خلافة المعتضد فلما استخلف المعتضد ، أمر بعمارة « القصر » المعروف بالحسني على دجلة فى سنة ثمانين ومئتين ، وأنفق عليه مالاً عظيماً ، وهو « القصر » المرسوم بدار الخلافة وأمر ببناء مطامير فى القصر رسمها هو للصناع ، فبنيت بناءً لم ير مثله على غاية ما يكون من الإحكام والضيق ، وجعلها محابس للأعداء وكان الناس يصلون الجمعة فى الدار ، وليس هناك رسم لمسجد ، وانما يؤذن للناس فى الدخول وقت الصلاة ، ويخرجون عند انقضائها فلما استخلف المكتفي فى سنة تسع وثمانين ومئتين ، ترك « القصر » ، وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد بناها ، وأمر أن يجعل موضعها « مسجد جامع » في داره يصلي فيه الناس ، فعمل ذلك ، وصار الناس يبكرون الى « المسجد الجامع فى الدار » يوم الجمعة ، فلا يمنعون من دخوله ، ويقيمون فيه الى آخر النهار ، وحصل ذلك رسماً باقياً الى الآن ، واستقرت صلاة الجمعة ببغداد فى المساجد الثلاثة التي ذكرناها الى وقت خلافة المتقي » (٢) وقريب من هذا الخبر ما جاء فى مختصر مناقب بغداد (ص ٢١) ومما يثبت لغير العالم بخطط بغداد أن جامع المنصور ، أي جامع المدينة المدورة ، هو غير جامع القصر ، ما ورد فى قول مختصر المناقب : « وما زالت الجمع تقام فى جامع المدينة وجامع الرصافة و « جامع القصر » ومسجد براثا ومسجد القطيعة ومسجد الحربية ... » (٣) .

(٢٥) وتصحَّف اسم أبي تاج الإسلام عليه ، ففي (ص ٢١٢) : « أخبره تاج الإسلام ابن محمود الروزي فى كتابه » والصحيح أنه « تاج الاسلام ابن محمد » ، وهو الإمام المؤرخ الكبير عبد الكريم بن محمد ابن السمعاني صاحب الأنساب وتأريخ بغداد وغيرها ، وقد تقدم ذكره فى الكتاب كما فى (ص ٦٨) ، وورد متأخراً كما فى (٢٧٠) .

---

(١) مسجد المدينة هو مسجد مدينة المنصور ، أي المسجد الجامع الذي بناه المنصور في مدينته بالجانب الغربي . أما جامع القصر ، فقد بني بالجانب الشرقي ، قال ابن الطقطقي في ترجمة المكتفي بالله من كتابه الفخري (ص ١٩١) : « وهو الذي بنى المسجد الجامع بالرحبة ببغداد »

(٢) تأريخ بغداد (١/١٠٩) (٣) مناقب بغداد (ص ٢٢)

(٢٦) واضطراب التأريخ في تعليقه ، فقد جاء في (ص ٢٢٤) قوله : « وتوفي في خلافة الرشيد بعد سنة ١٥٠ خزانة الأدب » وقوله : « في خلافة الرشيد » ، يفيد أن وفاته بعد هذه السنة لزوماً ، لأن الرشيد ولي الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، فلا داعي الى ذكر التأريخ الذي ذكره ، ولعله أراد « بعد سنة ١٧٠ هـ » ، فحصل وهم في النقل

(٢٧) وتصحيف كلمات كما في (ص ٢٣٥) : « وجلس بعد موته في حلبته بجامع المنصور » ، والصحيح « في حلقته » ، فقد كان في هذا الجامع حلقات ، ولم يكن فيه حلبات لسباق الخيل ، وهذا أمر مألوف ، ففي (ص ٣١ س ٣) من هذا الكتاب نفسه : « وعقد له حلقة يقرىء فيها » ، والأدلة على ذلك كثيرة

(٢٨) ووهمه في الإحالة أحياناً كما في (ص ٢٤٢) ، فقد ذكر أن ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في فهرست ابن النديم (ص ١٢٧) ، مع أنها في (ص١٩٤)[1]

(٢٩) وتغلب اللكنة على بعض ملفوظه أو ملفوظ مرتب الحروف ، ففي (ص ٢٥١) : « وانخزل ابن السكيت » ، وانما هو « انخذل » بالذال المعجمة ، والانخذال غير الانخزال الذي هو الانعزال

(٣٠) وكثرة التصحيف ، ففي (ص ٢٧٠) : « شهاب أبو الضياء محمود الشدياني الهروي الوراق » ، والصحيح « أبو الضياء شهاب بن محمد الشيباني » كما مر في (ص ٦٨)

(٣١) ومثله ما في (ص ٢٧٥) : « الحسن بن أحمد بن محمد ... الحورُي » بفتح الثاء ، وفي ص ٢٧٦ « توفي الحسن بن أحمد الحَوثري » والصحيح ، « الحُوَيزي » بالتصغير والنسبة ، قال الذهبي : « وحُويزة : راي بلد بخوزستان ، منه أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان الحوُيزي ، تفقه ببغداد ، وقال الشعر ، وارتقى ، ولم تحمد سيرته وابنه « حسن » شاعر سكن واسط » فالمترجم في الإنباه هو الابن

وقال جمال الدين ابن الدبيثي : « الحسن[2] بن أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان الحويزي

---

(١) ويظهر أن الذي ورد ذكره في (ص ١٢٧) هو ابن ذاك ، قال ابن النديم : « رجل يعرف بابن عبدوس ، واسمه علي بن محمد بن عبدوس نحوي ، وله من الكتب كتاب ميزان الشعر ... »

(٢) راجع (ص ٤٤١) فهناك دعوة للمقابلة بين قول القفطي وقول ابن الدبيثي لاثبات أخذ الأول من الثاني

أبو علي بن أبي العباس العباسي ، وقد تقدم ذكر أبيه. ولد أبو علي هذا ببغداد ، ونشأ وقرأ القرآن الكريم بالقراءات على أبي الكرم المبارك ابن الشهرزوري ، وسمع الحديث منه ومن أبي الفرج عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ وأبي بكر محمد ابن عبيدالله ابن الزاغوني ، وقرأ الأدب علي أبي محمد عبدالله بن أحمد ابن الخشاب وأبي الحسن علي بن عبد الرحيم العصار ، وانتقل فى آخر أمره الى واسط ، فسكنها الى حين وفاته ، وقرأ عليه قوم من أهلها الأدب وتخرجوا به. وكان يُديم الصوم ، ويكثر العبادة ، الا أنه كان مستهتراً بسماع الغناء على طريقة الصوفية ويعلم الأحداث. رأيته بواسط وجالسته ، ولم أكتب عنه[1] شيئاً ، وأظنه حدث بشيء ؛ لأن الأدب والاشتغال به كان يغلب عليه. أنشدني صاحبه أبو الحسن علي بن المعمر المقرىء ، قال : أنشدني أستاذي الحسن بن أحمد الحويزي لنفسه :

غرامي غرامي والهوى ذلك الهوى ... وحبي لكم حبي ووجدي لكم وجدي
وليس محباً من يدوم وفاؤه[2] ... على القرب ، لكن من يدوم على البعد
أحبّاي ، منوا بالوصال ، فانني ... على هجركم غير الصبور ولا الجلد
صرمتم حبالي حين واصلت حبلكم ... وأسكرتموني إذ صحوتم من الوجد

توفي الحسن بن أحمد الحويزي بواسط يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة ، وصلى عليه الجمع الكثير بعد العصر من هذا اليوم بجامعها ، ودفن بمقبرة مسجد زنبور بها »[3]

وقال قاضي القضاة الشافعية عز الدين عبد العزيز ابن جماعة فى ترجمته : « أنبئت عن الشيخ مجد الدين المذكور (يعني ابن النجار البغدادي) ، قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن المعمر بن أبي القاسم المقرىء ، قال :

---

(١) لم أكتب عنه : أي لم أنقل عنه بكتابة ، وكتاب العصر يستعملون « كتب عنه » بمعنى كتب فيه ، وهو خطأ

(٢) في الانباه « وداره »

(٣) ذيل تأريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ ورقة ٥٢ » وقد حذف القفطي ما يختص باستهتار المترجم بالغناء ، وليس ذلك بالحسن

أنشدنا الشريف الحسن بن أحمد الحويزي لنفسه :

غرام كلّ يوم يستجد ... وشوق ما له أمد وحدُّ

وحبٌّ كلّما يزداد قلبي ... به شغفاً تزايد منه صدُّ

فيا أملي إذا أمّلتُ شيئاً ... ويا ذخري ويا كنزي المُعَدُّ

أرى موتي إذا أعرضت عني ... وان واصلتني روحي ردْ

(وبالإسناد المذكور) :

يقولون « إني قد تسلّيتُ عنكم » ... محالٌ ، فلا والله من أين أقدرُ ؟

إذا كان قلبي عندكم وبأسركم ... فمن ذا الذي يسلو الغداة ويهجر ؟

يقول لي العُذال « صبراً عليهم ... لعلّك يوماً بالأمانيّ تظفر »

فقلت لهم « كفّوا ملامي[1] ويحكم ... فمن سلبوه عقله كيف يصبر[2] ؟! »

(وبه أيضاً)

من حيث أرجو صحتي جاء السقم ... من لامني في حالتي فقد ظلم

أنحلني فراقه فها أنا ... من دقتي أدخل في شق القلم

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان العباسي ، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، ثم سكن واسط الى حين وفاته يقرىء بها القرآن والأدب وكان أديباً فاضلاً ، عارفاً بالنحو والموسيقى ، يعلم الصبيان الغناء بالألحان ، ومع ذلك كان كثير العبادة متنسكاً متصوفاً توفي يوم الخميس الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة والحويري (بضم الحاء وفتح الواو وسكون الياء آخر الحروف بعدها زاي) نسبة الى الحويزة ، بلد كبير على طريق الأهواز من البصرة »[3]

(٣٢) وكذلك الحال في قوله (ص ٢٧٦) : « وصلى عليه الجمع الكثير بغدٍ ، ودفن » ، وقد قدمنا أنه « بعد العصر » : فلم تكن الصلاة « بغد »

(١) كذا والصواب « كفوا عن ملامي » لأن « كفوا ملامي » يعني أنه هو اللائم لا الملوم

(٢) وذكر بالاسناد المقدم ذكره الأبيات التي نقلناها من تأريخ ابن الدبيثي ، ثم البيتين

(٣) تعليقة الشعراء والأدباء ، لابن جماعة المذكور « نسخة باريس ٣٣٤٦ ورقة ٧ »

(٣٣) واضطراب الأعلام عليه كما في (ص ٢٨٨) : « وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش » ، والصواب « عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش [1] »

(٣٤) والوهم نفسه في (ص ٣١٦) ، ففيها : « الحسن بن علي بن بركة بن أبي عبيدالله أبو محمد بن أبي الحسن المقرىء النحوي » ، وبعد أن ذكر المصحح مراجع ترجمته ، قال : « وفي طبقات ابن قاضي شهبة وطبقات القراء لابن الجزري « بركة بن عبيدة ، بفتح العين » .

قلنا : وهذا الأخير هو الصحيح ، وقد وردت ترجمته في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد [2] » ، وأحلنا فيه على مظانها في التواريخ الأخرى ، فما لم يذكره مصحح الإنباه منها « المشتبه للذهبي ص ٣٤٣ ومعرفة القراء على الطبقات والأعصار [3] » له أيضاً ، ومرآة الزمان (٢٤٩/٨) ، و « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي (١٠٤/٦) . وله ذكر في عيون الأنباء (٢٠٣/٢) قال الذهبي في المشتبه « عبيدة : السلماني ... وأبو محمد الحسن بن علي بن عبيدة الكرخي : شيخ العربية والقراءات ببغداد في حدود ٥٨٠ هـ » وجاء في المرآة والبغية أن « عبيدة » بفتح العين أيضاً ، ولم يرد « بركة » في نسبه في طبقات الجزري كما ذكر المصحح ، بل سقط من النسب ، قال ابن الدبيثي : « الحسن [4] بن علي بن بركة بن عَبيدة أبو محمد بن أبي الحسن المقرىء : من أهل الجانب الغربي ، كان يسكن الكرخ في درب رباح مقرىء حسن القراءة ، جيد الأداء ، له معرفة بالنحو قرأ القرآن الكريم ببغداد بالقراءات على أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون الدباس وعلى أبي محمد عبد الله بن علي بن سبط الشيخ أبي منصور الخياط ، وبالكوفة على الشريف أبي البركات عمر بن ابراهيم العلوي الزيدي ، وقرأ النحو على الشريف أبي السعادات هبة الله بن علي ابن الشجري العلوي ، وسمع الحديث منهم ومن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي السعادات أحمد بن محمد بن غالب

(١) راجع معجم الأدباء (٢٢٠/٥) من طبعة مرغليوث وغيره من كتب تراجم الأدباء والنحويين .

(٢) (٢٨٥/١) من طبعتنا له ، الأصل محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ونسخته في المجمع العلمي العراقي

(٣) نسخة باريس « ٨٤ ٢ ورقة ١٦٤ »

(٤) راجع (ص٤٣٥) فهناك دعونا المقابلة بين قول القفطي وقول ابن الدبيثي للسبب الذي ذكرناه في تعليق مثل هذا ، مقدم

العُطاردي وغيرهم وكانت له معرفة أيضاً بالفرائض وقسمة الشركات أقرأ الناس مدة القرآن المجيد، وتخرج به جماعة في علم النحو والفرائض، وسمعوا منه الحديث، وقصدناه في سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة للقائه والقراءة عليه. فلم نصادفه لشغل كان قد توجه فيه، فلم نعد اليه لأسباب اتفقت لنا وتوفي يوم الخميس ثامن عشري شوال سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة »[1]

(٣٥) وقوله في حاشية (ص ٣٢٧) : « كان يلقب اليكا » ، يعني شيرويه بن شهردار الديلمي والذي في طبقات الشافعية « الكيا » وهو الصواب. فهو قد تصحّف عليه في النقل، قال ابن خلكان في ترجمة أحد الأكياء[2] : « ولا أعلم لأي معنى قيل له الكيا، وهو بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف ؛ والكيا في اللغة العجمية هو الكبير القدر المقدم بين الناس[3] »

(٣٦) وعدم التعيين في ذكره « الأفشولية » فقد جاء في (ص ٣٣٧) : حبشي بن محمد ... من أهل واسط من قرية تعرف بالأفشولية غربي واسط » فقال في الحاشية : « الأفشولية : ضبطها ياقوت بفتح الهمزة وسكون الفاء وضم الشين وسكون الواو وكسر اللام وياء مشدّدة ، وقال : هي من قرى بخارى على أربعة فراسخ منها » وقد اختلطت عليه « الأفشولية » و « أفشون » ، فهي من قرى بخارى فأما الأفشولية ، فهي عند ياقوت وغيره من قرى واسط ، قال مؤلف المراصد : « الأفشولية : بالفتح ثم السكون وضم الشين وسكون الواو وكسر اللام وياء النسب ، قرية غربي واسط ، بينها وبين البلد نحو ثلاثة فراسخ » قال ابن الدبيثي : « حبشي[4] بن محمد بن شعيب الشيباني أبو الغنائم الضرير النحوي : من أهل واسط ، من قرية تعرف بالأفشولية من غربي واسط ، بينها وبين البلد نحو فرسخ جالس بواسط أبا الحسن علي بن محمد العنبريّ المعروف بابن دواس القنا الشاعر ، وسمع منه ، وقدم بغداد

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس أيضاً ورقة ١٦٥ »

(٢) هو جمع للكيا جمعاً قياسياً والكيا الذي ترجمه ابن خلكان هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد الهراسي الوفيات (١/٣٥٤) ، من طبعة بلاد العجم

(٣) كتب في هامش النسخة الايرانية : وقيل « كذا في نسخة »

واستوطنها الى أن مات بها ، وقرأ النحو على الشريف أبي السعادات هبة الله بن علي ابن الشجري واللغة على الشيخ أبي منصور الجواليقي ، وسمع منهما ومن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ومن جماعة ، وروى عنهم ، وأقرأ الناس مدة النحو وذكر لنا شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي ، فوصفه بالفضل والمعرفة ، وذكر أنه أخذ عنه وانتفع به ، سمع من القاضي أبو المحاسن الدمشقي ، وكتب عنه وروى لنا عنه أبو الحسن علي بن نصر الحلي وغيره ... قرأت بخط الشريف أبي الحسن علي بن أحمد العلوي الزيدي : توفي حبشي ابن محمد النحوي يوم الثلاثاء سادس عشري ذي القعدة من سنة خمس وستين وخمس مئة ، وصليتُ عليه بالمدرسة النظامية ، ودفن بالشونيزي قلت : وقبره بصفة رويم بن أحمد الصوفي ، أعلى المقبرة مما يلي الطريق [1] »

(٣٧) وتقصيره فى التفتيش عن تراجم الرجال ، فقد جاء فى (ص ٣٥٨) « خليفة بن محفوظ الأنباري » ، فقال فى الحاشية : « لم أعثر له على ترجمة ، ولم يذكره ابن مكتوم فى التلخيص » ، مع أنّ الذهبي ترجمه فى تأريخ الاسلام فى حوادث سنة ٥٤٤ هـ بدلالة وجود الترجمة في المختصر ، قال المختصر : « خليفة بن محفوظ أبو الفوارس الأنباري المؤدب الأريب ، صالح عالم ، سمع أبا طاهر بن أبي الصقر وأبا الحسين الأقطع (وروى) عنه السمعاني وابن عساكر [2] »

(٣٨) وإغفاله أسماء رجل كثير وردُوا فى متن الكتاب من غير تعليقة مقنعة ، ولا إحالة مطمعة ، كأبي القاسم بن برهان الأسدي (ص ٣٥) ، والمبارك [3] بن أحمد الأزجي (ص ٦٨) ، وأبي غالب بن نبهان (ص ٨٨) ، وأبي بكر المزرفي [4] (ص ٨٩) ، والأوارجي الكاتب (ص ١٦٣) ، وابن أبي طاهر (ص ١٦٩) ، وعلي بن أبي بكر الهروي ، وتاج الدين ابن حمدون [5] (ص ٢٣٢) ، وزيد بن الحسن بن زيد (ص ٢٩٢)

---

(١) ذيل تاريخ بغداد « ورقة ٢٠٩ » من نسخة باريس

(٢) مختصر تاريخ الاسلام « نسخة الأوقاف ببغداد ٥٣٩٢ ورقة ٧١ »

(٣) راجع النقدة السابعة

(٤) راجع النقدة التاسعة

(٥) راجع النقدة الثانية والعشرين

هذه مآخذ يسيرة ، لا تكاد تذكر بالإضافة الى المجهود الذي بذل في إخراج هذا الجزء من الإنباه بهذه الحلة الأنيقة ، وانه ليسرني أن أشكر للمصحح الفاضل همته في إتيان مهمته الأدبية والتأريخية ، ولا سيما بعد كون عمله فردياً ، وأختم هذا النقد بالبيتين المذكورين في (ص ١٣٨) من هذا الجزء [1] في فضل المصححين البارعين ، وهما :

فما رفع الهندي وهو حديدة ... على التبر الا ضربه بالمطارق

ولو رمت ما راموه بالعلم لم يكن ... وجيههم في حلبة المجد لاحقي

مصطفى جواد

فهرس المخطوطات المصورة

أخرج معهد إحياء المخطوطات العربية ، وهو من مؤسسات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، الجزء الأول من فهرس المخطوطات العربية التي قامت الإدارة الثقافية بتصويرها من بعض خزائن الكتب في البلدان العربية وغيرها وقد سبق للمعهد أن أخرج فهرساً أولياً طبع على آلة « الرونيو » للمخطوطات التي تمكن من تصويرها ، وذلك قبل أمد ، ووزع المطبوع على الدول العربية وعلى الأشخاص المعنيين بموضوع المخطوطات ، ثم قام بطبع فهرس ـ يقع في أجزاء ـ للمخطوطات التي تجمعت لديه بواسطة آلات الطباعة المألوفة فخرج الجزء الأول منه من دار الرياض للطبع والنشر بالقاهرة ، وذلك في سنة ١٩٥٤ م

ومخرج هذا الجزء ومصنفه هو السيد فؤاد سيد ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية وكانت الإدارة الثقافية قد عهدت بهذا العمل الى السيد محمد بن تاويت الطنجي ولكن تعيينه أستاذاً بجامعة أنقرة حال بينه وبين إتمامه ، فتركه بعد أن أنجز الملازم الخمس والعشرين الأولى من الكتاب ، فعهد المعهد بانجازه واكماله الى السيد فؤاد سيد فتابع المنهج الذي

(١) ذكرهما القفطي منسوبين الى أبي العباس أحمد بن هبة الله المعروف بابن الزاهد ، وأظنهما للحيص بيص سعد بن محمد بن صيفي ، لأن هذا نفسه ، ولأن له قصيدة على هذه العروض والقافية ، ولأن ابن الزاهد كان يروي شعر الحيص بيص كما جاء في تأريخ ابن الدبيثي الذي نقل منه القفطي الترجمة بحسب ما أراد

وضعه الطنجي ، وهو المنهج المألوف من توزيع الكتب على العلوم والآداب والفنون ، كل موضوع فى باب ، مرتباً أسماء الكتب على حروف المعجم ، مقرونة بأسماء المؤلفين إن كانت معروفة ، ثم بتعريف موجز للكتاب مع بيان أجزائه إن كان في أجزاء ، وتأريخ الخط إن كان مدوناً ، وما شابه ذلك من ملاحظات

وقد حرص مصنفه على ألا يهمل بعض ملاحظات أخذها هو على نفسه . وأراد أن ينبه القارىء عليها ، فقال : « وهذا الجزء الأول من الفهرست ، رغم ما بذل فى اخراجه وإعداده من جهد ، إلا أنه مع ذلك لا يخلو من أن يكون فيه بعض الهنات والأخطاء فقد كان كل الاعتماد فى إخراجه على البطاقات التي أعدها المفهرسون لمحتوياته من الكتب ولم يكن لديهم الوقت الكافي لدراسة المخطوطات دراسة دقيقة مفصلة ، فضلا عن أن أكثر الفهارس التي كانت بين أيديهم لهذه المكتبات موجزة ايجازاً شديداً ، لا يساعد على تقديم بيانات وافية ، وفى أكثر الأحيان تكون أسماء الكتب والمؤلفين مخالفة للحقيقة والواقع » وهي ملاحظات يشكر المصنف على اشارته اليها

ويقع هذا الجزء فى ٥٦٧ صفحة من القطع الكبير ، تقع كل صفحة فى عمودين اثنين أما موضوعاته ، فهي : الكتب السماوية ، والقراءات والتجويد ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والمصطلح ، والتوحيد ، والملل والنحل ، والتصوف ، والآداب الشرعية ، والفلسفة ، والمنطق ، وأصول الفقه على المذاهب الأربعة ، وفقه الامامية والزيدية ، واختلاف الفقهاء ، وعلم الفرائض ثم اللغة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض والقوافي ، والأدب ، والسياسة ، والاجتماع ، والجغرافيا والبلدان

ويلاحظ أن المصنف قد خالف أصحاب الفهارس والمصنفين للكتب فى تصنيفهم المألوف ، فجعل التوحيد والملل والنحل والتصوف والآداب الشرعية والفلسفة والمنطق بعد الحديث والمصطلح وقبل أصول الفقه ، مع أن العادة الجارية أن يكون ذكرها بعد الحديث وهي عادة مستمدة من أصول دراسة الشريعة ومراتب الأهمية فى استنباط الأحكام ثم إن باب الفلسفة والمنطق من الأبواب التي يضعها العلماء بعد العلوم الشرعية وفنون العربية

لا قبلها ، والى ذلك ذهب أيضاً المستشرقون ، كما كان من اللازم ذكر فصل فقه المذاهب الأخرى بعد فصل الفقه الحنبلي ، مراعاةً لوحدة الموضوع وأظن أن الذي حمل المصنف على ذكر الجغرافيا والبلدان بعد فصل السياسة والاجتماع ، وتأخير فصل التأريخ الى الأجزاء المقبلة ، هو سعة موضوع التأريخ وكثرة المصنف فيه ، مما صعب على المصنف وضعه في هذا الجزء ، فآثر ذكره في الجزء التالي من الكتاب

وكنت أطمع أن يكون الفهرس أكثر سعة وتفصيلا ، كأن تذكر أوصاف كل مخطوطة وتدون جملة أسطر من أولها وجملة أسطر من آخرها ، وأن يشار الى ما عليها من تعليقات وتوقيعات وأسماء المشترين لها ومن دخلت في حوزتهم إن وجدت وتواريخ دخولها ، ثم ملاحظات المصنف عن تنوع القلم الذي استعمل في كتابة المخطوطة إن كان متنوعاً ، وأمثال هذا مما يفيد في تعريف هوية الكتاب ، كما كنت أطمع أن يشار الى أسماء خزائن الكتب العامة والخاصة التي يوجد فيها المخطوط أو أجزاء منه إن كانت له نسخ أو أجزاء ، لتعم بذلك الفائدة ، وليكون في وسع الطالب الراغب الحصول على نسخ أخرى من المخطوط في حالة عزمه على نشره وبعثه ، أو إكمال ما في نسخته من نقص أو خطأ ، أو لأسباب علمية أخرى وشيء آخر كنت أطمع أن أراه في الفهرس هو الاشارة الى مواضع طبع المخطوط والسنة التي طبع فيها في حالة كونه من الكتب المطبوعة ففي هذه الاشارات أهمية كبيرة للمراجعين ولا سيما الراغبين في نشر المخطوطات وكنت أطمع في شيء آخر ، هو الاشارة الى فهارس الكتب مثل فهرس « بروكلمن » وأمثاله في حالة تعرض هذه الفهارس للمطبوعات المشار اليها ، والاشارة الى عدم ورود أسمائها فيها في حالة عدم ذكرها ، لأن هذه الفهارس هي المرجع المعوّل عليه في تتبع المخطوطات

وقد حملني على ذكر هذه الملاحظات أن المصنَّف من منشورات معهد متخصص بالمخطوطات العربية ، وأنه صدر باسم اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ومؤلف هذا شأنه وتلك منزلته يجب أن يكون فوق مستوى المصنفات التي تخرجها خزائن الكتب في العالم ، وأن يكون وافياً شافياً ، فيه ايضاحات واسعة لا نجدها في أمثاله من المصنفات . أما ضيق الوقت ، والرغبة في

اخراج الفهرس بسرعة ليقف عليه القراء وما شابه ذلك من أعذار ، فليست في نظري أعذاراً مقنعة ، لأن من طبيعة العمل العلمي البطء والتأني ، فالتمحيص والتعمق والاحاطة تؤدي الى التأخير وقد كان فى امكان الأمانة تأخير اصدار الكتاب أشهراً ليكون شاملاً جامعاً لما قلت ومع ذلك ، فقد سد الكتاب نقصاً ، وأفاد الباحثين ، والكمال غاية صعبة المنال ، فللممهد والمصنف الشكر

THE SUFI PATH OF LOVE

للأوربيين ولع خاص بالتصوف ، ولهم فيه طرق ، خاصة فى ألمانيا حيث ظهر من بينهم رجال لهم مقام وآراء فيه ، فلا غرابة اذا رأينا المستشرقين يعنون عناية خاصة بالتصوف عند المسلمين ، وبنشر مؤلفات كبار الصوفية والعنوان المتقدم هو اسم كتاب معناه طريق المتصوفة فى الحب ، لمؤلفة إنكليزية اسمها « مرغريت سمث » ، يتألف من ستة فصول فى طبيعة التصوف وأصوله ، وفى الله ووحدة الوجود ، وفى الله والجمال ، وفى الله والانسان ، وفى النفس الانسانية ، وفى الغنوسطية ، وموضوعات أخرى من موضوعات التصوف . وهو من منشورات مكتبة « لوزاك » فى إنكلترة .

أمثال قرآن

هذا عنوان كتاب يقع في (٣٥٣) صفحة فى الآيات القرآنية المستعملة مثلاً أو تشبيها في اللغة الفارسية ، من تآليف السيد علي أصغر حكمت من وزراء إيران السابقين وعضو المجمع العلمي الايراني والمجمع العلمي العراقي وقد طبع فى طهران سنة (١٣٣٣) من التقويم الايراني الشمسي ويقع فى خمسة فصول

افتتح الكتاب بمقدمة في الأمثال والأساطير الإيرانية ، وفى تدوين الأمثال السائرة فى الفارسية ، ثم فى الآيات القرآنية الكريمة التي استخدمت مثلا فى الفارسية فى الماضي وفى الحاضر ، وفى الأمثال الفارسية المقتبسة من الآيات .

أما الفصل الأول ، فقد خصص بالأساطير « Fables » وبالأمثال المأخوذة عنها مثل الأساطير الهندية والفارسية والعربية القديمة ، وخاصة ما ورد منها على لســـان لقمان وسليمان وخصص الفصل الثاني بالأمثال « Proverbs »

أما الفصل الثالث ، فقد خصص بالتمثيلات والتشبيهات المقولة فى الأغراض المختلفة تعرض فيه للتمثيلات والتشبيهات عند الهنود وعند اليونان والرومان وعنـد الفرس وعند المتصوفة وعنـد الأقوام السامية ويقصد بالتمثيلات الحـكايات التي تروى لأغراض تعليمية أخلاقية ، وهي التي يقال لها « Paraboles » فى اللغة الفرنسية

وأما الفصل الرابع ، فقد خصص بالمثل عامة ، ثم بورود المثل فى القرآن الـكريم ، وما ألف فى المثل فى القرآن الـكريم

وأما الفصل الخامس ، فهو تفصيل للقصص والتشبيهات المستخدمة فى الفارسية والمستمدة من القرآن الـكريم ، يشير الى الآية ثم يذكر الأمثلة التي استخدمت فيها الفارسية أو اقتبست منها ، ثم يتطرق الى رأي المفسرين فيها ثم الى ما كتب عنها فى الأدب الفارسي

وقد تعرض المؤلف فى كـتابه لآراء الغربيين فى المثل وفى التشبيهات ، كما تطرق الى أثر التوراة والإنجيل فى الأمثلة والتشبيهات فى الأدب العربي القديم . واستعان فى تأليف هذا بموارد كثيرة أعجمية وعربية ، وألحق بالـكتاب فهرساً مفصلاً لما ورد فيه من أعلام ومواد

والسيد علي أصغر حكمت أديب فى الفارسية كبير ، له مؤلفات عديدة ، من جملتها مؤلف فى الفارسية الصرفة ، أورد فيه مقالات استخدمت فيها الفارسية وحدها وهو من الســاعين فى رفع مستوى الأدب الفارسي ، وله علم واسع بالعربية ، فكتــابه الذي نتحدث عنه كتاب علم وأدب يشكر عليه

كتاب الترياق

أهدى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة هذا الـكتاب الى خزانة كتب المجمع العلمي العراقي ، وهو من مؤلفات الدكتور بشر فارس صاحب البحوث القيمة فى تاريخ الفن الاسلامي وفي المصطلحات العربية المستخدمة فى فن التصوير

وهذا الكتاب هو فى العربية والفرنسية فى تعريف كتاب فى الطب مصور ، عثر عليه الدكتور فى خزانة كتب باريس الأهلية ، وهو منسوب لجالينوس وليحيي النحوي الإسكندراني ، فيه صور جميلة وفن راقٍ فى التصوير ، وإبداع فى فن « المنمنمات » ، شرحه وكتب فيه بالفرنسية ، وعرّف بألواحه ، وتعرض لمدارس الرسم فى الاسلام والمؤلف خبير بهذا الموضوع ، عارف به وقد عرضه على المعهد الفرنسي ، فوافق على نشره ، وجوّد طبعه وللمعهد عناية حسنة باتقان الطبع وانتقاء الكتب ، تتجلى فى العدد العديد من المطبوعات التي أخرجها فى موضوعات متعددة من نواحي الاستشراق

المحيط

فى تشكيلات الشرطة العراقية وادارتها وتنظيمها
وواجباتها وخدماتها منهجاً وتطبيقاً

هذا عنوان كتاب ظهر منه جزءان طبعا ببغداد سنة ١٩٥٤ و ١٩٥٥ م لمؤلفيه : السيد وجيه يونس مدير الشرطة العام ، والسيد اسماعيل الراشد نائب أحكام الشرطة العراقية ، تناولا فيه مسلك الشرطة فى العراق فتحدثا عن جميع الأمور المتعلقة به من تأسيسات وتنظيم وهيئة وواجبات ، ثم ألحقا بهذه البحوث الفنية المسلكية بحوثاً أخرى لها علاقة بالشرطة وبحياة كل مواطن من حيث كونها تنظم حياة الأفراد والمجتمع ، فهي تخص الشرطة كما تخص الفرد والمجتمع ، فلا بد لكل مواطن من الوقوف عليها والإحاطة بها باعتباره مواطناً له حقوق وعليه واجبات ومما لاشك فيه أن المؤلفين الفاضلين قد أنفقا وقتاً طويلاً فى جمع هذه المعلومات القيمة عن هذا المسلك ، وصرفا مجهوداً كبيراً فى التنسيق والتبويب والتصنيف ، حتى أنتجا من ذلك هذا السفر المفيد فى الشؤون العلمية والفنية للشرطة فى العراق وأنا أرجو أن ينصرف كبار موظفي الدولة الى الكتابة والتأليف فى نواحي اختصاصهم أسوةً بمؤلفي هذا الكتاب ، وكما يفعل كبار الموظفين فى الدول الأخرى ، وبذلك تتوفر للناس ولأصحاب المسلك ثروة قيمة تساعد فى رفع المستوى والتثقيف

جواد علي

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ ، شرحه الأستاذ محمد بهجة البيطار الدمشقي عضو المجمع العلمي العربي ومدرس أدب القرآن والحديث بكلية الآداب في الجامعة السورية ، عدد صفحاته مع فهارسه ١٩٤ ، مطبعة الترقي بدمشق

كانت (البصرة) مولد هذا (النحو العربي) في أوائل العصر الأموي ، فهي صاحبة الفضل في ابتكاره ورقيه وتنسيقه . بدأ بذلك (أبو الأسود الدؤلي) ، فكتب (التعليقة) ، ولكن ما أودعه فيها لم يكن ليزيد على بضع قوانين في اللسان العربي . ثم ازدهرت دراساته رويداً رويداً ، فدخله التعليل ، وتعددت أبوابه ، وضُبطت مسائله ، ولم يكد يتصرم الربع الثالث من القرن الثاني الهجري حتى ظهر ذلك كله ناضجاً أتم النضج عند نابغة العرب (الخليل بن أحمد الفراهيدي) وتلميذه (أبي بشر سيبويه) صاحب (الكتاب) الذي استجمع أصول النحو وفروعه ، وتمثلت فيه عبقرية التأليف عند العرب في أقدم عصورهم .

وعن البصرة أخذ أهل (الكوفة) علمهم بالنحو ، وجروا معهم أشواطاً في ميادينه محتذين مناحيهم ومتبعين لآرائهم ، حتى ظهر (عليّ بن حمزة الكسائي) الذي انتهت اليه إمامة العربية في الكوفة ، وكان ممن يحضر حلقة (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في البصرة ، فرسم للكوفيين الحدود التي احتذوا أمثلتها في النحو وخالفوا فيها البصريين .

وخلاصة القول في الفرق العام بين هذين المذهبين أن الأصل في مذهب النحو البصري القياسُ والدراية : فهو يبني قوانينه على الأغلب الشائع ، ويطرح الشاذ والنادر ، أو يجهد في ردها الى قوانينه بضرب من التأويل . والأصل في مذهب النحو الكوفي الروايةُ والقياس على الشاذ والنادر ، و « الكوفيون - كما قال ابن جني - علامون بأشعار العرب ، مطلعون عليها » ، فهم يسمعون الشاذ أو النادر ، فيجعلونه أصلاً يقيسون عليه غيره ، أو كما قال الأندلسي في شرح المفصل : « الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول : جعلوه أصلاً : وبوبوا عليه : بخلاف البصريين »

وقد كان الشيوع والانتشار من حظ النحو البصري ، مع ما اقتضته السياسة من نصر النحو

الكوفي عليه بعد قيام الدولة العباسية ، إذ كان الكوفيون من أنصارها : فقدم خلفاؤها نحاة الكوفة ، واختاروا منهم أساتذة لأولادهم . وأهملوا نحاة البصرة إهمالاً تاماً ، وتحاملوا عليهم في المناظرات التي كانوا يعقدونها بينهم وبين نحاة الكوفة ، كالذي كان من تحامل الأمين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي في مسألة العقرب والزنبور ، وهي أشهر من أن تذكر

ولكن نحاة الكوفة على كل حال كانوا تلاميذ نحاة البصرة ، والنحو الكوفي هو ربيب النحو البصري مهما خالفه في مناهجه ، وهم على ما حاولوه من الانفراد عنهم والسمو به ، لم يستطيعوا أن ينجزوا عملاً في النحو كالذي أنجزه سيبويه البصري في تأليف (الكتاب) ، فليس يعرف في النحو الكوفي كتاب كـ (الكتاب) في وضعه واستيعابه وعمقه وغزارة مادته ، والسياسة التي تصرفت في ماديات نحاة البصرة ، وحرمتهم حظوظهم كلها أو بعضها من رزق الدولة ، قد عجزت في جانب العبقريات أن تعفي على آثار النبوغ والإجادة والإحسان ، فما برح سيبويه مضرب الأمثال في النبوغ بالعربية ، واسمه أرفع الأسماء ، وكتابه هو (الكتاب) الخالد ، فظل النحو البصري ظاهراً على النحو الكوفي بالرغم من مظاهرة العباسيين لأربابه ، وعصفت الأيام بكتب نحاة الكوفة كما عصفت بأرباب السياسة التي آزرت هؤلاء ، وتشتت مسائل نحوهم في بطون كتب المتأخرين . ومسائلهم كلها لا تزيد على المئة الا قليلا : عرض لها كمال الدين الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) ، والعكبري في كتابه (التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) . ولخص جلال الدين السيوطي ذلك في كتابه (الأشباه والنظائر في النحو) فبلغت مسائل الخلاف المذكورة مئة مسألة ومسألتين

ولعل عشاق الدراسات النحوية سيبهجون بهذا الكتاب الجديد في النحو الكوفي ، الذي نشره المجمع العلمي العربي بدمشق . من تأليف القاضي الفقيه المحدث النحوي المؤرخ أبي طلحة عبد القادر صدر الدين بن عبد الله الكنغراوي الاستانبولي المتوفى في استنبول سنة ١٣٤٩ هـ ، وشرح العالم الجليل الأستاذ محمد بهجة البيطار الدمشقي عضو مجمعنا والمجمع العلمي العربي فهو ، على لطافة حجمه ، قد جمع قدراً وافراً من مسائل النحو الكوفي التي تفرقت

شذر مذر في كتب النحاة المتأخرين الذين احتفلوا بمذاهب النحو العربي كلها أصولها وفروعها ، وألم بمصطلحاتهم : ورتب كل ذلك على ترتيب كتب المتأخرين ، وسيقف طلاب النحو من ذلك على مجمل أبواب هذا المذهب ومصطلحاته ولا يخفى أن النحو الكوفي ـ كما قال المؤلف والشارح ـ يبنى عليه وجوه من القراءات والروايات المتحمَّلة عن الفصحاء والبلغاء كالكسائي وغيره ممن اشتهر بالقراءة من أئمة الكوفة

ويؤخذ على هذا المتن أمران : هذا الإيجاز الشديد الذي تعقدت به مقاصده : وإيراد المسائل النحوية التي هي محل اتفاق من جميع النحويين وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم

ولكن التعليقات التي أضفاها عليه العلامة البيطار من اجتهاده أو من نقوله ، قد بسطت مقاصده ، ووضحت غوامضه ، وشرحت شواهده ، وأضافت اليه زيادات نافعة تطلبها استكمال البحث ، حتى استوى بذلك كله وبالمقدمة والخاتمة وتراجم الرجال وتحقيق بعض الأقوال فيه كتاباً مرموقاً متحققَ الفائدة دانيَ القطوف وافياً بالطلب الذي من أجله كتبه مؤلفه وإن لم يستقصه وقد سار الشارح مع المؤلف في رأيه . فكان نظره في شرحه مصروفاً الى ما قاله ، ولم يخرج به الى النقد أو التصحيح أو الترجيح مجاراة له في وجهته وشفع مجهوده بأربعة فهارس للأعلام والشواهد والمراجع والموضوعات ، وضعها ابنه السيد عاصم البيطار ثم ختم ذلك بالتصويبات المهمة تاركاً الهنات المطبعية التي لا تخفى على القراء ، وأكثر ما لاحظناه من ذلك تصحيف النقط بالزيادة أو النقصان ، ونحو ذلك مما يعد خطبه سهلاً

ومما أهملت الإشارة اليه ، وكان يحسن التنبيه عليه : كلمة « شانية » في ص ١٠٢ س ٨ وصوابها « الثانية » ، « والشاعر الجيم بن صعب » في ص ١٠٨ س ٢٠ والصحيح « لُجَيم بن صعب » ، و « سقيناهموا » في ص ١٢٤ س ١٨ وصوابها « وسقيناهُمُ » بضمّ الميم واطّراح الواو والألف ، و « إما لإبهامه على المخاطب ، أو لنسيان » في ص ١٠٢ س ٦ والصحيح « .. وإمّا لنسيان » ، و « جزئي » في ص ١٢٩ س ١ و ١٣ وصواب رسمها « جزءي » ، و « أ إن أرعشت كفا أبيك » في ص ١٢٩ س ١٢ والصواب أأنْ أرعشت .. » بفتح الهمزتين : همزة الإنكار والتوبيخ ، وهمزة أنْ ، ولا يصح كسرها : لأن الكسر يجعلها

شرطية ، وليس الشرط مراداً هنا كما لا يخفى و « مسئول » في ص ١٥١ س ٨ وصحة رسمها « مسؤول » ، و « سواء كان ذلك النفي مجرداً .. أو كان .. مقروناً بأستفهام » في ص ١٥٨ س ١٠ والاستعمال الصحيح « سواء أكان ذلك النفي مجرداً .. أم كان .. » كما قال تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)

وقد لاحظنا على بعض كلام الماتن شيئاً من التجوز ، كالذي قاله في مبحث الكنايات (ص ١٠٢) : « ... وجوزه الفراء بمن مقدرة ، ووافقه الخليل وسيبويه من البصريين » فان من المعلوم أن وفاتي الخليل وسيبويه قد سبقتا وفاة الفراء ، فالخليل توفي سنة ١٧٠ هـ وسيبويه توفي سنة ١٨٠ هـ ، أما الفراء فكانت وفاته في سنة ٢٠٧ هـ ، فليس من المعقول أن تنسب الى الخليل وسيبويه موافقة له وإن كانوا متعاصرين ، ولا بد ـ في مثل هذه الحالة من العَرْوِ ـ من دليل تأريخي يعين زمن السبق في الرأي أو الموافقة وما أشبه ذلك

وأحال الشارح الجليل (ص ١١٨) في مراجعة ما قيل في الآية الكريمة : (إنّ هذان لساحران) على شروح الألفية في بحث المثنى ، وأُضيفُ الى إحالته هذه مصدراً آخر معروفاً تضمن دراسةً مهمة في الآية من ناحيتها الإعرابية واللغوية للإمام تقي الدين أحمد بن تيمية (رحمه الله) ، هو كتاب شذور الذهب لابن هشام ، وليس غرضنا من هذه الإحالة أستقصاء الدراسات ، ولكن الإرشاد الى دراسة متميزة بالعمق والاستقصاء ليست من نوع ما يعرف في الشروح التي يروي بعضها عن بعض ، ولا تأتي بشيء ذي جدة وطرافة يزيد في ثروتنا العلمية والفكرية

ظلال الأيام [١]

أودعني صديقي (أنور) ديوانه (ظِلال الأيام) ، وهو يودّعني في بعض أسفاري بين الواديين الحبيبين : وادي بَرَدَى ووادي الرافدين ، ليتصل أنسي بروحه العالي وأناشيده العذبة بعد أنفصالي عنه من دمشق ، ولتتعطّر حاسّتي الفنّيّة بشذا نفحات الشعر الشامي الذي آنس

(١) من الخير أن أشير هنا الى أنني كنت سميت ديواني الأول بهذا الاسم في سنة ١٩٣٧ م ، ونشرت في مجلة الرسالة (في القاهرة) قصائد منه نصصت في عناوينها أنها من ديوان (ظلال الأيام) ، وذلك من قبل أن ينشر الصديق الشاعر أنور العطار ديوانه الرائع بزمن بعيد

إعجابي بروائعه القديمة في زهريات الصنوبري ، وروميات أبي فراس ، وحكميات أبي الطيب المتنبي ، وفلسفيات أبي العلاء كما آنس طربي لنغماته الحديثة على قيثارة خير الدين الزركلي ، ومردم ، وجبري ، وبدوي الجبل ، وبشارة الخوري ...

وكان انفصالي من دمشق في موسم الربيع الحافل بالزهر والعطر والسحر ، والربيعُ في دمشق موسمٌ يستوفي حظّه التام بين فصول السنة ، وتبدو فيه الطبيعة وكأنها في جلباب راقصة كاسية عارية قد أسكرها نشوة الحبّ وانغمست في الزينة والعطر والفتون .. وكان لا بدَّ لي ، وأنا أفارق هذا الجمال الخلوب وأُقبل على هذه الصحراء المترامية الأطراف بين مشارف الشام ومسارح العراق ، من سلوى أتعلل بها في السويعات التي أنا مقبل فيها على مسامرة الليل البهيم في جَنَبات هذه الصحراء فكان إهداء (أنور) ديوانه إليَّ في ذلك الموقف ، من أعاجيب المصادفات ؛ لأنني وجدت فيه مع نفسي في تلك الرحلة القاصدةِ صورةَ الصحراء وصورَ ما يكتنفها من الشام والعراق جميعاً ماثلةً فيه ، كأنها جُمع في ديوانه لتكون سلوى المسافر في هذا الطريق ولتمثل له صور أحلامه الغابرة والحاضرة والمقبلة .. وجدت فيه مع نفسي ماضيها القريب ، وحاضرها العتيد ، ومستقبلها الذي هومها قاب قوسين أو أدنى في وقت معاً .. وجدت فيه أحلامي التي بدأت تنفصل حقائقها عني في تلك الأمسية وأنا أودع عاصمة بني أمية وأستذكر ما خلفت ورائي من جنان لبنان ومفاتن بَرَدَى ومباهج الغُوطة والرَّبْوَة والشاذَرْوان ، ووجدت فيه حاضري الذي احتواني وهو يترامى بي الى مسارب الرمال في رحاب هذه الصحراء وأنا أعجب من هذه الحضارة كيف تذلل وسائلها الصعاب وتقرب القصي وتيسّر العسير ، ووجدت مستقبلي قريباً مني مع مشرق الشمس حين أقبل على الفرات في الصباح وتبدو لي عرائس النخيل الماثلة على شواطئه الحالمة وتتراقص في ذهني أشباح بغداد وما ينسرح اليه الخيال في وثباته من مفاتن دجلة ومدينة السلام ورواء شط العرب والبصرة .. وجدت ذلك كله في (ظِلالِ الأيّام) ، فلم يفتني أن أجد الأنس بوحشة الصحراء ؛ لأن (أنور) قد تغنى بها في ظلاله ، ونفض عليها من سحره ، وجلاها عالماً حياً سربت في رحابه قصص الحب ، ودرجت عليه العبقريات والبطولات ، ولم يفتني كذلك أن أستمتع بطيوف الربيع في دمشق ومفاتن الحسن

في لبنان ، وكانت حمائمها مني على كثب ، فأعادها قصائد أنور الى ذهني بشخوصها وألوانها وفتونها كأنني لم أبرح ناظراً اليها ومتملياً محاسنها ، ولم يفتني ثالثةً أن أحلم – وأنا يقظان – بالصور الحبيبة التي تدنو اليَّ أو أدنو اليها رويداً رويداً : من موطن أجدادي ، ومهد ميلادي ، ومدرج صباي وكهولتي بين الرصافة والجسر .. لم يفتني أن أتخيل ذلك كله وأن أستمتع به فى وقت معاً ؛ لأن أنور صوّر لي ذلك كله ، ونفض عليه من شاعريته وعواطفه ، ولوّنه بأحاسيسه وأحلامه ، فأشركني معه فى مسارب حبه ، ولعله لم يستمتع بها جميعاً فى وقت واحد كما أُستمتعت بها فى تلك السويعات الالطاف ، وقديماً قيـــل : « رب ساعٍ لقاعد » ! كذلك وجدت مع هذه الصور المختلفة المؤتلفة صورة طفـلة أنور الوديعة الحسناء التي صحبته لتوديعي ، وهي مغمورة بحنانـه وحدبه ، وأنور تبدو شاعريته فى تصرفاته العامة وفى علاقاته الخاصة بأسرته وبأصدقائه كما تبدو فى شعره العـاطفي الوجداني ، المسحور بالآمال حينـاً والمغمور بالآلام حيناً آخر ، أنيقةً رقيقةً مُعْجَبَـةً ، تصحبها براعة الذوق وجمال الشارة وحسن الاُصطفاء ، ويأتلق عليها الخيال والجمال والبهجة والفن . وهو الى ذلك شاعر من شعراء العقيدة والقلب ، وقليلٌ ما هم ، يفتنه الحسن فى البطولات وفى سمو الايمان وطهره كما تفتنه الطبيعة بوشيها وأفوافها وينابيعها وظلالها وفى (ظلال الأيام) هذا نفحات من تقديس العقيدة والإيمان بالله ، وأمثلة من تكريم النبوغ والرجولة والبطولة فى عظمة النبي اليتيم ، وبطولة أسامة الفتى الصحابي الـكريم ، وجهاد الشهيد : الشهيد العربي على ثرى وطنه المضـاع وديوان (ظلال الأيام) بعدُ ، هو – كما أوجز وصفه الـكاتب المبدع المفتنّ علي الطنطاوي خليل الشاعر وصفيّه فى مقدمته البارعة – « ديوان الوفاء للعربية : نخل مفرداتها فاُختار أطيبها ، وعرض أساليبها فاُصطفى أحلاها ، وديوان الوفاء لأُقطارها ... » ، وصفة ثالثـة أضيفها الى هاتين الصفتين من مضـافات الوفاء : هي أنه ديوان الوفاء للطبيعة التي تحتضن الشاعر ، وتستغرق حواسه عفاتها ، وتوحي اليه قصائده الحاليات .. فى الربيع والخريف والزهر والشجر والينبوع والساقية والظلال ؟

محمد بهجة الأثري

أنباء وآراء

نظام المجمع العلمي البريطاني

هذه ترجمة نظام (المجمع العلمي البريطاني لتقدم الدراسات التاريخية والفلسفية واللغوية) وقد أنشيء هذا المجمع في انكلترة على عهد الملك أدورد السابع ، وما زال نظامه هذا معمولاً به منذ صدوره في سنة ١٩٠٢ م الى يوم الناس هذا ، لم تتصرف به الأهواء ، ولم تمتد اليه يد بتبديل أو تغيير وكل ما دخله فإنما هو تعليمات طفيفة رأى مجلس المجمع نفسه ـ دون غيره من الجهات ـ أن يضيفها الى المادة التي تتعلق بالأعضاء الفخريين ، وذلك بعد مضي ١٤ عاماً على تأسيس المجمع ، ولم يطرأ عليه بعد ذلك لا زيادة ولا نقصان

براءة التأسيس

المؤرخة في ٨ آب ١٩٠٢ م

نحن ، أدورد السابع ، بفضل الله ونعمته ، ملك بريطانيا العظمى وإرلندة والممتلكات البريطانية ما وراء البحار ، وحامي الدين ، الى كل من يهمه صكوك هذه البراءة ، تحية :

لما كان بعض رعايانا أعضاء جمعية تُعرف بـ (المجمع العلمي البريطاني لتقدم الدراسات التأريخية والفلسفية واللغوية) ، المبينة أسماؤهم فيما يأتي ، قد طلبوا براءة التأسيس كما وردت في المواد الآتي ذكرُها ،

ولما كنا راغبين في تلبية طلبهم ، فإننا بإرادتنا الملكية الخاصة ، وبعلمٍ منا ، وبمحض مشيئتنا ، بهذا — عنا وعن ورثتنا وخلفائنا — نوصي ، ونمنح ، ونأمر ، ونعيّن ، ونقرر ما يأتي :

١ — إن (ذا الشرف الأصيل) الرايت أونوربل ارل روزبري ، كي . جي ، كي بي ؛

والرايت أونوربل الفيكونت ديللون ، رئيس جمعية العلماء الآثاريين ؛ والرايت أونوربل اللورد ري ، جي سي اس آي ، جي سي آي ئي ، رئيس الجمعية الأسيوية ؛ والرايت أونوربل آرثر جيمز بلفور ؛ والرايت أونوربل جون مورلي ؛ والرايت أونوربل جيمز رايس ؛ والرايت أونوربل ويليام أدورد هارتبول ليكي ، أعضاء مجلس العموم البريطاني ؛ والسير ويليام رينـل أنسون حامل لقب البارونية وعضو البرلمان والقيّم على كلية أولسولز بأكسفرد ؛ والسير فردريك پولوك ، بارونت ، أستاذ الشريعة الدائم بجامعة أكسفرد ؛ والسير أدورد موند تومسون كي سي بي ، المدير والأمين الأول المتحف البريطاني ؛ والسير هنري شرشـل ماكسويل ـ لايت ، كي سي بي ، وكيل أمين السجلات الرسمية ؛ والسير كورتني پركرين ايلبرت ، كي سي اس آي ، سي آي ئي ؛ والسير ريشارد كلافرهاوس جب عضو البرلمان البريطاني والأستاذ الملكي في اللغة اليونانية بجامعة كمبرج ؛ وداڤيد بينينك مرو ، مدير كلية أوريل ونائب رئيس جامعة أكسفرد ؛ وأدولفوس ويليام وارد ، مدير بيترهاوس ونائب رئيس جامعة كمبرج ؛ وأدورد كيرد ، مدير كلية باليول بأكسفرد ؛ وهنري فرنسيس بلهام ، عميد كلية ترنيتي وأستاذ التاريخ القديم بجامعة أكسفرد ؛ وجون رايس ، مدير كلية اليسوع وأستاذ اللغة السلتية بجامعة أكسفرد ؛ والرفرند (المحترم) جورج سالمون ، دي دي ، مدير كلية رينتي بدبلن ؛ وجون باكنل بوري ، الأستاذ الملكي في اللغة اليونانية بجامعة دبلن ؛ وساموئيل هنري بوشر ، أستاذ اللغة اليونانية بجامعة أدنبرة ؛ وانكرام بايواتر ، الأستاذ الملكي في اللغة اليونانية بجامعة أكسفرد ؛ وأدورد بايلز كووال ، أستاذ اللغة السنسكريتية بجامعة كمبرج ؛ والرفرند ويليام كنينكهام ، دي دي . ؛ وتوماس ويليام رايس دافيدز ، أستاذ اللغة البوذية بكلية جامعة لندن ؛ والبرت فن دايسي ، كي سي ، أستاذ القانون الانكليزي بجامعة أكسفرد ؛ والرفرند كانون ساموئيل رولز درايفر ، دي دي ، الأستاذ الملكي في اللغة العبرية بجامعة أكسفرد ؛ وروبنسون ايليس ، الأستاذ الدائم في اللغة اللاتينية بجامعة أكسفرد ؛ وآرثر جون ايفانز ، أمين متحف أشمولين بأكسفرد ؛ والرفرند أندرو مارتن فير بيرن ، دي دي ، مدير كلية مانسـفيلد بأكسفرد ؛ والرفرند روبرت فلنت ، دي دي ، أستاذ اللاهوت بجامعة

أدنبرة ؛ وجيمز جورج فريزر ؛ واسرائيل كولنكز ، المحاضر الجامعي فى اللغة الانكليزية بجامعة كمبرج ؛ وتوماس هودكن ؛ وشادورث هولوي هوكسن ؛ وتوماس اركسن هولاند ، كي سي ، أستاذ القانون الدولي والسياسة بجامعة أكسفرد ؛ وفردريك وبليام ميتلند ، أستاذ القانون الانكليزي بجامعة كمبرج ؛ وألفرد ما رشال ، أستاذ الاقتصاد السياسي بجامعة كمبرج ؛ والرفرند جون ايتون بيكرستث ماير ، أستاذ اللغة اللاتينية بجامعة كمبرج ؛ وجيمز أوغستس هنري موري ؛ وبليام ميشيل رمزي ، أستاذ علم الأخلاق بجامعة أبردين ؛ والرفرند كانون وبليام سندي ، دي دي ؛ والسيدة مركريت ، أستاذة اللاهوت بجامعة أكسفرد ؛ والرفرند وولتر وبليام سكيت ، أستاذ اللغة الانكلوسكسونية بجامعة كمبرج ؛ ولزلي ستيفن ؛ وهويتلي ستوكس ، سي أس آي ، سي آي أي ؛ والرفرند هنري باركلي سويت ، دي دي ، الأستاذ الملكي فى اللاهوت بجامعة كمبرج والرفرند هنري فانشو توزر ؛ وروبرت ألفرتن تيرل ، أستاذ التاريخ القديم بجامعة دبلن ؛ وجيمز وارد ، أستاذ الفلسفة العقلية بجامعة كمبرج : كل هؤلاء وغيرهم من الذوات الذين هم فى الحال ، أو الذين سيصبحون فى المستقبل ، أعضاء فى الجمعية المذكورة ، ستتألف منهم بصورة مؤبدة ، بالنظر الى أحكام هذه البراءة ، هيأة حكمية متضامّة واحدة ، تدعى « المجمع العلمي البريطاني لتقدم الدراسات التاريخية والفلسفية واللغوية » ، وبهذا الاسم سيكون لهذه الهيأة استمرار مؤبد وختم عام ، وللمجمع ، مع عدم المساس بأحكام قوانين الوقف ، أن يشغل ويتملّك الدور أو الأرضين أو التركات مما يقع فى مملكتنا المتحدة بريطانيا العظمى وإرلندة ، على ألا يتجاوز ريعها السنوي جميعاً الألفي باون ، ويقدّر هذا الريع بحسب قيمة كل صنف من الأملاك المذكورة آنفاً بتاريخ تملكها ، كما أن للمجمع أن يمنح ، أو يوصي ، أو ينقل ، أو يفوّض ، أو يتخلى عن كل ما يملكه أو بعض ما يملكه من الأرضين والدور والتركات

٢ — أغراض المجمع هي تنمية الدراسات فى العلوم الأخلاقية والسياسية وتقدمها ، بضمنها التأريخ والفلسفة والقانون والسياسة والاقتصاد وعلم الآثار وفقه اللغة

٣ — إن الأشخاص الذين يتألف منهم المجمع ، يدعون أعضاء

٤ — الأشخاص الذين ورد ذكرهم آنفاً في المادة الأولى ، هم الأعضاء الأولون

٥ — يكون للمجمع رئيس ومجلس ينتخب الرئيس والمجلس من أعضاء المجمع ومن قبلهم

٦ — ينتخب الأعضاء الجدد فى الاجتماع العام لأعضاء المجمع ، من الأشخاص الذين بلغوا درجة الامتياز فى فرع أو أكثر من فروع الدراسة العلمية التي يهدف المجمع الى تنميها وتقدمها .

٧ — ان ادارة المجمع منوطة بالمجلس ، وبأعضائه مجتمعين ، فى الاجتماع العام للمجمع

٨ — للمجمع أن ينتخب أعضاء (شرف) فخريين وأعضاء مراسلين ، على أنه ليس للعضو الفخري أو للعضو المراسل حق التصويت فى الشؤون المتعلقة بإدارة المجمع ، أو بانتخاب أعضائه الجدد (*)

٩ — على المجلس أن يصدر الأنظمة والتعليمات التي يراها ضرورية لتنظيم شؤون المجمع وإدارة أعماله ، مع مراعاة أحكام مواد هذه البراءة ، وللمجلس أن يُلغي ، أو يبدل ، أو يضيف ، أية أنظمة أو تعليمات كان قد أصدرها بموجب هذه المادة

يُشترط دائماً فى الأنظمة السالفة الذكر ألاّ تتعارض مع قوانين المملكة ودستورها كما يشترط أيضاً ألا تكون تلك الأنظمة وما يلحقها من إلغاء وتبديل وإضافة نافذة المفعول ما لم تقترن بموافقة (اللوردات) أعضاء مجلس شورى بلاطنا الملكي ، وتصدر وثيقة من كاتب هذا المجلس تشهد بحصول تلك الموافقة

وتأييداً لما تقدم أصدرنا إرادتنا الملكية فى وستمنستر فى الثامن من شهر آب فى العام الثاني من تولينا العرش

الختم

(*) إن التعليمات الآتية كان مجلس المجمع قد أقرها في ١٦ مايس ١٩١١ م :

١ — الأعضاء الفخريون يجب أن يكونوا من الأشخاص الذين امتازوا بتخصصهم بفرع من فروع الدراسة التي من أغراض المجمع تنميتها وتقدمها ، أو الذين ساهموا مساهمة مجدية في تقدم الأغراض التي أسس المجمع من أجلها

(٢) يرشح المجلس الأعضاء الفخريين للانتخاب فى الاجتماع السنوي للمجمع

(٣) يجب ألا ينتخب أكثر من عضوين فخريين في كل سنة ، من انتهاء السنة الحاضرة (١٩١٦ م)

المجمع العلمي البريطاني

— الأنظمـــة —

عدد الأعضاء الاعتياديين

١ ـ لا يتجاوز عدد الأعضـاء الاعتياديين (العاملين) المائتي عضو ، ولـكن ليس من الضروري تكملة ذلك العدد

الموظفون والمجلس

٢ ـ يُنتخب رئيس المجمع سنوياً فى الاجتماع الاعتيادي السنوي للأعضاء وأيّ رئيس يكون قد شغل منصب الرئاسة أربع سنوات متواليات عند حلول الاجتماع الاعتيـادي السـنوي للاعضاء ، لا يجوز ترشيحه لهـذا المنصب للسنة المقبلة ما لم يوافق المجمع على قرارٍ بخلاف ذلك يعرضه المجلس فى اجتماع اعتياديٍ يُعقد لهذا الغرض فى مدةٍ لا تقل عن شـهر قبل موعد انعقاد الاجتماع الاعتيادي السنوي

٣ ـ يُعين أمين الصندوق والسكرتير (أمين السر) سنوياً فى الاجتماع الاعتيادي السنوي للأعضاء

٤ ـ يتألف المجلس (ديوان الرئاسة) من الرئيس وأمين الصندوق والسكرتير وخمسة عشر عضواً ينتخبون فى الاجتماع الاعتيادي السنوي ان مدة خدمة أعضاء المجلس غير الموظفين ثلاث سـنوات ، وينسحب ثلث هؤلاء الأعضاء فى كل سنة ، ولا يجوز إعادة أنتخابهم للسنة التالية

٥ ـ ينتخب المجلس فى كل سنة عضوين من أعضائه ، بناء على ترشيح الرئيس ، ليكونـا نائبين له ، ولا يجوز انتخابهما للسنة التالية وينوب عن الرئيس فى غيابه أحدُ نائبيـه ، وله أن يمارس كل ما يمارسه الرئيس نفسه من عمل لو كان حاضراً

٦ ـ اذا تعادلت الأصوات فى أحد اجتماعات المجلس ، يكون للرئيس صوت الرجحان

٧ ـ يعد النصاب حاصلاً فى اجتماع المجلس اذا حضر الجلسةَ خمسة أعضاء ، عدا ما جاء فى المادة الثانية عشرة من هذا النظام

٨ ـ المجلس أن يمارس صلاحياته بالرغم من وجود شاغر أو شواغر في ديوانه

٩ ـ يملأ المجلس الشواغر العرضية فيه ، ويبقى الشخص الذي ينتخب لملء الشاغر العرضي محتفظاً بأعمال العضو الذي شغر محله طوال المدة التي تبقت من مدة خدمته

اللجان الفرعية

١٠ـ (١) يكون للمجمع لجان فرعية تمثل مختلف فروع الدراسة التي من أغراض المجمع تنميها وتقدمها

(٢) يقرر المجلس من حين الى آخر عدد اللجان الفرعية ، وفروع الدراسة التي تمثله كل منها

(٣) إن تعيين أعضاء كل لجنة فرعية ، وملء ما يحصل فيها من شواغر ، من اختصاص المجلس

الاجتماعات العامة

١١ـ يُعقد اجتماع عام للأعضاء يُدعى بالاجتماع الاعتيادي السنوي ، في شهر حزيران أو شهر تموز من كل سنة ، في موعدٍ يحدده المجلس

انتخاب الأعضاء الجدد

١٢ـ يتم انتخاب الأعضاء الاعتياديين والمراسلين ، في الاجتماع الاعتيادي السنوي للأعضاء

قبل أن ينتخب شخصٌ ما عضواً اعتيادياً (عاملاً) —

(أ) يجب أن تكون هناك شهادة موقعة من قبل عددٍ لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على ستة أعضاء ، تتضمن أن كل عضوٍ من الأعضاء الموقعين عليها يعتقد اعتقادَ معرفة شخصية أن الشخص المرشح للانتخاب جدير ولائق بأن يكون عضواً في المجمع ، مع مراعاة أحكام المادة السادسة من البراءة إن المعرفة الشخصية يمكن أن تكون بذات الشخص المرشح ، أو بمؤلفاته وآثاره ، أو بهما معاً

(ب) يجب أن توصي بالشخص المرشح إحدى لجان المجمع الفرعية ، بشرط أن يكون المجلس حراً في أن يضيف الى قائمة المرشحين أسماء أشخاصٍ آخرين لم تكن مؤهلاتهم ـ بنظر

اللجنة الفرعية ـ كافيةً لترشيحهم

(ج) يجب أن تقترن التوصية التي رفعها اللجنة أو اللجان الفرعية بتصديق المجلس

(د) أن يكون الشخص المرشح للعضوية قد أبدى رغبته فى أن يكون عضواً ، واستعداده لاُتباع تعليمات المجمع

ولا يكون تصديق المجلس توصية اللجنة الفرعية معتداً به مالم يكن نصف أعضائه فى الأقل حاضرين عند طلب الموافقة على التوصية

رسم الدخول والاشتراك السنوي

١٣ـ (١) يدفع كل عضو اعتيادي مبلغاً قدره عشرة باونات رسم دخول وثلاثة باونات بدل اشتراك سنوي ، على أن تدوّر المبالغ المتجمعة من الاشتراك السنوي بشروط يقررها المجلس من حين الى آخر *

(٢) يكون بدل الاشتراك السنوي مستحق الدفع فى اليوم الأول من كانون الثاني من كل سنة

(٣) لا يحق لشخص ما أن يكون عضواً عاملاً فى المجمع ما لم يدفع رسم الدخول وبدل الاشتراك السنوي .

(٤) اذا تخلف العضو الاعتيادي عن دفع بدل الاشتراك السنوي مدةً تزيد على السنة الواحدة ، ولم يقدم عذراً مقبولاً عن عدم الدفع ، فيحق المجلس أن يحذف اسمه من قائمة أعضاء المجلس

واجبات العضو الاعتيادي

١٤ـ إن من واجبات كل عضو اعتيادي أن يحضر ، ما لم يمنعه مانع معقول ، جميع الاجتماعات العامة التي يعقدها المجلس إن كان عضواً فيه ، وأن يحضر كل الاجتماعات التي تعقدها لجان المجمع التي يكون عضواً فيها سواء أكانت تلك اللجان فرعية أم غير ذلك ، وأن يقنع

* لقد سبق للمجلس أن ثبت المبلغ القياسي المدور بمقدار ٧٥ باوناً استرلينياً ، ولكن يحق لكل عضو أن يطرح من هذا المبلغ ١٥ شلناً عن كل سنة من سني عمره ، وما يتبقى بعد ذلك يصبح بدل اشتراك عضويته مدى الحياة ، على ألا يكون رسم الدخول البالغ ١٠ باونات و ١ شلنات من ضمن المبالغ المتبقي

المجلس ، بواسطة ما يلقيه من المحاضرات أو يقدمه من النشرات أو بغير ذلك من الوسائل ، أنه مهمك فى أعمال من شأنها رقية فرع أو أكثر من فروع الدراسة التي من أهداف المجمع ترقيتها وتقدمها

الأعضاء المراسلون

١٥ـ يجب أن يكون الأعضاء المراسلون من الأشخاص الذين امتازوا واشتهروا بفرع أو أكثر من فروع الدراسة التي من أهداف المجمع العمل على تنميتها وتقدمها ، ومن الذين فى استطاعتهم ـ بما أوتوا من معرفة وسعةٍ فى العلم ـ أن يسدوا المعونة الى المجمع ليعمل على تقدم تلك الفروع من الدراسة

والأعضاء المراسلون إما أن يكونوا :

(أ) من الرعايا البريطانيين القاطنين خارج الجزر البريطانية ، أو (ب) من غير البريطانيين .

اخراج الأعضاء من عضوية المجمع

١٦ـ لأعضاء المجمع فى أحد اجتماعاتهم العامة ، وبناء على اقتراح المجلس ، أن يخرجوا أي عضو كان من المجمع ، ويحذفوا اسمه من قائمة الأعضاء بسبب كونه غير لائق لأن يكون عضواً فى المجمع

واجبات أمين الصندوق

١٧ـ يكون أمين الصندوق مسؤولاً عن كل المقبوضات والمدفوعات التي تجري من قبل المجمع ، أو نيابة عنه بحسب تخويل المجلس من حين الى آخر ، بشرط أن يحاط المجلس علماً بجميع المدفوعات التي تتجاوز الخمسين باوناً

استثمار النقود

١٨ـ إن جميع المبالغ التي تقبض من قبل المجمع أو نيابة عنه ، يجب أن تودع فى المصرف الذي يختاره المجلس ويفتح لها حساب فيه إن النقود التي ليس للمجمع حاجة بها عاجلة ، يجب يخصصها أمين الصندوق ، بناء على التعليمات الصادرة إليه من المجلس ، بشراء الأسهم والسندات المعترف بها قانوناً لاستثمار الودائع ، أو بشراء الضمانات الأخرى التي يقرها المجلس من حين الى آخر

الحسابات

١٩ـ يجب على أمين الصندوق أن يعدّ حساباً سنوياً بالمقبوضات والمدفوعات وما للمجمع من مبالغ وما عليه من ديون ، وذلك فى اليوم الحادي والثلاثين من شهر مارت من كل سنة ، أو فى موعد آخر يرتئيه المجلس إن هذه الحسابات يجب أن يدققها مدقق أو أكثر من مدققي الحسابات ذوي الاختصاص والكفاية وبعد أن تُرسل نسخة منها الى كل عضو من أعضاء المجمع ، تعرض عليهم فى الاجتماع الاعتيادي السنوي للتصديق

تدقيق الحسابات

٢٠ـ يُعين مدقق الحسابات أو مدققوها من ذوي الاختصاص والكفاية فى الاجتماع الاعتيادي السنوي للأعضاء ، كما تقرر في هذا الاجتماع الأجور التي تدفع إليهم عن التدقيق

الختم العام

٢١ـ كل عمل أو تحرير يستدعي استعمال الختم الخاص بالمجمع ، يجب أن يصدّق ويختم فى المجلس .

أما اذا كان العمل أو التحرير مستعجلاً بحيث تقضي الضرورة بالموافقة عليه وختمه فى الفترات التي لا يكون المجلس فيها مجتمعاً ، فيجب أن يتم ذلك بأمر رئيس المجلس وحضوره ، أو أحد نائبيه ، أو أمين الصندوق ، مع أحد أعضاء المجلس (ديوان الرئاسة) والسكرتير

المترجم : محمود شكري محمد

حركة احياء التراث القديم ـ اعادة طبع تفسير الطبري

ظهرت في العام الماضي وفى هـــذه السنة حركة طيبة فى عالم النشر ترمي الى إحياء التراث القـديم ، وبعثه ، واعادة طبع ما نفد من كتب قديمـة مطبوعة لتكون فى متناوَل أيدي طلاب العلم فشرع فى إعادة طبع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، وكتاب الأغاني للأصبهاني ، ولسان العرب لابن منظور فى أجزاء صغيرة ، ليكون من الميسور لأصحاب الدخل الصغير اقتناؤها

وقد استعد في هذه السنة لإعادة طبع تفسير الطبري المؤرخ المعروف الشهير ابن جرير المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، استعد له الأستاذ المحقق المعروف السيد محمود محمد شاكر ، وتعهدت دار المعارف بمصر بنشر الجزء الأول منه في هذا الشهر ، في مجموعها المسماة « تراث الاسلام » وأنا أرجو أن أرى للتفسير مقدمة وافية في الطبري ، وفي تفسيره ، وفي الموارد التي اعتمد عليها في تدوين هذا التفسير ، وفي نقده ، تتناسب وأهمية الكتاب ؛ وأن أرى نسخاً أخرى جديدة للتفسير يعتمد عليها المحقق في إخراجه له فقد اعتمد في الطبعة الأولى على نسخة واحدة ولا بد من الاستناد في هذه المرة الى نسخ أخرى جديدة ، ومقارنتها بالنسخة القديمة المطبوعة ، فالمقارنة بين النسخ في حدّ ذاتها فصل من فصول العلم

وكل ما أرجوه في نشر أمثال هذه الكتب القيمة (التي لا يمكن الإقدام على طبعها بسهولة وفي كل وقت ، لِما يتطلب إخراجها من جهد علمي ، وتكاليف باهظة في الاخراج) أن يكون رائد المشرفين على نشرها خدمة العلم والتراث الإنساني ، فينفقوا عليها بكرم وسخاء ، وأن يسموا في إخراجها في أبهى حلة فنية خالية من الغلطات المطبعية والفنية والنبوّ في الذوق ، فليست الغاية من نشر هذا التراث الحصول على ربح ماديّ سهل ، ومن النقيصة أن تقدم مطبعة على نشر أمثال هذه المؤلفات القيمة ، ثم لا تهتم بالإشارة ولا بالتحقيق والتدقيق ، ولا بكتابة مقدمة وافية ولا صنع فهرس للأعلام والمواد وقد أقدم بعض الناشرين سابقاً على نشر مؤلفات قام المستشرقون بطبعها في أوربة ، فأخرجوها ممسوخة تشكو من كثرة ما أصابها من غلط وتصحيف ، فكانت دعاية سيئة للناشر وللطابع ، وإن جاءت له بدريهمات فقد جلبت له السمعة السيئة وعدم الثقة والاطمئنان الى ما ينشره هذا الناشر من هذا الطراز من النشر وما زال الناس يفتشون عن طبعات أوربة ، ويشترونها بأعلى الأثمان ، مفضلين اياها على المطبوعات المماثلة المنشورة بطريقة سهلة رخيصة ، مع أن تلك المطبوعات لا تخلو أيضاً من الهنات

جواد علي

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي

هذا بيان موجز لأعمال المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين صدور الجزء الأول من هذا المجلد الثالث ، وهذا الجزء الذي يقدم الى القراء ، وهي مدة قصيرة لا يتجاوز أمدها أشهراً

الميزانية : كانت ميزانية المجمع فى سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ م المالية (١٢٥٠٠) دينار وقد زيد هذا المبلغ فى هذه السنة (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ م) خمس مئة دينار ويشمل هذا المبلغ جميع نفقات المجمع : من رواتب ، وبدل كراء الدار ، ونفقات بناء أجنحة جديدة للمطبعة ، وابتياع أدوات تكميلية للمطبعة وللشعبة الفنيه ، وكتب مطبوعة ومخطوطة لخزانة كتبه ، وجوائز مالية للمتسابقين فى المباريات ، ومساعدات لمن يطلبون العون المالي لطبع كتبهم ، وبدلات تملك حقوق التأليف والتحقيق والترجمة ، ونفقات التأليف والمجلة ، وما يستجد فى خلال السنة من أمور ضرورية لا بدّ من الانفاق عليها

المطبعة : وصلت فى خلال هذه المدة الى المجمع مطبعة صغيرة ابتاعها من ألمانيا ، لطبع الأغلفة والبطاقات والأمور الطباعية الصغيرة . وقد تمّ نصبها وتشغيلها . واشتريت أدوات أخرى تمشياً مع خطة التوسع التدريجي التي يسير المجمع عليها مع مقتضيات المصلحة وسعة الميزانية أما ملاك المطبعة ، فلم يطرأ عليه تغيير ، وهو يتألف من طباع واحد وثلاثة مرتبين وسيعين ملاحظ فني للمطبعة عند وصول مفردات ميزانية ١٩٥٥ المالية

مطبوعاته : أنجز فى خلال هذه المدة طبع هذا الجزء من المجلة ، والمجلد الأول من خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني ، والجزء الأول من كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي للأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكتاب بلدان الخلافة تأليف لسترنج ، والجزء الرابع من تأريخ العرب قبل الإسلام ، وشرع فى طبع الجزء الخامس منه وهو فى الحالة الدينية للعرب قبل الإسلام ، وطبع ترجمة كتاب منازع الفكر الحديث للفيلسوف جود

وقد قرر المجمع فى خلال هــذه المدة ترجمة كتاب أصول الشريعة الإسلامية « The Origins of Muhammadan Jurisprudence » للمستشرق يوسف شاخت ، كما قرر ترجمة كتاب الفرات الأوسط تأليف المستشرق ألويس موسل ، وقرر تقديمه الى المطبعة . وقد رغب ـ بهذه المناسبة ـ في تنشيط الباحثين والاستفادة من أصحاب الاختصاص والكفايات ، فقرر الكتابة الى المعاهد العلمية العالية ، لترشيح من ترى عندهم رغبة فى ترجمة هــذا الكتاب ، ليختار المجمع من بينهم الأشخاص الذين يكل اليهم ترجمته وقرر كذلك تقديم كتاب (الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور) لنصر الله ابن الأثير الى المطبعة

أعماله العلمية : واصل المجمع عمله فى دراسة المصطلحات العلمية التي قدمتهــا اليه الدوائر الحكومية ، وهو مستمر الآن فى دراسة مصطلحات البناء التي أرسلتها اليه مديرية الأشغال العامة وفي هذا الجزء طائفة من المصطلحات التي أقرها المجمع فى خلال هذه المدة ورأى نشرها لوقوف القراء عليها وهو حريص على نشر كل رأي يراه القاريء فى هذه المصطلحات ، وعلى دراسته للاستفادة منه

ديوان الرئاسة : يتكون ديوان الرئاسة فى هــذه السنة من الرئيس الأستاذ السيد منير القاضي ، ونائب الرئيس الأول الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري ، ونائبه الثاني الدكتور مصطفى جواد ، والسكرتير الدكتور جواد علي . وواجبه النظر فى المسائل الادارية والمالية للمجمع ، واتخاذ قرارات بشأنها لتيسير أعماله والاقتصاد فى الوقت ، وليتسنى لمجلس المجمع الانصراف التام الى واجباته العلمية المعينة في نظامه

لجنة المجلة : تتولى الاشراف على المجلة لجنة مؤلفة من السادة : الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والأستاذ محيي الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جواد علي . والأستاذ محمد بهجة الأثري هو المشرف على الطبع والإخراج وتدقيق المقالات . ولا ينشر مقال ما فى المجلة إلا بعد موافقة اللجنة عليه

المحاضرات : ألقى الأستاذ المستشرق « هايدل » من دائرة المشرقيات فى جامعة شكاغو

بالولايات المتحدة الأمريكية محاضرة عن (ملحمة كالكامش ـ قصة البحث عن الحياة الأبدية) ، كما ألقى الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع محاضرة أخرى بعنوان (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين)

تصوير المخطوطات : قامت الشعبة الفنية في المجمع بتصوير طائفة من المخطوطات لخزانة كتبه ، وصورت مخطوطات عديدة لأناس طلبوا من المجمع تصويرها لهم بالأجور المقررة . ومن هذه المخطوطات التي صورت للراغبين : جزء في تأريخ الدولة العباسية محفوظ في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة برقم (١٠٢٠٤) ، ومخطوطة جديدة من نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري ، صورت لمديرية الآثار القديمة العامة لحفظها في خزانة كتبها ، وقد حقق الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري هذا الكتاب ، وقدمه المجمع الى المطبعة وصورت خوارط ورسوم منحنيات تل النبي يونس في الموصل لمديرية الآثار القديمة العامة ، وأنجزت تصوير وثائق عديدة في تأريخ العراق لبعض الباحثين

هذا وقد كلفت لجنة انتقاء المخطوطات الشعبة الفنية تصوير ثلاثين مخطوطة محفوظة في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة ، وتصوير جملة مخطوطات في الطب في خزانات كتب بعض الجوامع في مدينة الموصل لحفظها في خزانة كتبه وقد أنجزت الشعبة تصوير أكثر هذه المخطوطات وسننشر أسماءها في الجزء التالي من المجلة

أعمال الترجمة : وقرر المجمع اضافة عضو جديد الى لجنة ترجمة كتاب قاموس الرياضيات ، هو الدكتور محمد واصل الطاهر الأستاذ في كلية الآداب والعلوم ؛ وتأليف لجنة من السادة : شيث نعمان والدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد ، لبيان رأيهم في كتاب الرياضيات وأثرها في الحضارة الغربية لترجمته

اهداء مطبوعات المجمع : من خطة المجمع أن يهدي مطبوعاته الى دور الكتب العامة في العراق وخارجه بناء على طلب يقدم اليه ، ويرى في اجابته خدمة للمصلحة العامة متحققة ، فكان من جملة ما قرره في هذا الباب اهداء مطبوعاته الى المكتبة العامة والمعهد الخلدوني وخزانة

كتب جامع الزيتونة بتونس ، والى خزانة كتب كلية الخرطوم فى السودان ، والى خزانة كتب المجمع العلمي الأمريكي للبحوث الآسيوية بمدينة سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية

واتبع طريقة مبادلة المطبوعات مع دائرة الطبع والنشر بجامعة كولمبيا بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومع مكتبة « الكونكرس » بواشنطن

بناية المجمع : لا يزال المجمع فى داره الضيقة فى شارع الزهاوي ، بعيداً عن مطبعتـه وقد أنجز المخططات والرسوم للبناية التي اقترح إنشاءها فى الأرض التي خصصت به والتي تقوم مطبعته عليها والمرجو أن تقوم وزارة المعارف بادخال مشروع البناء فى جملة الأعمـال المخصصة بهذه السنة أسوةً بما قامت به تجاه المعاهد العالية والمدارس الأخرى ، فإن حاجة المجمع الى بنـاء له لا تقل عن حاجة تلك المعاهد اليها والمجمع مركز من مراكز العلم مقصود يروده الزائرون والباحثون من عراقيين وأجانب فى كل حين

جواد علي

فهرست الجزء الثاني من المجلد الثالث

المقالات

الكتب

أنباء وآراء

(ختام المجلد الثالث)

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول)

٢ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني)

٣ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث)

٤ ـ كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ومقدمة الدكتور جواد علي

٥ ـ تأريخ العرب قبل الإسلام : تأليف الدكتور جواد علي (الجزء الأول)

٦ ـ « « « « : « « « « (الجزء الثاني)

٧ ـ « « « « : « « « « (الجزء الثالث)

٨ ـ « « « « : « « « « (الجزء الرابع) .

٩ ـ صورة الأرض للشريف الادريسي : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي

١٠ ـ موجز الدورة الدموية في الكلية : للدكتور هاشم الوتري .

١١ ـ المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للحافظ ابن الدبيثي : انتقاء الامام الذهبي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

١٢ ـ ابن الفوطي : للأستاذ محمد رضا الشبيبي

١٣ ـ مقدمة للرياضيات : تأليف وايتهيد ، ترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف

١٤ ـ خريدة القصر وجريدة العصر : للعماد الأصبهاني الكاتب ، تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور جميل سعيد .

١٥ ـ الدينار الإسلامي في المتحف العراقي : تأليف السيد ناصر النقشبندي .

١٦ ـ الخطاط البغدادي علي بن هلال : تأليف الدكتور سهيل أنور ، ترجمة الأستاذين محمد بهجة الأثري وعزيز سامي « تحت الطبع » .

١٧ ـ خارطة بغداد قديماً وحديثاً : وضع الدكتور أحمد سوسة ، والدكتور مصطفى جواد ، والسيد أحمد حامد الصراف

١٨ ـ الوقاية من السل الرئوي والـ بي سي جي : للدكتور شريف عسيران

١٩ ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح : تأليف شمس الدين الشهرزوري ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري « تحت الطبع »

٢٠ ـ تأريخ الموصل (الجزء الثاني) : تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري « معدّ للطبع »

٢١ ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب : تأليف ابن الفوطي ، وتحقيق الدكتور مصطفى جواد « معد للطبع »

٢٢ ـ منازع الفكر الحديث ـ تأليف سي أم جود ، وترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام « تحت الطبع »

٢٣ ـ معجم الرياضيات : تأليف جماعة من كبار الاختصاصيين الأمريكيين ، وترجمة الأساتذة : محمد بهجة الأثري ، ومحيي الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور عبد الجبار عبد الله ، والدكتور حلمي سمارة ، وسعدي الديوني « معدّ للطبع »

٢٤ ـ أرض الخلافة : تأليف لسترنج وترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد

٢٥ ـ اليزيدية : تأليف السيد صديق الدملوجي

٢٦ ـ أنت والوراثة : تأليف أمرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس

٢٧ ـ المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف سي أم جود ، وترجمة السيد كريم متي

٢٨ ـ الديارات : للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد

٢٩ ـ الشرفنامه : تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني

٣٠ ـ ديوان الشرر : للسيد أحمد الصافي النجفي

٣١ ـ الدستور وحقوق الإنسان (جزءان) : للسيد عطا بكري

تصويبات

ص ٣٠٦ س ١٥	يومئذٍ	(زائدة تحذف)
٣/٣٠٨	الآدباء	الأدباء
٢٠/٣١١	بداوية	بدوية
٢٠/٣١١	بِـداوبها	بَداوبها
١١/٣١٨	نضم	نظم
١٨/٣٢٢	الجريني	الجويني